الجواهر الثمينة
في دروس العقيدة

يحتوى الكتاب على سبعةٍ وأربعين درسا

في عقيدة أهل السنة والجماعة

تقديم : فضيلة الشيخ:

أبي داود الدمياطي يحيى حزَّة

وبالكتاب ما يزيد عن مائة وثلاثين فتوى

من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين في العقيدة

جمع وترتيب

أحمد عبد المتعال

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ :

أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ (مسلم) .

للوصول للفهرس اضغط على Ctrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down تنقل بين الصفحات.

الجواهر الثمينة في دروس العقيدة

يحتوى الكتاب على سبعةٍ وأربعين درسا
في عقيدة أهل السنة والجماعة

تقديم : فضيلة الشيخ
أبي داود الدمياطي يحيى حِزَّة

وبالكتاب ما يزيد عن مائة وثلاثين فتوى
من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين في العقيدة

جمع وترتيب
أحمد عبد المتعال

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب	:	الجواهر الثمينة في دروس العقيدة
إعداد	:	أحمد عبد المتعال
الطبعة	:	الأولى
الناشر	:	
رقم الإيداع	:	

تقديم وتقريظ لفضيلة الشيخ : أبو داود يحيى حزّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد . .

فهذه كلمات نافعات في بيان المعتقد الصحيح عند أهل السنة والجماعة ، وشرح الأصول الستة للإيمان ، وبيان عقائد الفرق المخالفة ، والرد عليها بأسلوب سهل ميسور من كلام أهل العلم والسنة جمعها أخونا الشيخ : أحمد عبد المتعال ، الداعية إلى الله تعالى – ولا نزكي على الله أحدًا – حفظه الله تعالى ونفع به الإسلام والمسلمين ، وأسأل الله عز وجل أن يبارك في جهود أخينا الشيخ أحمد فَلَهُ – ولله الحمد والمنة – عدة مؤلفات نافعة ، جمعها ورتبها بأسلوب ميسر سهل المأخذ والاستفادة ، فالله أسأل أن يتوج جهوده ومساعيه بالنجاح والسداد ، وأن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال إنه سبحانه وتعالى جواد رحيم ، بَرٌّ كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

العبد الفقير إلى ربه الغني

أبو داود يحيى حزة الدمياطي

١٠ جمادي الأولى / ١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلِ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [النساء:١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً(٧١) ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .

أحبتي في الله ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

أما بعـــــــد :

فإن أهمية دراسة العقيدة الإسلامية الصحيحة تكمن في جمع كلمة المسلمين وربطهم بربهم ومليكهم جل وعلا ، ليحققوا العبودية الصحيحة على مراد الله وينزهوه عن النظير والند والمثيل ، ويدفعوا بذلك تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ليعيدوا للأمة الإسلامية مجدها وفقاً للفهم الذي سلكه صحابة رسول الله ﷺ الذين زكاهم ربنا بقوله : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة :١٠٠] .

فالعقيدة الإسلامية الصحيحة هي التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة العقيدة الصحيحة (٦) .

إخوتي في الله ، هناك أسباب تؤدي إلى الانحراف عن العقيدة الصحيحة يحسن ذكرها في هذا المقام لتوخي تجنبها منها (١٤):

١- الجهل الناتج عن الإعراض عن تعلم العقيدة الصحيحة وتعليمها ، فمناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا ، أو لا تهتم به أصلًا ، وأصبحت وسائلُ الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف ، أو تعنى بأشياء مادية وترفيهية ، ولا تهتم بما يُقَوِّمُ الأخلاق ، ويزرع العقيدة الصحيحة ، ويقاوم التيارات المنحرفة ؛ حتى ينشأ جيلٌ أعزلُ أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها .

٢- التّعصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد ، والتمسك به وإن كان باطلًا ، وترك ما خالفه وإن كان حقًّا ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[البقرة :١٧٠] .

٣- التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها ، ومعرفة مدى صحتها ، كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية ومعتزلة ، وقدرية ، ومرجئة ، وغيرهم .

٤- الغُلُو في الأولياء والصالحين ، ورفعهم فوق منزلتهم .

٥ - الانبهار بالحضارة المادية ؛ حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده ؛ فصاروا يُعظِّمون البشر ، ولم يتفكروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات ، قال تعالى: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] .

٦- أصبح البيتُ في الغالب خاليًا من التوجيه السليم .

من أجل هذا استعنت بالله تعالى وشرعت في إعداد هذا الكتاب الميسر الذي بين أيديكم "الجواهر الثمينة في دروس العقيدة" ويحوي بين طياته سبعةٍ وأربعين درسًا ، وعزمت على أن يكون سهل العبارة ، قوي الحجة ، موثَّقًا بالأدلة من الكتاب والسنة ، وأدرجت مع كل درس مجموعة من الفتاوى العصرية في العقيدة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى لتتم الفائدة إن شاء الله تعالى .

إخوتي في الله ، لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لأصحاب الفضل الذين أحبهم في الله تعالى ، والذين قدموا لي يد المساعدة في إعداد هذا الكتاب عملاً بحديث رَسُولِ اللهِ ﷺ : «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله»[(١)] .

وأخص بالذكر فضيلة الشيخ : أبا داود الدمياطي يحيى حزة ، المحدث ، الفقيه ، الأصولي ، على تقديمه ومراجعته للكتاب ، أسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، والأخ الفاضل : أحمد محمود الجبه المدرس المساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة على مراجعته للكتاب لغويًا ، ولايفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لكل من قدم لي يد المعاونة في إعداد هذا الكتاب ، ولا أستطيع أن أكافئ أصحاب الفضل إلا أن أقول لهم: جزاكم الله خيرا ؛ عملا بحديث رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ الله خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»[(٢)] .

أحبتي في الله ، أسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب لهذا الكتاب القبول بين المسلمين ، ليحققوا العبودية الصحيحة على مراد الله وينزهوه عن النظير والند والمثيل فنحن في أمس الحاجة إلى الاجتماع وعدم الافتراق ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، **ولن يتأتى ذلك إلا باعتناق المعتقد الصحيح المنجي عند الله عز وجل وهو ما كان عليه السلف الصالح**

---

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت الضياء) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٥٤١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص . ج ٦٣٦٨ .

ﷺ وهو مقتضى نصوص القرآن العظيم ، والسنة النبوية الصحيحة .

إخوتي في الله : إن كان ثمة تقصير في هذا الكتاب فمن نفسي ، ولا أستطيع أن أبرر ذلك إلا أن أقول ما قاله العماد الأصفهاني :

إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده :

لو غير هذا لكان أحسن . . . ولو زيد هذا لكان أحسن

ولو قدم هذا لكان أفضل . . .ولو ترك هذا لكان أجمل

وهذا من أعظم العبر

وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ، ا هـ .

وفقنا الله وإياكم لطاعته والعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه الراجي عفو ربه

أحمد عبد المتعال

٢٣ ذو الحجة ١٤٣٢

❊ ❊ ❊

الدرس الأول [المفاهيم الأساسية لعقيدة أهل السنة والجماعة]

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أيها الأحبة في الله ، لَقَد تَرَكَنَا الحبيبُ ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فسار على ذلك أمته الذين استجابوا لله ورسوله ، وهم خيرة الخلق من الصحابة والتابعين ، والذين اتبعوهم بإحسان ، وأهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بالسنة ، واجتمعوا عليها ، ولم يلتفتوا إلى سواها ، ولهذا سموا أهل السنة ، لأنهم متمسكون بها ، وسموا أهل الجماعة ، لأنهم مجتمعون عليها ، وحول المفاهيم الأساسية لعقيدة أهل السنة والجماعة سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا أركان الإسلام وأركان الإيمان :

أحبتي في الله ، معلوم أن الإسلام هو دين الله الذي أوحاه إلى محمد ﷺ وهو إيمان وعمل ، فالإيمان يمثل العقيدة ، وأصول العقيدة : أركان الإيمان الستة ، والعمل يمثل الشريعة ، وأصول الشريعة : أركان الإسلام الخمسة ، و العمل والإيمان مرتبط كلٌّ منهما بالآخر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ [البقرة :٢٥] .

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : « **يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإسلام** » فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**الإسلام أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله** ﷺ ، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** » ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإيمان** » قَالَ : « **أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ** ،

وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » ، قَالَ: صَدَقْتَ »[1] .
فمن هذا الحديث يتبين لنا أن أركان الإسلام خمسة وهي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامة الصلاة أي الصلوات الخمس بأركانها وشروطها وواجباتها وسننها ، وإيتاء الزكاة أي عند بلوغ نصاب الزكاة ، وصوم رمضان وذلك لمن قدر على الصيام ولم يكن عنده عذر شرعي يمنعه من الصيام ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلا ، بينما أركان الإيمان: الإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وكل هذه الأمور من الغيبات ، ولذا فأركان الإيمان هي العقيدة شرعاً ، وقال العلماء : إذا جاءت كلمة الإسلام دون أن تقترن بكلمة الإيمان ، فحينئذ يراد بالإسلام: الدين كله ، والإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، أي: إذا اجتمعت كلمة الإسلام مع كلمة الإيمان افترقا فأصبح الإسلام له معنى ، والإيمان له معنى آخر ، ومعنى: (إذا افترقا اجتمعا) أي: إذا أطلقت كلمة الإسلام فحينئذٍ يراد بها الإسلام والإيمان ، وإذا أطلقت كلمة الإيمان فحينئذٍ يراد بها الإسلام والإيمان ، والإسلام مرحلة تسبق الإيمان ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا والدليل قول الله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات :١٤] وفي الآية زجر لمن يُظهر الإيمان ، ومتابعة السنة ، وأعماله تشهد بخلاف ذلك .

ثانيًا عقيدة أهل السنة والجماعة :

إخوتي في الله ، لقد اهتم القرآن بشأن العقيدة الإسلامية اهتماما بالغا ؛ فمما يثبت المسلم على دينه أن يكون لديه عقيدة صحيحة يدفع بها الشبهات والشهوات التي تعترضه ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٩ .

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠] .

فالأعمال لا تُقبلُ إلا إذا كانت خالصة من الشرك ، ومن ثَمَّ كان اهتمام الرسل صلواتُ الله وسلامه عليهم بإصلاح العقيدة أولًا ، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ، وكلُّ رسول يقول أول ما يخاطب قومه : ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩] قالها نوح وهود وصالح وشعيب ، وسائر الأنبياء لقومهم (١٠) .

ولقد بقي النبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى التوحيد ، وإصلاح العقيدة ؛ ولقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «خَيْرُكُمْ قَرْنِي – أي: قرن الصحابة – ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً [(١)] ، ولقد اقتفى أثره واتبع سنته السلف الصالح وهم أصحاب النبي ﷺ والتابعون ممن أدرك عصر خير القرون من بعدهم ، وهم المعنيون في الحديث السابق ، ومذهب السلف هو الذي يتوافق فيه العقل الصريح مع النقل الصحيح ، والسلف هم كل من قدم النقل– أي: ما جاء في الكتاب والسنة– على العقل عند توهم التعارض ، وأيضا كل من أدرك عصر خير القرون السابقة ، وقد يقال على كل من اتبع منهج السلف في العقيدة : سلفي ، وهذه التسمية موافقة في المعنى لتسميتهم بأهل السنة والجماعة أو أهل الحديث ، وبالرغم من أن المسلمين كانوا في صدر الإسلام فرقة واحدة ، فقد حدثت الفتن وتفرق المسلمون ، وأصبحوا فرقا عدة ، وظهرت الفرق التي تسير علي غير طريقة رسول الله ﷺ ومن هذه الفرق من يأخذ عقيدته من كلام الرجال الذي ورثوه عن فلاسفة اليونان فيقدمونها على كلام الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ، ومنهم من يأخذ عقيدته من آراء مشايخهم مثل الروافض وغيرهم فيقدمون كلامهم على كلام الله وكلام رسول

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤٢٨ ، ومسلم ٢٥٣٥ واللفظ للبخاري .

الله ﷺ ، ومنهم فرق التأويل مثل القدرية ، الجهمية ، المعتزلة ، الماتريدية ، . . ولقد عصم الله تعالى أهل السنة والجماعة من الانتساب والاتباع لغير سنة رسول الله ﷺ ، وهي الفرقة المنصورة التى أخبر عنها رسول الله ﷺ عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» [(١)] ، وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً : وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**» [(٢)] .

ومن خصائص العقيدة الإسلامية أنها عقيدة غيبية ، فالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الغيبات ، وغير ذلك من الغيبات التى جاءت في الكتاب أو السنة الصحيحة ، وقد أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب فقال تعالى : ﴿**الم(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣)**﴾[البقرة :١-٣] .

وهي أيضًا عقيدة توقيفية لا مجال فيها للرأي: أي موقوفة على كتاب الله والسنة الصحيحة ، وما أجمع عليه الصحابة فليست محلا للاجتهاد ، فعلى كلِّ مسلم أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين ، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكُّكٍ أو تردُّدٍ ،قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ**

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٣٧ .
(٢) (**صحيح**) أخرجه ابن ماجه ٣٩٩٢ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ١٤٩٢ .

بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] (١٠) .

ثالثًا العقيدة الإسلامية هي أول ما ينبغي الدعوة إليه :

أيها الأحبة في الله ، لقد كان الرسل يهتمون بالعقيدة قبل كل شيء ، وكان النبي ﷺ عندما يبعث الدعاة يوصيهم بالبدء بالدعوة إلى تصحيح العقيدة .

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : « **إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**» [(١)] .

ولذلك ينبغي على المسلم بعدما يمن الله عليه بمعرفة هذه العقيدة والتمسك بها أن يدعو الناس إليها ليخرجهم الله من الظلمات إلى النور ؛ بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم ، وإن الدعوة إلى هذه العقيدة هو الأساس ؛ ومن المعلوم بداهة أن أي بناء لا يقوم ولا يستقيم إلا بعد إقامة أساسه وهذا ما يدلنا دلالة واضحة على خطأ بعض الجماعات المعاصرة التي تنتمي للدعوة ، وهي لا تهتم بالعقيدة ، وإنما تركز على أمور جانبية أخلاقية وسلوكية ، وهي ترى كثيرا من الناس يمارسون الشرك الأكبر حول الأضرحة المبنية على القبور في بعض ديار الإسلام ، ولا تنكر ذلك ، ولا تنهى عنه (٣) .

رابعًا مسميات كتب العقيدة للسلف :

أيها الإخوة الكرام ، العقيدة الإسلاميَّة إذا أُطلقت فهي عقيدة السلف وهي عقيدة القرون الثلاثة المفضَّلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، وللعقيدة

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٤٩٦ ، ومسلم ١٩ واللفظ لمسلم .

الإِسلامية أَسماء أُخرى كالتوحيد ، والسنة ، وأصول الدين ، والفقه الأكبر ، والشريعة ، والإيمان مثل : التوحيد لابن منده ، السنة للإمام أحمد بن حنبل ، النبذة الكافية في أحكام أصول الدين لابن حزم الظاهري ، الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، الشريعة لأبي بكر الأجري ، الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ، هـذه أَشهر إِطلاقات أهل السنة والجماعة على علم العقيدة (٣٢) .

خامسًا: شروط الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله:

معاشر الإخوة ، قال فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى : الجمع بين النفي والإثبات في " **لا إله إلا الله**" هو حقيقة التوحيد ؛ وذلك لأن الاقتصار على النفي المحض تعطيل محض ، والاقتصار على الإثبات المحض لا يمنع المشاركة ، مثال ذلك: لو قلت: ما زيد بشجاع ، فقد نفيت عنه صفة الشجاعة وعطلته منها .

ولو قلت: زيد شجاع . فقد أثبت له صفة الشجاعة ، لكن ذلك لا يمنع أن يكون غيره شجاعاً أيضاً ، ولو قلت: لا شجاع إلا زيد . فقد أثبت لـه صفة الشجاعة ، ونفيت أن يشاركه غيره فيها ، فكنت موحداً لـه في صفة الشجاعة ، إذن لا يمكن توحيد أحد بشيء إلا بالجمع بين النفي والإثبات ، ا هـ .

كما أنه ليس كل من قال لا إله إلا الله يكون موحداً بل لا بد من توفر شروط سبعة ذكرها أهل العلم نظمها الشيخ حافظ أحمد حكمي رحمه الله تعالى في قوله :

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

١- العلم بلا إله إلا الله: وهو العلم المنافي للجهل قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، فيعلم : أنه يجب الكفر بالطواغيت والأرباب والأنداد ، فينفي الربوبية عن كل ما سوى الله ، ويثبتها لله وحده ، فلا خالق ولا رازق ولا مالك إلا الله ، ويعني أيضا أن الحكم لله وحده ، وليس من حق فرد أو هيئة أو مجلس أو دولة أن تشرع للبشر من دون الله ﷻ ، فهو وحده صاحب الحق في

التشريع والحكم ، كما يجب أن يثبت أسماء وصفات الله ﷻ بدون تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [1] (١٦) .

٢- اليقين الكامل على أنه لا إلا الله : فالإيمان عند أهل السنة والجماعة هو قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالجوارح والأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والمقصود باليقين بلا إله إلا الله ، هو اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلولها ، فالمرتاب هو المنافق ، قال تعالى عن المؤمنين القانتين : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(١٥)** ﴾ [الحجرات: ١٥] (١٦) .

٣- القبول : أي قبول كلمة التوحيد بكل ما تضمنته من الأوامر والنواهي والحدود ، وهو في غاية الحب لله والرضا عنه جلَّ وعلا ، وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً**» [2] (١٦) ، وهذا أبو طالب عم النبي ﷺ كان مقرًّا بنبوة رسول الله ﷺ وكان ينصره ويقول : لقدْ عَلموا أنَّ ابننا لا مكذّب لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل ، لكنه لم يؤمن لفقده القبول والانقياد .

٤- الانقياد : أي الخضوع والتسليم والإذعان والاستسلام لكل ما تقتضيه كلمة التوحيد ، وهذا الشرط هوالإثبات العملى للإيمان ، ولا يمكن ادعاء الإيمان دون الدخول في الأعمال ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى**»، قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» [3](١٦) .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦ .
(٢)(صحيح) أخرجه مسلم ٣٤ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٢٨٠ .

٥- الصدق: فمن سمات المؤمنين الصدق في الأقـــــوال وفي الأفعـــــال وفي الأحوال ، وتطابق الأعمال الظاهرة وما وَقَرَ في القلب ، فعَـنْ أَبِـي مُوسَـى ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَـنْ وَرَاءَكُـمْ ، أَنَّـهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ صَادِقًا بِهَا ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1](١٦) .

٦- الإخلاص: وذلـك بتوحيـد الحـق ونبـذ الشـرك ، فالمسـلم الحـق يتصـف الإخلاص ، لأنه أفرد الله بعبادته ولم يشرك معه أحدا في محبتـه أو خوفـه أورجائـه أودعوته كما قال الله تعالي : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ حُنَفَـاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(٥)** ﴾ [البينة: ٥] (١٦) .

٧- محبة الله تعالى : المحبة روح الأعمال التي متى خلت منهـا فهـي كالجسـد الذى لا روح فيه ، قال تعالى ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِـذُ مِـن دُونِ الله أَنـدَاداً يُحِبُّـونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لله** ﴾ [البقرة: ١٦٥] ، وفي الآية قـولَان : ﴿ **وَالَّـذِينَ آمَنُـواْ أَشَـدُّ حُبّـاً لله** ﴾ أي مـن أصـحاب الأنـداد لأنـدادهم وآلهـتهم الـتي يحبونهـا ويعظمونها من دون الله ، أو ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَـدُّ حُبّـاً لله** ﴾ مـن محبـة المشـركين بالأنداد لله ، فإن محبة المؤمنين خالصة لله ، ومحبـة المشـركين قـد ذهبـت أنـدادهم بقسط منها (١٦) .

أما شروطُ شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله هي : الاعتراف برسالته ، واعتقادها باطنًا في القلب ، والنطق بذلك ، والاعتراف به ظاهرً باللسان ، والمتابعة له ؛ بأن يعمـل بما جاء به من الحق ، ويترك ما نهى عنه من الباطل ، وتصديقه فيما أخـبر بـه مـن الغيوب الماضية والمستقبلة ، ومحبته أشد مـن محبـة الـنفس والمـال والولـد والوالـد والناس أجمعين ، وتقديم قوله على قول كل أحد ، والعمل بسنته (٢٧) .

سابعًا: من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٥٩٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٥ .

١) ما هو تعريف الإسلام وما الفرق بينه وبين الإيمان؟ الفتوى ١١

الإسلام هو التعبد لله سبحانه وتعالى بما شرع شمل ذلك الاستسلام له ظاهرا وباطنا فيشمل الدين كله عقيدة ، وعملا ، وقولا ، أما إذا قرن الإسلام بالإيمان فإن الإسلام يكون الأعمال الظاهرة من نطق اللسان وعمل الجوارح ، والإيمان الأعمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب ، ويدل على هذا التفريق قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[الحجرات : ١٤] .

٢) ماذا عن كره دراسة العقيدة خوفا من الزلل في مسائل القدر ؟ الفتوى (١٩٠)

يجب على المرء دراسة علم التوحيد والعقيدة ؛ ليكون على بصيرة في إلهه ومعبوده جل وعلا على بصيرة في أسماء الله وصفاته ، وأفعاله ، وعلى بصيرة في أحكامه الكونية ، والشرعية ، وعلى بصيرة في حكمته ، وأسرار شرعه وخَلْقه ، حتى لا يضل بنفسه ، أو يضل غيره .وعلم التوحيد هو أشرف العلوم ؛ لشرف متعلقه ، ولهذا سماه أهل العلم (الفقه الأكبر) ، وقال النبي ﷺ: « مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [(١)] ، وأول ما يدخل في ذلك وأولاه علم التوحيد والعقيدة ، لكن يجب على المرء أيضا أن يتحرى كيف يأخذ هذا العلم ، ومن أي مصدر يتلقاه .فليأخذ من هذا العلم أولا : ما صفا منه ، وسلم من الشبهات ، ثم ينتقل ثانيا : إلى النظر فيما أورد عليه من البدع والشبهات ؛ ليقوم بردها ، وبيانها مما أخذه من قبل من العقيدة الصافية ، وليكن المصدر الذي يتلقاه منه كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ثم كلام الصحابة رضي الله عنهم ، ثم ما قاله الأئمة بعدهم من التابعين وأتباعهم ، ثم ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم رحمهما الله .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❋ ❋ ❋

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧١ ، ومسلم ١٠٣٧ عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

الدرس الثاني[الإيمــان عند أهل السنة والجماعة]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أيها الأحبة في الله ، إذا أردتم أن يكون النصر حليفكم كما كان حليف أسلافكم في غزوة بدر مع ذلهم وقلتهم ؛ فعليكم أن تكونوا من المؤمنين أولاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٥] ، وحول الإيمان عند أهل السنة والجماعة سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان

أحبتي في الله ، الإيمان شرعًا عند أهل السنة والجماعة : القول والعمل والاعتقاد ، فهو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، وهناك أدلة عديدة تؤكد دخول الأعمال في الإيمان نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ(١٤٣) ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، فالمقصود بإيمانكم أي إيمانكم بالله ورسوله وصلاتكم إلى بيت المقدس ، فدخلت الصلاة في الإيمان ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ – أي إبعاد ما يؤذى من شوك أو غيره عن الطريق– ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ» [(١)]

فقول لا اله إلا الله قول باللسان ، وإماطة الأذى عن الطريق عمل بالجوارح ، والحياء من أعمال القلوب ، فدل ذلك على أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان ، وإعتقاد بالجنان أي بالقلب .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٨٧ ، ومسلم ٣٥ واللفظ لمسلم .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال لوفد عبد القيس : «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنْ الْمُغْنَم » [1]

فدخل في الإيمان الشهادين ، والصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وإعطاء الخمس من الغنائم ، ومن ثم يتضح لنا أن الإيمانُ يشملُ الدينَ كله ، وحينئذٍ لا فرق بينه وبين الإسلام ، وذلك حينما ينفرد أحدهما عن الآخر ، أما إذا اقترنا معا ؛ فالإسلام هو قول اللسان وعمل الجوارح ، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان وضعيف الإيمان ، والإيمان إقرار القلب وعمله ، ولا يصدر إلا من المؤمن حقًّا ، فكل مؤمن مسلم وليس العكس .

ثانيًا : مراتب الإيمان عند أهل السنة والجماعة

إخوتي في الله ، الإيمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، وأهله متفاوتون فيه على حسب علمهم وعملهم كما سيتضح فيما بعد في الفتاوي .

فالإيمان يزيد بالطاعات والأعمال الصالحة إلى ما شاء الله تعالى ؛ حتى يوصل صاحبه درجة الصديقين ، وهذه المرتبة تسمى (حقيقة الإيمان) ، وكذلك ينقص الإيمان بالمعاصي ؛ حتى يصل إلى (أصل الإيمان) ، أو (مطلق الإيمان) وهذه المرتبة من الإيمان غير قابلة للنقصان ؛ لأنها حد الإسلام ، والفاصل بين الإيمان والكفر ، والإيمان عند أهل السنة والجماعة مراتب ودرجات ومنازل قال الله تعالى في كتابه العزيز عن هذه المراتب: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) ﴾ [فاطر : ٣٢] .

السابق بالخيرات: هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه ، وهو الفاعل للواجبات

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٨٧ و مسلم ١٧ واللفظ للبخاري .

والمستحبات ، التارك للمحرمات ، والمتورع عن المكروهات ، والمجتنب للمحظورات والمشتبهات ، وهو صاحب الإيمان الكامل بالمستحبات .

المقتصد: المكتفي بفعل الواجبات ، واجتناب المحظورات ، وإن لم يحافظ على المسنونات ، ولا تورع عن المكروهات ، وهو صاحب الإيمان الواجب ، ويسمى أيضاً الإيمان المفصل أو الإيمان المطلق أو حقيقة الإيمان .

الظالم لنفسه: هو المفرط في بعض الواجبات ، والمرتكب لبعض المحرمات والمعاصي التي لا تصل إلى الكفر ، أو الشرك الأكبر ، وهو صاحب أصل الإيمان ، ويسمى أيضاً الإيمان المجمل أو مطلق الإيمان .

قال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه ، وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ (٨) .

ثالثًا: رأي أهل السنة والجماعة في الإستثناء في الإيمان والإسلام

أيها الأحبة في الله ، قول الإنسان : أنا مؤمن إن شاء الله ، فأهل السنة والجماعة: يرون جواز الاستثناء في الإيمان في أحوال ، لشدة خوفهم من الله تعالى ، وإثباتاً لأقداره ، ونفياً لتزكية أنفسهم ، لا شكاً فيما يجب عليهم الإيمان به ، ولكن خوفاً أن لا يكونوا قاموا بحقائقه ، ورجاء أن يأتوا بواجباته وكمالاته .

أما قول الإنسان : أنا مسلم إن شاء الله ، فجمهور أهل السنة والجماعة ؛ يقولون : لا يجوز ، لأنه ليس وراء الإسلام إلا الكفر ؛ فمن لم يكن مسلماً كان كافراً ، وأما من لم يكن مؤمناً فقد يكون مسلماً ، لأن من نطق بالشهادتين أصبح مسلماً ، وتميز عن غيره من الكفار ، فتجري عليه أحكام الإسلام .

فقد دلت النصوص الشرعية على جواز القول: أنا مسلم ، بدون استثناء ؛ كما في قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت :٣٣] (٨) .

رابعًا : صاحب الكبيرة تحت المشيئة

أيها الأخوة الكرام ، أهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون فيها إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لَقُوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه ، إن شاء الله غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً(٤٨) ﴾ [النساء: ٤٨] ، وإن شاء عذبهم بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته ، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته ، وعلى ذلك فاعل الكبيرة والمُصِرُّ على الصغيرة ، لا ينفي عنه مُطلق الإيمان بفسوقه ، ولا يوصف بالإيمان الكامل ، ولا يحكم عليه في الآخرة بجنة أو نار–إن مات على ذلك ولم يتب– ، بل هو في مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ .وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا ، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا ، وَلاَ تَسْرِقُوا ، وَلاَ تَزْنُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا؛ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى الله؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ؛ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِك [(١)] .

واختلفت الفرق في ذلك ، فقالت الخوارج: مرتكب الكبيرة كافر– إذا مات قبل أن يتوب – ، والمعتزلة قالوا: في منزلة بين المؤمن والكافروذلك في الدنيا أما في الآخرة فهو مخلد في النار ، والمرجئة قالت: لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة (١٦) .

سادسًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٣) ما هو تعريف الإيمان وهل الإيمان يزيد وينقص؟ الفتوى ١٢

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٨ ، ومسلم ١٧٠٩ واللفظ للبخاري .

الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: **" الإقرار بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح "** . فهو يتضمن الأمور الثلاثة:

وإذا كان كذلك فإنه سوف يزيد وينقص ، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة :٢٦٠] ، فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب وطمأنينته وسكونه ، والإنسان يجد ذلك من نفسه فعندما يحضر مجلس ذكر فيه موعظة ، وذكر للجنَّة والنَّار يزداد الإيمان حتى كأنه يشاهد ذلك رأي العين ، وعندما توجد الغفلة ويقوم من هذا المجلس يخف هذا اليقين في قلبه .

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول فإن من ذكر الله عشر مرات ليس كمن ذكر الله مائة مرة ، فالثاني أزيد بكثير ، والإيمان إذا يزيد وينقص ، ولزيادة الإيمان أسباب منها :

١- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته .

٢- النظر في آيات الله الكونية ، والشرعية ، فإن الإنسان كلما نظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات ازداد إيمانا قال الله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠)وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾[الذاريات : ٢٠-٢١] .

٣- كثرة الطاعات ، فإن الإنسان كلما كثرت طاعاته ازداد بذلك إيمانا سواء كانت هذه الطاعات قولية ، أم فعلية ، فالذكر يزيد الإيمان كمية وكيفية ، والصلاة والصوم ، والحج تزيد الإيمان أيضا كمية وكيفية .

أما أسباب النقصان فهي على العكس من ذلك ، منها :

١- الجهل بأسماء الله وصفاته يوجب نقص الإيمان لأن الإنسان إذا نقصت معرفته بأسماء الله وصفاته نقص إيمانه .

٢- الإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية ، فإن هذا يسبب

نقص الإيمان ، أو على الأقل ركوده وعدم نموه .

٣- فعل المعصية فإن للمعصية آثارا عظيمة على الإيمان ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [1] .

٤- ترك الطاعة ، فإن ترك الطاعة سبب لنقص الإيمان ، لكن إن كانت الطاعة واجبة وتركها بلا عذر ، فهو نقص يلام عليه ويعاقب ، وإن كانت الطاعة غير واجبة ، أو واجبة لكن تركها بعذر فإنه نقص لا يلام عليه ، ولهذا جعل النبي ﷺ ، النساء ناقصات عقل ودين وعلل نقصان دينها بأنها إذا حاضت لم تصل ولم تصم ، مع أنها لا تلام على ترك الصلاة والصيام في حال الحيض بل هي مأمورة بذلك ، لكن لما فاتها الفعل الذي يقوم به الرجل صارت ناقصة عنه من هذا الوجه .

٤) كيف نجمع بين أركان الإيمان الستة ، وقول النبي ﷺ: الإيمان بضع وسبعون شعبة .. إلخ ؟ الفتوى ١٤

الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل ، وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال ، وأنواعها ، وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ، ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانا في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة :١٤٣] .

قال المفسرون: إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة كانوا يصلون إلى المسجد الأقصى ا هـ .

تعليق : وأنا أقول وبالله التوفيق أنَّ الإيمان في حديث جبريل يعنى أركان الإيمان فقط لاجتماع الإيمان والإسلام في حديث واحد ، أما الإيمان بضع وستون

---

[1] (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤٧٥ ، ومسلم ٥٧ واللفظ للبخاري .

شعبة فهو يعنى الإيمان والاسلام معًا فيشمل على أركان الإيمان وأركان الإسلام معًا ، و يشمل الأعمال ، وأنواعها ، وأجناسها ، والله أعلم .

٥) ما معنى قول رَسُولِ الله ﷺ : « إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا ؟» (١) الفتوى ١٥

معنى "يأرز" أي يرجع ويثبت في المدينة كما أن الحية إذا خرجت من جحرها رجعت إليه ، وهذا إشارة من النبي ﷺ إلى أن هذا الدين سوف يرجع إلى المدينة بعد أن تفسد البلدان الأخرى كما أن الحية تخرج وتنتشر في الأرض ثم بعد ذلك ترجع إلى جحرها ، وفيه أيضا إشارة إلى أن الإسلام كما انطلق من المدينة فإنه يرجع إليها أيضا ، فإن الإسلام بقوته وسلطته لم ينتشر إلا من المدينة وإن كان أصله نابعا في مكة ، ومكة هي المهبط الأول للوحي ، لكن لم يكن للمسلمين دولة وسلطان وجهاد إلا بعد أن هاجروا إلى المدينة ، فلهذا كان الإسلام بسلطته ونفوذه وقوته منتشرا من المدينة وسيرجع إليها في آخر الزمان ، وقال بعض أهل العلم: إن هذا إشارة إلى أمر سبق ، وأن المعنى أن الناس يفدون إلى المدينة ويرجعون إليها ليتلقوا من رسول الله ﷺ الشريعة والتعاليم الإسلامية ولكن المعنى الأول هو ظاهر الحديث وهو الأصح .

٦) هل هذا التقسيم للإيمان صحيح أم لا؟ الإيمان خمسة: إيمان مطبوع وهو إيمان الملائكة، وإيمان معصوم وهو إيمان الأنبياء، وإيمان مقبول وهو إيمان المؤمنين، وإيمان مردود وهو إيمان المنافقين، وإيمان موقوف وهو إيمان المبتدعة " ؟ الفتوى ١٧

هذا التقسيم ليس بصحيح فإن المنافقين قد نفى الله الإيمان عنهم في القرآن فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ(٨) ﴾[البقرة:٨] ، وإيمان البشر مطبوعون عليه لولا وجود المانع المقاوم ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ – أي: دين الإسلام – فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٨٧٦ ، ومسلم ١٤٧ واللفظ للبخاري . .

يُمَجِّسَانِهِ »[1] ، صحيح أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، وصحيح أن الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، لا يمكن أن يرتدوا بعد إيمانهم ، ولكن التقسيم الثاني غير صحيح وهو أنه جعل الملائكة مطبوعين على الإيمان دون البشر ، والبشر كما تقدم قد طبعوا على الإيمان بالله وتوحيده ، وخير من ذلك أن نرجع إلى تقسيم السلف الصالح لأنه هو التقسيم الذي يكون مطابقا للكتاب والسنة للإجماع عليه . وهو أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، واعتقاد بالجنان .

٧) ماذا عن من يوسوس إليه الشيطان بهذا السؤال: من خلق الله؟ الفتوى ١٩

هذا الوسواس لا يؤثر عليه وقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأتي إلى الإنسان فيقول: من خلق كذا؟ ومن خلق كذا؟ إلى أن يقول: من خلق الله؟ وأعلمنا رسول الله ﷺ بالدواء الناجع وهو أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وننتهي عن هذا ، فإن طرأ عليك هذا الشيء وخطر ببالك فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وانته عنه ، وأعرض إعراضا كليا ، وسيزول بإذن الله ، أ هـ .

ويشير لهذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ »**[2] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٥٨ ، و مسلم ٢٦٥٨ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٧٦ ، و مسلم ١٣٤ واللفظ للبخاري .

الدرس الثالث[من مقتضيات التوحيد وأقسام التوحيد وفضائله]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أحبتي في الله ، إن شجرة التوحيد والإيمان لا بد لها من أصول ، وفروع ، وثمار ، ومن أعظم مقتضياتها وأوجب حقوقها ولوازمها أن يوالي العبد في الله ، فإن من وَالَى عدو الله لا يمكن أن يكون محققاً لشهادة أن لا إله إلا الله ، ولا آتياً لمقتضياتها ، وحول مقتضيات التوحيد وأقسامه وفضائله سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا: من مقتضيات كلمة التوحيد

أحبتي في الله ، لقد بعث الله تعالى جميع الرسل لدعوة أقوامهم إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين ، وإذا قرأنا في كتاب الله نجد أن كل نبي بعث إلى قومه ، قال لهم: ﴿ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف:٥٩] ، ولكلمة التوحيد **"لا اله إلا الله "** عدة مقتضيات أو واجبات لعل أهمها :

١- نفي اتخاذ الأنداد مع الله تعالى وإفراده بالعبادة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ لله أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٢) ﴾[البقرة: ٢٢] .

ويقول ابن كثير : **إتخاذ الأنداد يكون على قسمين** :

الأول : أن يجعل الند شريكًا لله في أنواع العبادة أو بعضها وهو شرك أكبر .

الثاني : ما كان من نوع الشرك الأصغر كالحلف بالنبي أو بمخلوق من المخلوقات ، وكالرياء أى يعمل العمل ليثني عليه الناس .

٢- الإيمان بالله ، والكفر بالطاغوت ، فيجب على المؤمن أن يكفر بالطاغوت حتى يكون مؤمنًا مستقمًا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ، ولقد عدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللهع تعالى الطواغيت وقال :رؤوسهم خمسة ، وذكر من الطواغيت :

- الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله و الدليل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(٦٠) ﴾ [يس: ٦٠].

- الحاكم الظالم المغير لأحكام الله تعالى ، كواضع الدستور الذي يخالف الاسلام ، و الدليل قوله تعالى منكرا على المشركين المشرّعين بما لم يرض بـه الله : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ ﴾[الشورى : ٢١] .

- الحاكم بغير ما أنزل الله ، إذا اعتقد عـدم صـلاحية مـا أنـزل الله ، أو أجـاز الحكم بغيره ، قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] .

- الذي يـدعى علـم الغيـب مـن دون الله لقولـه تعـالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾[النمل : ٦٥] .

- الذي يعبده الناس ويدعونه من دون الله وهو راض بذلك والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(٢٩) ﴾ [الأنبياء: ٢٩] .

٣- البراءة التامة من اتخاذ أرباب من دون الله ، قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٣١) ﴾ [التوبة: ٣١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير هذه الآية : هؤلاء الذين اتخـذوا أحبـارهم ورهبانهم أربابا ، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ا هـ .

٤- تحقيق مبدأ الولاء والبراء ، بمـوالاة أهـل التوحيـد ، بـالقرب مـن المسـلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم ، والبراء مـن الكفـار بقطع الصلة معهم فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة ، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ لله ، وَأَعْطَى لله

وَمَنَعَ لله ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ»[1] .

٥- قبول تحكيم الشريعة ، فالحكم الحق لله تعالى وحده ، قال تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٠] ، وقد أمرنا الله تعالى بألا نخضع لغيره وأن نعبده وحده ، فهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه ، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك .

وهي دعوة الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] فالخضوع لأي سلطة أخرى خضوع للطاغوت ، وبهذا يكون " **الحكم** " بغير ما أنزل الله طاغوتًا ، ويكون " **الحاكم** " الذي يحكم بغير ما أنزل الله كذلك طاغوتًا ، ويكون " **الخضوع** " لهذا الحاكم أو لذلك الحكم عبادة للطاغوت ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء :٦٠] .

كما أن تحكيم رسول الله ﷺ في كل شأن من شئون الحياة مع التسليم والرضا من صميم الإيمان ، ويكون هذا بعد مماته بتحكيم شريعته ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥] .

ثانيًا : أقسام التوحيد

إخوتي في الله : قال فضيلة الدكتور صالح الفوزان أقسام التوحيد ثلاثة بالاستقراء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهذا ما تقرر عليه مذهب أهل السنة ، فكل آيات القرآن والأحاديث في العقيدة لا تخرج عن هذه الأقسام .

القسم الأول توحيد الربوبية: وهو توحيد الله تعالى وإفراده بأفعاله:

كالخلق ، والرزق ، والإحياء والإماتة ، وتدبير الكون ، فليس هناك رب سواه

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٦٨١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٦٥ .

سبحانه وتعالى ، رب العالمين .

القسم الثاني توحيد الألوهية أو توحيد العبادة : لأن الألوهية معناها عبادة الله ﷻ بمحبته وخوفه ورجائه ، وطاعة أمره ، وتحكيم شرعه ، وترك ما نهى عنه فهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي شرعها لهم .

القسم الثالث توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، وتنزيهه عما نزّه عنه نفسه ، ونزّهه عنه رسوله ﷺ من العيوب والنقائص .

ثالثًا : فضائل التوحيد (٤٧)

أيها الأحبة في الله ، قال فضيلة الشيخ السعدي رحمه الله في فضائل التوحيد :

١- أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما روى الترمذي في سننه والضياء المقدسي في المختارة عَنْ أَنَسٍ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا**- أي: وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها - **ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[1] .

ولقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: إن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك ، لا يبقى معه ذنب ؛ فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض أي ملئها .

٢- يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه مثقال حبة خردل ، وأنه إذا كمل

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٥٤٠ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٣٨ .

في القلب يمنع دخول النار بالكلية ، أخرج الشيخان عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ** »[1] .

أي يكون دخوله الجنة على حسب ما قدم من أعمال في الدنيا فإن لم تكن له ذنوب يعاقب عليها بالنار كان من السابقين وإن كانت له ذنوب فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ثم كانت نهايته إلى الجنة .

٣- أنه يحصل بسببه الأمن الكامل يوم القيامة والهداية التامة فى الدنيا ، أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ(٨٢)** ﴾ [الأنعام:٨٢] ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ:** ﴿ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)** ﴾ [لقمان:١٣] »[2] .

قال الحافظ ابن كثير فى الآية: أى هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون فى الدنيا والآخرة .

٤- أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ** »[3] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٤٣٥ ، ومسلم ٢٨ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٩٣٧ ، ومسلم ١٢٤ واللفظ لمسلم .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٩٩ .

٥- أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها على التوحيد ، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت ، فشرط قبول الأعمال السلامة من الشرك قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(٨٩) ﴾ [الشعراء: ٨٩] (٣٣) .

٦- أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله تعالى لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين ، قال تعالى عن الصحابة الكرام: ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات :٧] .

٧- أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام ، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان ، وتلقيه المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة ، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه ، ولا ينيب إلا إليه ، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(١٧٣) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ(١٧٤) ﴾ [آل عمران : ١٧٣-١٧٤] .

٨- أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمله كثيرا ، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب ، وترجح كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ

هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ» (١) . فالسر في حديث البطاقة هو التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك فلا يبقى معه ذنب .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنْ: الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ» (٢) .

وجاء في صحيح البخاري أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ: قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ » (٣) .

وأخرج الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ – أي: راكب خلفه على الدابة – قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ؟» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ؟» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا ، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ – أي: يشهد بلفظه ويصدق بقلبه – إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» ، وجاء في الفتح : وإخباره يدل على أن النهي عن التبشير كان على الكراهة لا التحريم – وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا (٤) .

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٦٣٩وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٧٦ .
(٢) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ٦٥٨٣ وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ١٣٤ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري٥٤٢٥ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري١٢٨ ومسلم ٣٢ .

٩- أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ [النور :٥٥] .

١٠- أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة ، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل :٩٧] .

١١- من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ عِمْرَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ – أي: لتمام التوكل عنهم – وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ فَقَالَ :ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» [1] (٣٨) .

أخي الحبيب ، في هذا الحديث صفات الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم: أنهم لا يسترقون – أى لا يطلبون من أحد أن يرقيهم لتمام التوكل على الله – ، ولا يكتوون – أى لا يتداوون بالكي الذى كان منتشراً عند العرب آنذاك – ، ولا يتطيرون – أى لا يتشاءمون من أي شيء – ، (٣٨) .

رابعًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٨) هل الإيمان هو التوحيد؟ الفتوى ٢

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٤١ ، و مسلم ٢١٨ واللفظ لمسلم .

التوحيد: إفراد الله ﷻ بما يختص به ويجب لـه ، والإيمـان هوالتصـديق المتضـمن للقبول والإذعان ، وبينهما عمـوم وخصـوص فكـل موحـد مـؤمن ، وكـل مـؤمن موحد بالمعنى العام ، ولكن أحيانا يكون التوحيـد أخـص مـن الإيمـان ، والإيمـان أخص من التوحيد . والله أعلم .

٩) ماذا عن شرك المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ؟ الفتوى ٣

بالنسبة لشرك المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ فإنه ليس شركا في الربوبية ؛ لأن القرآن الكريم يدلُّ على أنهم إنما كانوا يشركون في العبادة فقط .

أما في الربوبية فيؤمنون بأن الله وحده هو الربُّ ، وأنه مُجيبُ دعوة المضـطرين ، وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله ﷻ وحده ، ولكنهم كانوا مشركين بالعبادة يعبدون غير الله معه ، وهذا شرك مخرج عن الملة .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس الرابع [توحيد الربوبية]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أحبتي في الله ، لقد جاء في كتاب الله عز وجل الكثير من الآيات العظيمة التي تبرهن أن الله جل وعلا هو : الخالق ، والرازق ، والمحيي ، والمميت ، والمعطي ، والمانع ، والمدبِّر ، والمسيِّر لهذا الكون ، . . . لا ينازعه أحد ، وعندما يحصل يقين العبد بذلك لا يسعه إلا أن يوحِّد خالق الكون ، يوحِّده بفعله ؛ هذا يسمى بتوحيد الربوبية ، وحول توحيد الربوبية سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الأدلة على توحيد الربوبية

أحبتي في الله ، توحيد الربوبية هو الاعتقاد بأن الله هو وحده الخالق ، والرازق ، والمدبر ، والمالك ، والنافع ، والضار ، والمجير ، والمحيي ، والمميت : فلا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره سبحانه .

وهناك العديد من الأدلة على توحيد الربوبية سواء من الكتاب أو السنة أو من العقل نذكر منها :

١- خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ونزول الماء من السماء لإحياء الأرض بعد موتها ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض ، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر ، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار ، وكيفية تسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق ؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون ، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه ، قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] ، ويتضح ذلك

في قول الرسل لأقوامهم : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

ولقد استطاع إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يحاج ملك البلاد النمرود حين إدعى الألوهية قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٢٥٨) ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

وكذلك رد موسى عليه السلام على أسئلة فرعون مشيرا إلى خلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ(٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ(٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ(٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ(٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ(٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ(٢٨) ﴾ [الشعراء : ٢٣-٢٨] .

وجاء في القرآن الكريم عن خلق السموات والأرض والدواب ونزول المطر من السماء لإنبات الأرض قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) ﴾ [لقمان : ١٠] .

وجاء عن تسخير الله تعالى الليل للراحة ، والنهار للمعاش ، و الشمس للضياء ، والقمر للنور ولمعرفة السنين والحساب ، وغير ذلك من المنافع ، والنجوم لمعرفة الأوقات ، ونضج الثمار والزروع ، والاهتداء بها في الظلمات قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل :١٢] .

٢- خلق الإنسان والدواب فلو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا ؛ إذ لا يستطيع

الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقة ، أو يحول العلقة إلى مضغة ، أو يحول المضغة عظاما ، أو يكسو العظام لحما ؟ هذا فضلاً عن العجائب في خلقه الكائنات الأخرى كالحشرات والحيوانات ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] . ولقد أقام الله تعالى الحجة وأفحم الكفار في آية واحدة فقال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) ﴾ [الطور : ٣٥] .

٣- ما جاء عن البعث والنشور في القرآن الكريم فيحكي الله تعالى عن الذي مرَّ على قرية قد تهدَّمت دورها ، فقال: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٥٩) ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

ويحكي الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين طلب من ربه أن يريه كيفية البعث: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٢٦٠) ﴾[البقرة : ٢٦٠] .

٤- دعوة الرسل جميعا لأقوامهم ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٦١] ، ودعوة محمد ﷺ ومخاطبته للناس بهذا القرآن الذي يتجلى فيه هذا المنهج من بدايته إلى ختامه .

٥- هناك الكثير من الأدلة العقلية على ربوبية الله جل وعلا نذكر منها أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية ، فقال لهم رحمه الله :

" أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها ، فترسو بنفسها وترجع ، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ " .

فقالوا : هذا محال لا يمكن أبدا ، فقال لهم :**" إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".**

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده (١٠) .

ثانيًا : إفراد الله بالخلق والملك والتدبير

إخوتي في الله : سبق أن بينا أن توحيد الربوبية أي إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها .

إفراد الله بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله ، قال تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر ؛ إذ إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر ، وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٣] ؛ فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله .

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ(٣٥) ﴾ [الطور :٣٥] .

أما ما ورد من إثبات خلق غير الله ؛ كقوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] ، فخلق غير الله ليس خلقاً حقيقة ، وليس إيجاداً بعد عدم ، بل هو تحويل للشيء من حال إلى حال ، وأيضاً ليس شاملاً ، بل محصور بما يتمكن الإنسان منه ، ومحصور بدائرة ضيقة ؛ فلا ينافي قولنا: إفراد الله بالخلق .

إفراد الله بالملك: بأن نعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩] ، وأما ما ورد من إثبات الملكية لغير الله ؛ كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦] ، وقال تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ [النور: ٦١] ، فهو ملك محدود

لا يشمل إلا شيئاً يسيراً من هذه المخلوقات ؛ فالإنسان يملك ما تحت يده ، ولا يملك ما تحت يد غيره ، وكذا هو ملك قاصر من حيث الوصف ؛ فالإنسان لا يملك ما عنده تمام الملك ، ولهذا لا يتصرف فيه إلا على حسب ما أذن لـه فيه شرعاً ، فمثلاً: لو أراد أن يحرق ماله ، أو يعذب حيوانه ؛ قلنا: لا يجوز ، أما الله سبحانه ، فهو يملك ذلك كله ملكاً عاماً شاملاً .

إفراد الله بالتدبير: بأن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده ؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٣١) ﴾ [يونس: ٣١] ، وأما تدبير الإنسان ؛ فمحصور بما تحت يده ، ومحصور بما أذن لـه فيه شرعاً (٣٧) .

ثالثًا : الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا ينجي من العذاب

أيها الأحبة في الله ، هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام ، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية ، ولذا يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(١٠) ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، والمعنى أي : ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبرا وكل ذلك من توحيد الربوبية إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطي ولا تمنع ، وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين .

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ(٦١) ﴾ [العنكبوت : ٦١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٦٣) ﴾ [العنكبوت : ٦٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وقوله

تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٨٤) سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(٨٦) سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ(٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٨٨) سَيَقُولُونَ لله قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ(٨٩) ﴾ [المؤمنون : ٨٤- ٨٩] .

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه ، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه ، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا تسمع ولا تبصر ، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له ، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك ، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب ، إلا ما حصل من فرعون ؛ فإنه أنكره على سبيل التعطيل مكابرة ؛ فإنه عطل الله من ربوبيته وأنكر وجوده ، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى(٢٤) ﴾ [النازعات: ٢٤] ، ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] . وهذه مكابرة منه لأنه يعلم أن الرب غيره ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ [النمل: ١٤] ، وقال تعالى حكاية عن موسى وهو يناظره: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً(١٠٢) ﴾ [الإسراء: ١٠٢] ؛ فردَّ عليه موسى: لقد تيقَّنتَ يا فرعون أنه ما أنزل تلك المعجزات التسع الشاهدة على صدق نبوتي إلا رب السموات والأرض ؛ لتكون دلالات يَستدِل بها أولو البصائر على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته ، وإني لعلى يقين أنك يا فرعون هالك ملعون مغلوب ، فهو في نفسه مقر بأن الرب هو الله عز وجل .

غير أن هؤلاء المشركين جعلوا لله من خلقه شركاء ووسائط ، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى ؛ ولذا قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا .

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة .

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله ، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له ، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة فإذا لم يأت بذلك فهو كافر (٦) .

رابعًا : مظاهر شرك الربوبية في الأمة الإسلامية

أيها الأحبة الكرام ، هناك صور عديدة لشرك الربوبية في زماننا ذكرها فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري في كتاب عقيدة المؤمن نذكر منها :

١- اعتقاد كثير من عوام المسلمين أن هناك في الكون أقطابا ، وأبدالا من الأولياء والصالحين لهم قدر من التصرف في حياة الناس ، فهو يولون ويعزلون ، ويعطون ويمنعون ، ويضرون وينفعون ، كما أن لهم ديوانا يطلق عليه ديوان الصالحين ، منه تصدر القرارات والمراسيم ، فتعلقت قلوب كثير من المسلمين بالصالحين ، فهتفت بهم الألسنة ، واستغيث بهم عند الشدائد .

٢- اعتقاد كثير من المنتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفا بعد موتهم وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ، ورسخ في نفوس كثير من المسلمين حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذا لكل خائف ، ومستشفى لكل مريض ، فمن أصابه كرب أو حلت به نكبة فزع إلى أصحاب تلك الأضرحة والمشاهد والقبور ، راجيًا تفريج كربه ، وقضاء حاجته !

٢- الرهبة من الجن والخوف منهم ، والاستغاثة بهم وتقديم القرابين لهم كالتي تذبح على أعتاب المنازل عند إتمام بنائها وإرادة السكن بها إذ الحامل على ذلك إعتقاد أن الجن لهم تصرفات خارجة عن إرادة الله تعالى وتدبيره .

٣- تقديس المشايخ من رجال التصوف ، والمشعوذين ، وطاعتهم في غير طاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله بل فيما هو مكروه لله ورسوله ، وقبول ما يشرعون من البدع ، وما يسنون لهم من سنن الأباطيل ، لإعتقادهم فيهم بأنهم يعلمون سرهم ونجواهم وأنهم يكاشفوهم في كل أحوالهم فأصبحت هذه المشايخ لهم أربابا من دون الله تعالى لهم .

٤- الخضوع للحكام غير المسلمين ، والخضوع التام لهم ، وطاعتهم بدون إكراه منهم لهم ، حيث حكموهم بالباطل ، وساسوهم بقوانين الكفر والكافرين ، فأحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم في كل ذلك ، وهذا يعتبر شرك ظاهر في ربوبية الله تعالى اهـ .

خامسًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١٠) ما حكم من يدعي علم الغيب؟ الفتوى ٢٢

الحكم فيمن يدعي علم الغيب أنه كافر ؛ لأنه مكذب لله ﷻ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل :٦٥] ، وإذا كان الله ﷻ يأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله ﷻ في هذا الخبر . ونقول لهؤلاء: كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟! فإن قالوا: نحن أشرف من الرسول ، كفروا بهذا القول ، وإن قالوا: هو أشرف ، فنقول: لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟! وقد قال الله ﷻ عن نفسه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن :٢٦] . وهذه آية

ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيّ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾[الأنعام :٥٠] .

١١) كيف نوفق بين علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته، وقوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾[لقمان :٣٤] ؟ الفتوى ٢٣

أحب أن أبين أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبدا ، فإذا تبين ذلك فقد قيل: إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف عما في الأرحام ، والعلم بكونه أنثى أو ذكرا فإن كان ما قيل باطلا فلا كلام ، وإن كان صدقا فإنه لا يعارض الآية ، حيث إن الآية تدل على أمر غيبي هو متعلق علم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة ، والأمور الغيبية في حال الجنين هي: مقدار مدته في بطن أمه ، وحياته ، وعمله ، ورزقه ، وشقاوته أو سعادته ، وكونه ذكرا أم أنثى ، قبل أن يخلَّق ، أما بعد أن يخلق ، فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب ، لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة ، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة ، التي لو أزيلت لتبين أمره ، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكرا أم أنثى ، وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة ، وكذلك لم تأت السنة بذلك .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الخامس[توحيـــــــــد الألوهية أو العبادة]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أيها الأحبة في الله ، إن توحيد الله عز وجل الذي جاءت به الرسل هو توحيد الألوهية ؛ لأن توحيد الربوبية والذي تكلمنا حوله في الدرس السابق قد فطر الله الخلق عليه ، وتوحيد الألوهية معناه أنه لا يجوز صرف شيء لله لغير الله عز وجل من العبادة والنسك وغير ذلك ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله ﴾ [الأنعام:١٦٢] ، وحول توحيد الألوهية سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا: تعريف توحيد الألوهية أو العبادة

أحبتي في الله ، توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ؛ الظاهرة ، والباطنة ، قولاً ، وعملاً ، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائناً من كان . والعبادة عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، وعرفها ابن القيم بأنها: كمال المحبة مع كمال الذل .

ثانيًا : أدلة وجوب توحيد الألوهية

إخوتي في الله ، لقد تظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية ، مثال ذلك :

١ – هناك آيات بالأمر المباشر بتوحيد الألوهية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] ، وقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء : ٣٦] ، وقوله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، ونحوها من الآيات .

٢ – توحيد الألوهية هو الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين أي الإنس والجن ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

٣ – توحيد الألوهية هو المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٧٣] ، ويوجد الكثير من الآيات التي تؤكد على أن كل رسول يبعثه الله تعالى يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له ، ولقد كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك ، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له ، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم ، فمن ذلك قول الله تعالى ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ٥٣] .

٤ – توحيد الألوهية هو المقصود من إنزال الكتب الإلهية ، كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢] .

٥ – من حقق توحيد الألوهية يعده الله بعظيم الثواب في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

٦ – عدم تحقيق توحيد الألوهية سببا في الحرمان من الجنة والعذاب الأليم يوم القيامة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته : فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ : « **يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ . . قَالَ : «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟** » قَالَ : قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** » ثُمَّ سَارَ سَاعَةً قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ** » ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟** » قَالَ : قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: « **أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ** » (١) .

وَعَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : « **إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ** » (٢) .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ** » وَقُلْتُ أَنَا مَنْ مَاتَ وَهْوَ لَا يَدْعُو للهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ (٣) . والأحاديث في هذا الباب كثيرة (٦) .

ثالثًا : أركان العبادة وشروطها

أيها الأحبة في الله ، تترّكز العبادة على ثلاثة أركان: المحبة ، والخوف ، والرجاء ، فالمحبة والخوف والرجاء هي ركائز العبادة وأساسها ، فإذا اجتمعتْ تحقّقت العبادة ونفعت كالصلاة والحج وسائر العبادات ، أما إذا اختلّتْ هذه الثلاثة فإن الإنسان وإن صام وإن صلى وإن حج فإنها لا تكون عبادته صحيحة .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٢٦٧ ، ومسلم ٣٠ واللفظ لمسلم .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٣٧٢ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٤٩٧ .

الركن الأول : كمال الحب للمعبود سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

الركن الثاني : كمال الرجاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

الركن الثالث : كمال الخوف من الله سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين :

١ – الإخلاص فيها للمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

٢ – المتابعة للرسول ﷺ ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] ، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » [(١)] .

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ ، قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧] : **" أخلصه وأصوبه "** ، قيل : يا أبا علي ، وما أخلصه وأصوبه ؟ قال : **" إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة "** (٦) .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٩٧ ومسلم١٧١٨ واللفظ للبخاري .

رابعًا : أنواع العبادة

أيها الأحبة الكرام ، العبادة أنواعها كثيرة منها عبادات القلب ، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك ، وعبادات اللسان ، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك ، وعبادات الجوارح ، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد ، ونحو ذلك ، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفيما يلي بعض أمثلة من أنواع العبادة :

١ - الدعاء بنوعيه دعاء المسألة ، ودعاء العبادة ، فدعاء المسألة ، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة ، ودعاء العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة ؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها ، قال الله تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر : ١٤] .

٢ - المحبة والخوف والرجاء فالمؤمن الموحد المحسن محبته لله تعالى ، محبة عبودية وتذلل وخضوع وتعظيم ، وهذه المحبة لا تكون إلا لله الواحد القهار سبحانه وتعالى ولا يجوز فيها الشرك أبدًا ، فالدليل على أن المؤمنين أخلصوا المحبة لله وحده قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لله ﴾[البقرة :١٦٥] ، والله تعالى يحث المؤمنين على عدم الخوف إلا منه قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :١٧٥] ، ويثني الله تعالى على أنبيائه فيقول : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً ﴾[الأحزاب : ٣٩] ، والدليل على أن المؤمنين يرجون رحمة الله قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة :٢١٨] ، فالمؤمن يكون في حياته ما بين الخوف من عذاب الله ، ورجاء رحمته وثوابه

ففي الصحة يُغَلِّبُ الخوف على الرجاء ، وفي مرض الموت يُغَلِّبُ الرجاء على الخوف ولا يقنط من رحمة الله .

٣ – التوكل على الله : وهو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣] .

٤– الرغبة والرهبة والخشوع ، فأما الرغبة : فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب ، والرهبة : الخوف المثمر للهرب من المخوف ، والخشوع : الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي ، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

٥ – الخشية ، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه ،قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، الخشية والخوف متقاربان ؛ إلا أن أهل العلم يقولون إن الفرق أن الخشية لا تكون إلا عن علم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ ﴾ [فاطر :٢٨] ، بخلاف الخوف فقد يخاف الإنسان من الْمخوَّف وهو لا يعلم عن حاله .

٦– الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر : ٥٤] .

٧ – الاستعانة ، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ [الفاتحة :٥] .

٨ – الاستعاذة ، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) ﴾ [الفلق:١–٢] .

٩ - الاستغاثة ، وهو طلب الغوث ، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٩] .

١٠ - الذبح ، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص تقربا إلى الله ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

١١- النذر ، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما ، أو طاعة لله غير واجبة ، قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] .

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة ، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله (٦) .

خامسًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١٢) ما الحكمة من خلق الجن والإنس؟ الفتوى ٣٠

هناك قاعدة عامة فيما يخلقه الله ﷻ وفيما يشرعه وهذه القاعدة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[التحريم :٢] ، وغيرهما من الآيات الكثيرة الدالة على إثبات الحكمة لله ﷻ فيما يخلقه وفيما يشرعه ، فما من شيء يشرعه الله تعالى إلا لحكمة سواء كان ذلك في إيجابه أو تحريمه أو إباحته ، قد تكون معلومة لنا ، وقد تكون مجهولة ، وبخصوص خلق الجن والإنس قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات : ٥٦] .

وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون :١١٥] ، وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾[القيامة :٣٦] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن لله تعالى حكمة بالغة من خلق الجن والإنس وهي عبادته ، والعبادة هي: **" التذلل لله ﷻ محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه "** قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[البينة :٥] ، فهذه الحكمة من خلق الجن والإنس .

١٣) ما مفهوم العبادة؟ الفتوى ٣١

المفهوم العام للعبادة: هي: **" التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره، واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه "**.

والمفهوم الخاص للعبادة : قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية : هي: **" اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك من شرائع الإسلام "** ا هـ .

وقد يكون قصد السائل بمفهوم العبادة ما ذكره بعض العلماء من أن العبادة إمّا عبادة كونية ، أو عبادة شرعية ، يعني أن الإنسان قد يكون متذللا لله سبحانه وتعالى تذللا كونيا وتذللا شرعيا .

فالعبادة الكونية تشمل المؤمن والكافر ، والبر والفاجر لقوله تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم :٩٣] ، فكل من في السماوات والأرض فهو خاضع لله سبحانه وتعالى كونا فلا يمكن أبدا أن يضاد الله أو يعارضه فيما أراد سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية .

وأما العبادة الشرعية : فهي التذلل له سبحانه وتعالى شرعا فهذه خاصة بالمؤمنين بالله سبحانه وتعالى القائمين بأمره ، ثم إن منها ما هو خاص أخص

كعبودية الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، مثل قوله الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان :١] ، وقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ [البقرة:٢٣] ، وقوله: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [ص:٤٥] ، وغير ذلك من وصف الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، بالعبودية .

والعابدون بالعبودية الكونية لا يثابون عليها ؛ لأنهم خاضعون لله تعالى شاءوا أم أبوا ، فالإنسان يمرض ، ويفقر ، ويفقد محبوبه من غير أن يكون مريدا لذلك بل هو كاره لذلك لكن هذا خضوع لله ﷻ خضوعا كونيا .

١٤) ما حكم التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام؟ الفتوى ٣٧٦

التوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة أقسام: أن يتوسل بالإيمان به ، واتباعه ؛ وهذا جائز في حياته ، وبعد مماته ، أو أن يتوسل بدعائه أي بأن يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له فهذا جائز في حياته لا بعد مماته ؛ لأنه بعد مماته متعذر ، أو أن يتوسل بجاهه ، ومنزلته عند الله ؛ فهذا لا يجوز لا في حياته ، ولا بعد مماته ؛ لأنه ليس وسيلة ؛ إذ إنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده ؛ لأنه ليس من عمله ، فإذا قال قائل: جئت إلى الرسول ﷺ عند قبره ، وسألته أن يستغفر لي ، أو أن يشفع لي عند الله فهل يجوز ذلك أو لا؟ قلنا: لا يجوز .

فإذا قال: أليس الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء :٦٤] .

قلنا إذ هذه ظرف لما مضى ، وليست ظرفًا للمستقبل لم يقل الله: "ولو أنهم إذا ظلموا" بل قال: ﴿ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ . فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد ؛ بل ولا يستغفر لنفسه أيضًا ؛ لأن العمل انقطع .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس السادس[حماية رسول الله لجناب التوحيد <1>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، لقد حرص النبي ﷺ على حماية جناب التوحيد ولما سمع النبي ﷺ رجلاً يقول له: ما شاء الله وشئتَ ، قال: أجعلتَني لله نداً؟! قل: ما شاء الله ثم شئتَ ، مع أنه لم يخطر ببال الرجل - فيما أظن- أن يكون جَعَل محمداً ﷺ نداً لله ، فما بالك بالذين يقولون يا بدوي أغثني! يا جيلاني أمدني! يا دسوقي ادفع عني! ، وحول حماية رسول الله ﷺ لجناب التوحيد سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا: النهي عن الغلو في الصالحين والأولياء

أحبتي في الله ، الولي هو كل من آمن بالله واتقاه واتبع رضوانه واتبع رسوله ﷺ ، والولاية الحقَّة لا تكون إلا باتباع السنة والدليل ما أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» [(١)] ، ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر به وينتهون عما نهى عنه ، فيؤيدهم الله بملائكته وروح منه ، ويقذف الله في قلوبهم أنواره ، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين ، وخيار أولياء الله تكون كرامتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك ، وكرامات أولياء الله إنما حصلت

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ .

ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ وقد حصل للصحابة رضوان الله عليهم كرامات ، فقد كان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبره ، وكذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ، وأيضا كان خبيب بن عدي أسيرا عند المشركين بمكة ، وكان يؤتى بقطف عنب يأكله وليس بمكة عنب آنذك ، وأيضا ما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر حين قال: يا سارية الجبل فسمعه قائد الجيوش المسلمة سارية وبينهما آلاف الكيلو مترات .

وقد تكون الكرامات لحاجة الرجل الضعيف الإيمان ليقوى إيمانه ويسد حاجته ، وقد لا تحدث كرامات لمن هو أعلى منه إيمانا لعدم حاجته لها وغناه عنها ، ولهذا كانت الكرامات أكثر مع التابعين عن الصحابة ، وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية فقد يخدم الجن والشياطين بعض الفسقة فيخبرونهم بالأمور الغيبية ، أو يؤدون لهم خدمات خارقة ، فقد كان الأسود العنسي ، ومسيلمة الكذاب ، وكلاهما ادعى النبوة يستعينا بالشياطين في بعض المغيبات ، وأهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي ، ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير بهم الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما ، ومنهم من يحمله شيطانه عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجا شرعيا بل يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى الميقات ولا يلبي ولا يعتبر له حج ، ولذلك لو أن مدعي الولاية ، ولو ذكر الله ليلا ونهارا مع غاية الزهد ولم يكن متبعا للقرآن كان من أولياء الشيطان .

ولا يجوز بناء الأضرحة ذات القباب ، وتزيينها بالشموع ، وإقامة الموالد ، والاحتفالات يوم ميلاد من يظنون أنهم أولياء ، ولا النذر ، ولا الاستغاثة بهم ، فالنذر والاستغاثة من العبادات التي لا تصرف إلا لله تعالى لأن الله تعالى نهى عن ذلك كله في آيات كثيرة في القرآن منها قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٧٦) ﴾[المائدة :٧٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ

صَادِقِينَ(١٩٤)﴾[الأعراف :١٩٤] (١٦) .

ولقد حمى رسول ﷺ حدود التّوحيد حماية بليغة بحيث أنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصِّل إلى الشرك ، ولو كانت هذه الوسيلة في أصلها مشروعة كالصلاة والدعاء ، فإذا فُعلت عند القبور ، فهو وسيلة إلى الشرك ، ولو حسُنت نية فاعلها ، فالنية لا تبرّر ولا تزكي العمل إذا كان يؤدي إلى محذور .

فرسول الله ﷺ نهى عن الصلاة عند القبور ، ونهى عن الدعاء عند القبور ، ونهى عن البناء على القبور ، ونهى عن العكوف عند القبور ، واتخاذ القبور عيداً ، إلى غير ذلك ، كل هذا من الوسائل التي تُفضي إلى الشرك ، وهي ليست شركاً في نفسها ، بل قد تكون مشروعة في الأصل ، ولكنها تؤدي إلى الشرك بالله عَجَّل .

ولقد حصل الشرك في هذه الأمة بسبب الفتنة في القبور والغلو فيها ، وبسبب الغلو في الصالحين ، والغلو في الرسول ﷺ ، فالدين الذي جاءت به الرسل هو إخلاص العبادة لله عَجَّل .

أما عبادة القبور فهي دين أبي جهل وأبي لهب ودين المشركين ، ليست في دين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولكن إذا ظهر الجهل ، وظهر إتباع الهوى حصل في الأمة ما حصل من جعل هذه الأمور الشركية من الدين ، وجعل التّوحيد هو الخروج عن الدين ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** »[1] .

وفي هذا الحديث دليل على أنه ليس للصلاة عليه عند قبره خاصية ، بل إذا قصد الإنسان القبر لأجل الصلاة عليه فهذا منهي عنه ، لكن إذا قصد قبره للسلام عليه ويصلى عليه فهذا مشروع ، أما أن تقصده من أجل أن تجلس أو تقف

(١) (صحيح) اخرجه أبو داود ٢٠٤٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٢٢٦ .

وتصلي عليه دائماً فهذا غير مشروع ، لأنه مطلوب منك الصلاة والسلام عليه في أي مكان (٤٧) .

كما أن رسول الله نهى أمته في المغلاة في مدحه ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاس سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **لَا تُطْرُونِي ، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ الله ، وَرَسُولُهُ** » [(١)] .

والمراد من هذا الحديث ، أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية ، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي ، وقولوا : عبد الله ورسوله ، فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه ، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له ، وكل ذلك من الغلو في الدين ، فكيف بمن هو دونه ممن يقال عليهم أولياء ؟!!(٦) .

ولقد حذر رسول الله أمته من إتخاذ قبور الأنبياء مساجد كما هو حال اليهود والنصارى ، فَعَنْ جُنْدَبٌ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : « **أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» [(٢)] . فدل ذلك على أنه لا يجوز اتخاذ المساجد على القبور ولا يصلى فيها ؛ لأن هذا يفضي إلى الشرك بها وعبادتها .

ثانيًا : النهي عن دعاء غير الله تعالى

إخوتي في الله ، لقد حمى رسول ﷺ حدود التّوحيد حماية بليغة فلقد نهى رسول الله ﷺ عن دعاء غير الله ، والدعاء نوعان: دعاء مسألة ، ودعاء عبادة .

دعاء المسألة : ما كان فيه طلب وفيه سؤال يرفع يديه لله جل وعلا ويدعو ، هذا يسمى دعاء مسألة ، وهو الذي يغلب عند عامة المسلمين في تسمية الدعاء ، إذا

---

(١) (صحيح) اخرجه البخاري ٣٤٤٥ .
(٢) (صحيح) اخرجه مسلم ٥٣٢ .

قيل دعا فلان يعني سأل الله تعالى ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) ﴾[الأنعام ٦٣] .

دعاء العبادة : كما قال جل وعلا : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلَا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨] ، يعني لا تعبدوا مع الله أحدا أو لا تسألوا مع الله أحدا ، وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» [(١)] .

وقال العلماء: من سأل الله جل وعلا شيئا فهو داعٍ دعاء مسألة وهذا متضمن أنه يعبد الله ؛ لأن دعاء المسألة أحد أنواع العبادة ، فدعاء المسألة متضمن للعبادة لأنه جل وعلا يحب من عباده أن يسألوه ، والدعاء إنما يُتوجه به إلى الله .

والدعاء إنما يُتوجه به إلى الله وأيضا الاستغاثة إنما يُتوجه بها إلى الله جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا الله ، ويُشترط في المدعُو ثلاثة شروط: أن يكون مالكاً لما يطلب منه ، أن يكون يسمع الداعي ، أن يكون يقدر على الإجابة .

وهذه الأمور لا تتّفق إلاّ في الله سبحانه وتعالى ، فإنه المالك السميع القادر على الإجابة ، أما هذه المعبودات فهي فقيرة ، ليس لها ملك لأدنى شيء حتى القشرة الرقيقة البيضاء التي تكون على نواة التمرة ، قال تعالى: ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) ﴾[فاطر:١٣] ولا تسمع مَنْ دعاها قال تعالى : ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ [فاطر:١٤] ، ولو سمعت فإنها لا تقدر على الإجابة ، قال تعالى : ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ [فاطر:١٤] (٤٧) ، فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا ، ومن دعا حيا بما يقدر عليه مثل أن يقول : يا فلان أطعمني ، أو يا فلان اسقني ، ونحو ذلك فلا شيء عليه ، ومن دعا ميتا أو غائبا بمثل هذا فإنه مشرك ؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا(٦) .

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٤٧٩ وصححه الألباني في ص . ج٣٤٠٧

ثالثًا : النهي عن النذر لغير الله تعالى

أيها الأحبة في الله ، لقد حمى رسول ﷺ حدود التّوحيد حماية بليغة فنهى عن النذر لغير الله ، فالنذر عبادة لله ﷻ ، والله تعالى مدح الذين يوفون بالنذر قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] ، وهذا يدل على أن الوفاء بالنذر واجب لأنه إلزام بالطاعة .

ولقد حذر الله تعالى منْ لم يوف بالنذر في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ(٢٧٠)﴾ [البقرة :٢٧٠] .

فإن الله تعالى يعلم ما تصدقتم به من مال أو غيره كثير أو قليل ابتغاء مرضات الله أوجبتم على أنفسكم شيئًا من مال أو غيره ، وهو المُطَّلِع على نياتكم ، وسوف يثيبكم على ذلك ، ومَن منع حق الله فهو ظالم ، والظالمون ليس لهم أنصار يمنعونهم من عذاب الله .

أما النذور الواقعة من عباد القبور تقربًا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم وليشفعوا لهم كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلُواْ لله مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ(١٣٦)﴾ [الأنعام :١٣٦] .

قال الشيخ قاسم الحنفى في شرح درر البحار : النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيقول : يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عُوفِي مريضي أو قَضَيتَ حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت فهذا النذر باطل بالإجماع لأنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ولأن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ولأنه ظن أن الميت يتصرف في

الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر ولقد ابتلى الناس بهذا لا سيما في مولد البدوى (٣٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ** » [١] .

لذا يجب الوفاء بالنذر الذي يكون فيه طاعة لله ﷻ ؛ كأن يقول: لله عليَّ أن أُصَلِّيَ كذا وكذا ، فهذا النذر ليس في مقابلة شيء يحدث له في المستقبل ، أو شيء حدث له ، فهذا يجب عليه أن يوفي بهذا النذر ، أو يكون النذر نذرًا مقيدًا كأن يقول: إن شفى الله مريضي فلله عليَّ أن أتصدق بمبلغ كذا وكذا ، فهذا أيضًا يجب عليه أن يوفي بنذره لله جل وعلا ، ولقد نهى النبي ﷺ عن النذر وكرهه ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ النَّذْرِ وَقَالَ: « **إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ** »[٢] .

رابعًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١٥) ماذا عن من يعبد القبور بالطواف حولها ودعاء أصحابها والنذر لهم إلى غير ذلك من أنواع العبادة ؟ الفتوى ٢٨٩ .

إن أصحاب القبور لا ينفعون أحدًا ولا يضرونه ولا يجوز لأحد أن يتعلق بهم ، وإن قُدر أن أحدًا رأى كرامات لهم مثل أن يتراءى له أن في قبورهم نورًا ، أو أنه يخرج منها رائحة طيبة أو ما أشبه ذلك وهم معروفون بأنهم ماتوا على الكفر فإن هذا من خداع إبليس وغروره ليفتن هؤلاء بأصحاب هذه القبور .

وإنني أحذر إخواني المسلمين من أن يتعلقوا بأحد سوى الله ﷻ ، فإنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ، ولا يجيب دعوة المضطر إلا الله ، ولا يكشف السوء إلا الله ، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٦٩٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦٣٩ .

نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل :٥٣] . ونصيحتي لهم أيضًا أن لا يقلدوا في دينهم ولا يتبعوا أحدًا إلا رسول الله ﷺ ؛ لقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب :٢١] ، ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[آل عمران :٣١] .

ويجب على جميع المسلمين أن يَزِنُوا أعمال من يدعي الولاية بما جاء في الكتاب والسنة فإن وافق الكتاب والسنة فإنه يرجى أن يكون من أولياء الله ، وإن خالف الكتاب والسنة فليس من أولياء الله ، وقد ذكر الله في كتابه ميزانًا قسطًا عدلًا في معرفة أولياء الله حيث قال: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس :٦٢] .

فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا ، ومن لم يكن كذلك فليس بولي لله ، وإن كان معه بعض الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية ، ومع ذلك فإننا لا نجزم لشخص بعينه بشيء ولكننا نقول على سبيل العموم: كل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا .وليعلم أن الله ﷻ قد يفتن الإنسان بشيء من مثل هذه الأمور ، فقد يتعلق الإنسان بالقبر فيدعو صاحبه أو يأخذ من ترابه يتبرك به فيحصل مطلوبه ، ويكون ذلك فتنة من الله ﷻ؛ لهذا الرجل لأننا نعلم أن هذا القبر لا يجيب الدعاء ، وأن هذا التراب لا يكون سببًا لزوال ضرر أو جلب نفع نعلم ذلك لقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف :٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) ﴾[النحل :٢٠-٢١] ، والآيات في هذا كثيرة تدل على أن كل من دعي من دون الله فلن يستجيب الدعاء ولن ينفع الداعي ، ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنة وامتحانًا .

١٦) ماذا عن حكم النذر والتبرك بالقبور والأضرحة ؟ الفتوى ٢٩٠

النذر عبادة لا يجوز إلا لله ﷻ وكل من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فإنه مشرك كافر ، قد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وأما التبرك بها: فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله ﷻ فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملة ، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله فهو ضال غير مصيب ، وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر ، فعلى من ابتلي بمثل هذه المسائل أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يقلع عن ذلك قبل أن يفاجئه الموت ، فينتقل من الدنيا على أسوأ حال ، وليعلم أن الذي يملك الضر والنفع هو الله وتعالى ، وأنه هو ملجأ كل أحد ، كما قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل :٦٢] ، وبدلًا من أن يتعب نفسه في الالتجاء إلى قبر فلان وفلان ، ممن يعتقدونهم أولياء ، ليلتفت إلى ربه ﷻ وليسأله جلب النفع ودفع الضر ، فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك هذا .

١٧) ما حكم من يدعو وينذر ويستغيث ويستعين بالأموات؟ الفتوى ٣٩

الزيارة لأجل الدعاء لهم جائزة ما لم تستلزم محظورًا ، أما من زارهم ونذر لهم وذبح لهم أو استغاث بهم ، فإن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة ، يكون صاحبه به كافرًا مخلدًا في النار .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السابع [حماية رسول الله لجناب التوحيد <٢>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، لقد كان النبي ﷺ حريصاً على صيانة جناب التوحيد حتى ولو باللفظ ، لا أقول بالفعل – حاشا لله – إنما باللفظ ، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والانحراف في حقه ، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**»، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**لَعْنَةُ الله عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، والحاصل : أن بعض هذه الأمة خالف ما دعا إليه النبي ﷺ وأمر به من حماية جناب التوحيد ، فاتخذوا القبور مساجد ، وأعيادا ، وبنوا عليها المشاهد ، وأسرجوها ، وقدموا لها الذبائح والنذور ، وطافوا حولها ، وجعلوها كالكعبة . . . ، وحول حماية رسول الله لجناب التوحيد مازال الحديث متصلًا ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : النهي عن الإستغاثة بغير الله تعالى

أحبتي في الله ، الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذى شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير ، والاستعاذة من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده كما قال تعالى : ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)**﴾ [الأعراف :٢٠٠] ، وأمثال ذلك في القرآن كثير .

فلقد كان المشركون إذا نزلوا بواد أو بمكان مخوف كانوا يعتقدون أن لكل مكان مخوف جني أو سيّد من الجن يخدم ذلك المكان ويسيطر عليه ، فكانوا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يعنون الجن فزاد الجنُّ الإنسَ خوفا واضطراباً وتعباً في الأنفس قال تعالى عنهم : ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ**

يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[الجن: ٦] ، والله سبحانه وتعالى أمر أن يُستعاذ به دون ما سواه فقال سبحانه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] ، وقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١] . وقال ﴿قُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ(٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨] ، والآيات في ذلك كثيرة كقوله ﴿إِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾[الأعراف :٢٠٠] ، ولذلك فإن الله أمر نبيه أن تكون استعاذته به وحده دون ما سواه ، فعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامّاتِ – أي الكلمات النافعة الشافية – مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتّىَ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» [(١)] .

ولقد أجمع أهل السنة والجماعة على الاستدلال بهذا الحديث على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وأنه لما أمر بالاستعاذة بكلمات الله فإن كلمات الله جل وعلا ليست بمخلوقة ، ﴿مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ﴾ يعني أستعيذ بكلمات الله جل وعلا من شر الأنفس الشريرة والمخلوقات التي فيها شر(٣٨) .

ثانيًا :النهي عن خوف السر

إخوتي في الله ، لقد حمى رسول ﷺ حدود التّوحيد حماية بليغة ، بحيث أنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصِّل إلى الشرك ، ولو كانت هذه الوسيلة في أصلها مشروعة فنهى عن خوف السر ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : أن الشيطان يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه ، لئلا يجاهدوهم ، لا يأمروهم بمعروف ، ولا ينهوهم عن منكر . وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه . ونهانا أن نخافهم .

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٧٠٨ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة:١٨] .

وقال ابن القيم رحمه الله : الخوف عبودية القلب ، فلا يصلح إلا لله ، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب .

ومن أنواع الخوف:

خوف السر : وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ، وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ، ويُخَوِفُون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله ، وهذا ينافي التوحيد .

الخوف الطبيعي : وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك ، فهذا لا يذم ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[القصص:٢١] (٣٣) .

ثالثًا : النهي عن البدع صغيرها وكبيرها

أيها الأحبة في الله ، البدعة شرعًا هي : كل ما خالف الكتاب والسنة ، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين ، والبدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة ، وآثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه . فالبدع : إحداث في الدين ، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله ، والبدعة سبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة ، والمبتدع يحمل وزره ووزر من تبعه في بدعته ، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنِّي فَرَطُكُمْ – أي: سابقكم – عَلَى الْحَوْضِ ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ – وزاد أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا – أي

:بعدا بعدا – لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي » [(١)] .

وللبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح ، الأمر الذي يؤدي إلى الجهل بمصادر التشريع ، والبدعة تبدأ صغيرة تشبه الحق ثم تعظم وتصبح دينًا يدان بها يخالف الصراط المستقيم .

وكذلك من أسباب انتشار البدع ، التعلق بالشبهات والاعتماد على العقل المجرد وجلساء السوء ، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة على بدعهم ، والتشبه بالكفار ، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة ، ومن تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة على أصحابها من غير فرق بين بدعة وأخرى ، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة ، ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ ، فَهُوَ رَدٌّ** – أي: لا يثاب عليه بل يأثم –» [(٢)] .

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . . يَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى** – أي: الطريقة والمذهب – **هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ** – أي: كل شيء عمل على غير مثال سابق – **ضَلاَلَةٌ** . [(٣)]

فدل الحديثان على أن كل مُحْدَثٍ في الدين فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة مردودة ، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها ، وتقديم الذبائح والنذور لها ، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم ، ومنها

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٨٣ ، ٦٥٨٤ و مسلم ٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٩٧و مسلم ١٧١٨ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٨٦٧ .

ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور ، والصلاة والدعاء عندها ، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع ، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائما في الشمس . .إلخ (٦) .

رابعًا : النهي عن الرياء

أيها الأحبة الكرام ، لقد حمى رسول ﷺ حدود التّوحيد حماية بليغة ، بحيث أنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصِّل إلى الشرك ، فنهى عن الرياء وهو أن يعمل الرجل العمل من أجل الثناء عليه أو من أجل منفعة دنيوية ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : المراد بالرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها والفرق بينه وبين السمعة : أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة . والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف:١١٠] .

وقال ابن القيم رحمه الله في الآية : كما أن الله واحد لا إله سواه ، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ، فالعمل الصالح : هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة ، والآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث الله به رسول الله ﷺ والمرسلين قبله ، هو إفراده الله تعالى بأنواع العبادة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: « **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** »[1] .

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى : واعلم أن العمل لغير الله أقسام فتارة يكون رياء محضاً كحال المنافقين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء:١٤٢] ، فَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ أَخْوَفَ مَا**

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٨٥ .

أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ » قَالُوا : وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « الرِّيَاءُ يَقُولُ : اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ ، اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا ، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً » [(١)] .

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء ، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » [(٢)] .

وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء ، فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف ، وإن استرسل معه فرجح الإمام أحمد وابن جرير ، أن عمله لا يبطل بذلك ، وأنه يجازي بنيته الأولى (٣٣) .

ومن الأخطاء أن يُترك العمل خوفاً من الرياء ، فيترك الرجل مثلاً إمامة الجماعة ، وخطبة الجمعة ، والتدريس في المسجد ، والوعظ والإرشاد ، والتبكير إلى المسجد ، لذلك يقول القاضي عياض رحمه الله: ترك العمل من أجل الناس رياء ، كما أن العمل من أجل الناس شرك (٤٧) .

خامسًا: من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١٨) كيف نجيب عباد القبور الذين يحتجون بدفن النبي ﷺ في المسجد النبوي ؟ الفتوى ٢٩١

الجواب عن ذلك من وجوه : فالمسجد لم يبن على القبر ، بل بني – أي المسجد- في حياة النبي ﷺ ، كما أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد ؛ بل دفن ﷺ في بيته ، وأن إدخال بيوت الرسول ﷺ ، ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق الصحابة ، بل بعد أن انقرض أكثرهم ، وذلك

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٦٠٠وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٥٥٥

(٢) (صحيح) اخرجه مسلم ٢٩٨٥ .

في عام أربعة وتسعين هجرية تقريبًا ، فليس مما أجازه الصحابة ؛ بل إن بعضهم خالف في ذلك ، وممن خالف أيضًا سعيد بن المسيب ، وأن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله ؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد فليس المسجد مبنيًّا عليه ، ولهذا جعل هذا المكان محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران ، وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة أي أنه مثلث ، والركن في الزاوية الشمالية حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى ؛ لأنه منحرف ، وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة .

١٩) ماذا عن رجل بنى مسجدًا وأوصى أن يدفن فيه فدفن فما العمل الآن ؟ الفتوى ٢٩٢

هذه الوصية أعني الوصية أن يدفن في المسجد غير صحيحة ؛ لأن المساجد ليست مقابر ، ولا يجوز الدفن في المسجد ، وتنفيذ هذه الوصية محرم ، والواجب الآن نبش هذا القبر وإخراجه إلى مقابر المسلمين .

٢٠) ماذا عن رجل توفي وبعد مدة رآه رجل في المنام وطلب منه أن يخرجه من القبر ويبني له مقامًا ففعل فما حكم هذا العمل ؟الفتوى ٣٠٢

الحكم في هذا أنه فعل محرم ، وأن المَرَائي التي تُرَى في المنام إذا كانت مخالفة للشرع فإنها باطلة ، وهي من ضرب الأمثلة التي يضربها الشيطان ومن وحي الشيطان ، فلا يجوز تنفيذها أبدًا ؛ لأن الأحكام الشرعية لا تتغير بالمنامات ، والواجب عليهم الآن أن يهدموا هذا المقام الذي بنوه له ، وأن يردوه إلى مقابر المسلمين ، ونصيحتي لهؤلاء وأمثالهم أن يعرضوا كل ما رأوه في المنام على الكتاب والسنة ، فما خالف الكتاب والسنة ، فمطروح مردود ولا عبرة به ، ولا يجوز للإنسان أن يعتمد في أمور دينه على هذه المرائي الكاذبة ؛ لأن الشيطان أقسم بعزة الله عز وجل أن يغوي بني آدم إلا عباد الله المخلصين ، فمن كان مخلِّصًا لله ومخلَّصًا له ، متبعًا لدينه ، مبتغيًا لدينه ، فإنه يسلم من إغواء الشيطان وشره ، وأما من كان على خلاف ذلك فإن الشيطان يتلاعب به في عبادته ، وفي اعتقاداته ، وفي أفكاره ، وفي

أعماله ، فليحذره ، يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦] .

٢١) هل يشرع للإنسان أن يقول: "اللهم اجعلني لقبر نبيك محمد ﷺ من الزائرين" أو يقول: "لمسجد نبيك محمد ﷺ من الزائرين ؟" الفتوى ٣٠٤

المشروع أن يقول لمسجده ﷺ من الزائرين ؛ لأن مسجده هو الذي تشد إليه الرحال وليس قبره ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « **لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى** » [(١)] .

٢٢) ماذا عن حكم زيارة المقابر ؟ وحكم قراءة الفاتحة عند زيارتها ؟ وحكم زيارة النساء للقبور ؟ الفتوى ٣٠٨

زيارة القبور سنة أمر بها النبي ﷺ بعد أن نهى عنها ، فَعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا** »[(٢)] .

فزيارة القبور للتذكر والاتعاظ سنة ، وينبغي لمن زار المقبرة أن يدعو بما كان النبي ﷺ يدعو به ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**» [(٣)] .

ولم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور ، وعلى هذا فقراءة الفاتحة عند زيارة القبور خلاف المشروع عن النبي ﷺ ، وأما زيارة القبور للنساء فإن ذلك محرم ؛ فَعَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زُوَّارَاتِ الْقُبُورِ [(٤)] ، فلا يحل للمرأة أن تزور المقبرة ، هذا إذا خرجت من بيتها لقصد الزيارة ، أما

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١١٨٩ ، ومسلم ١٣٩٧ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٩٧٧ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٤٩ .
(٤) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ١٥٧٦ وصححه الألباني في ص . ج ٥١٠٩ .

إذا مرت بالمقبرة بدون قصد الزيارة فلا حرج عليها أن تقف وأن تسلم على أهل المقبرة بما علمه النبي ﷺ أمته أ هـ .

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتاب الجنائز مختصرا : والنساء كالرجال في استحباب زيارة القبورلعموم قوله ﷺ: « **نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا** »[1] ، فإن مما لا شك فيه أن النهي كان شاملا للرجال والنساء معا ، وذكر رحمه الله أدلة أخرى ، ثم قال : لكن لا يجوز لهن الإكثار من زيارة القبور والتردد عليها لأن ذلك قد يفضي بهن إلى مخالفة الشريعة من مثل الصياح ، والتبرج ، واتخاذ القبور مجالس للنزهة وتضييع الوقت في الكلام الفارغ كما هو مشاهد اليوم في بعض البلاد الإسلامية وهذا هو المراد – إن شاء الله – من حديث: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زُوَّارَاتِ الْقُبُور .

٢٣) ما الحكم فيمن أراد بعبادته شيئا آخر ؟ الفتوى ٣٨

إذا أراد العبد بعبادته شيئا آخر ففيه تفصيل : فهو إما أنه يريد التقرب إلى غير الله تعالى في هذه العبادة ونيل الثناء عليها من المخلوقين فهذا يحبط العمل .

وإما أنه يقصد بها الوصول إلى غرض دنيوي كالرئاسة ، والجاه ، والمال دون التقرب بها إلى الله تعالى فهذا عمله حابط لا يقربه إلى الله تعالى لقول الله تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٦)** ﴾ [هود:١٥-١٦] .

وإما أنه يقصد بها التقرب إلى الله تعالى والغرض الدنيوي الحاصل بها مثل أن يقصد مع نية التعبد لله تعالى بالطهارة تنشيط الجسم وتنظيفه ، فإن غلب عليه نية

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٩٧٧ .

التعبد فقد فاته كمال الأجر ، . . وإن غلب عليه نية غير التعبد فليس له ثـواب في الآخرة وإنما ثوابه ما حصله في الدنيا ، وأخشى أن يأثم بذلك . .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس الثامن[حماية رسول الله لجناب التوحيد <٣>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله . .أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، لقد حرص النبي ﷺ على حماية جناب التوحيد وسد كل طريق توصل إلى الشرك ، حتى في قبره عليه الصلاة والسلام ، فإذا كان قد نهى عن اتخاذ قبره مسجدا ، أو عيدا ، فمن باب أولى قبور غيره من الأنبياء والمرسلين ، والصالحين ، فإنهم أولى بذلك ؛ لأنه أفضل خلق الله عليه الصلاة والسلام ، فالحاصل : أن بعض هذه الأمة خالف ما دعا إليه النبي ﷺ وأمر به من حماية جناب التوحيد ، فاتخذوا القبور مساجد ، وأعيادا ، وبنوا عليها المشاهد ، وأسرجوها ، وقدموا لها الذبائح والنذور ، وطافوا حولها ، وجعلوها كالكعبة . . ، وحول حماية رسول الله لجناب التوحيد مازال الحديث متصلًا ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : النهي عن الرقى الشركية والتمائم والتولة والقلائد

أحبتي في الله ، لقد حمى رسول ﷺ حدود التّوحيد حماية بليغة ، بحيث أنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصِّل إلى الشرك ، فنهى عن الرقى الشركية والتمائم والتولة لأنها شرك ، فَعَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ عَنْ ابْنِ أُخْتِ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ عَنْ زَيْنَبَ قَالَتْ : كَانَتْ عَجُوزٌ تَدْخُلُ عَلَيْنَا تَرْقِي مِنْ الْحُمْرَةِ ، وَكَانَ لَنَا سَرِيرٌ طَوِيلُ الْقَوَائِمِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ إِذَا دَخَلَ تَنَحْنَحَ وَصَوَّتَ ، فَدَخَلَ يَوْمًا فَلَمَّا سَمِعَتْ صَوْتَهُ احْتَجَبَتْ مِنْهُ فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِي فَمَسَّنِي ، فَوَجَدَ مَسَّ خَيْطٍ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : رُقًى لِي فِيهِ مِنْ الْحُمْرَةِ ، فَجَذَبَهُ وَقَطَعَهُ فَرَمَى بِهِ ، وَقَالَ : لَقَدْ أَصْبَحَ آلُ عَبْدِ اللهِ أَغْنِيَاءَ عَنْ الشِّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ** » قُلْتُ : فَإِنِّي خَرَجْتُ يَوْمًا فَأَبْصَرَنِي فُلَانٌ فَدَمَعَتْ عَيْنِي الَّتِي تَلِيهِ فَإِذَا رَقَيْتُهَا سَكَنَتْ دَمْعَتُهَا ، وَإِذَا تَرَكْتُهَا دَمَعَتْ ، قَالَ : ذَاكِ الشَّيْطَانُ إِذَا أَطَعْتِهِ تَرَكَكِ وَإِذَا عَصَيْتِهِ طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي عَيْنِكِ ، وَلَكِنْ لَوْ فَعَلْتِ كَمَا فَعَلَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانَ خَيْرًا لَكِ وَأَجْدَرَ أَنْ تُشْفَيْنَ تَنْضَحِينَ فِي عَيْنِكِ الْمَاءَ وَتَقُولِينَ « **أَذْهِبْ الْبَاسْ ، رَبَّ النَّاسْ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا** »[1] .

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة : الرقى هنا كل ما فيه الاستعاذة بالجن أو لا يفهم معناها ؛ مثل كتابة بعض المشايخ من العجم على كتابهم لفظة (ياكبيكج) لحفظ الكتب من الأرضة .

وقال العلماء : الرقية تجوز بثلاثة شروط أُجمع عليها:

الأول : أن تكون بالقرآن أو بأسماء الله أو بصفاته .

الثاني: أن تكون بالكلام العربي أي بلسان عربي مفهوم ؛ يُعلم معناه .

الثالث: أن لا يعتقد أنها تنفع بنفسها ؛ بل الله جل وعلا هو الذي ينفع بالرقى .

والمقصود أن الرقى الجائزة هي بالإجماع من اجتمعت فيها هذه الشروط ، وأمَّا الرقى الشركية غير الجائزة فهي التي فيها استعاذة أو استغاثة بغير الله ، أو كان فيها شيء من أسماء الشياطين ، أو اعتقد أن المَرقي فيها بأنها تؤثر بنفسها .

والتمائم : جمع تميمة وهي شيء يُعلَّق على الصدر ، أو يكون فيه أذكارا وأدعية وتعوُّذات تُجعل أيضا معلقة على الصدر أو في العضد ، أو خرزات وحبال

ونحو ذلك تعلق على الصدر ، أو شيء يتخذ في السيارة . .الخ ، ونقول: إن علّق التمائم للدفع أو الرفع فإنه شرك أصغر إن اعتقد أنها سبب ، وإن علقها للزينة فهو محرَّم لأجل مشابهته من يشرك الشرك الأصغر .

والتِّولة : فهو شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجه ، وهو نوع من الشرك ويسمى عند العامة الصرف والعطف ، وهو نوع من السحر يُصنع فيجلب شيئا ويدفع شيئا بحسب اعتقادهم ، وهي في الحقيقة نوع من

---

(١) **(صحيح)** أخرجه أحمد في مسنده ٣٦١٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٥٥ .

أنواع التمائم لأن السحرة هم الذين يرقون فيها الرقية الشركية ، فيجعل المرأة تحب زوجها أو يجعل الرجل يحب زوجته ، وهذا نوع من أنواع السحر ، والسحر شرك بالله جل وعلا وكفر ، وهذا أيضا عموم وكل أنواعه شرك (٣٨) .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ : أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا : « **أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ** – أي ما يعلق في العنق من جرس أو نعل أو غيره – **مِنْ وَتَرٍ** – أي من خيط – **أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ** »[1] .

من هذا الحديث يتضح أن القلادة من الوتر أي الخيط وربما أدخلوا فيها خرز أو نحو ذلك مأمور بقطعه ، ولأن في تعليقه اعتقاد أنه يدفع أو يجلب النفع ، وهذا الاعتقاد اعتقاد شركي (٣٨) .

ثانيًا : النهي عن التبرك بالشجر والحجر وغيره

إخوتي في الله ، لقد نهى رسول الله ﷺ عن التبرك بالأشجار أو الأحجار وغيره لأنها شرك ، وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه الذي قال فيه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « **سُبْحَانَ اللهِ ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى** ﴿ **اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ [الأعراف:١٣٨] ، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[2] .

إن الشرك الذي كان فيه المشركون لم يكن راجعا إلى التبرك بذات الأنواط فقط ، وإنما كان بالتعظيم والعكوف والتبرك بالتعليق ، وهذا شرك أكبر ، وهذا الذي كان

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٣٠٠٥ ومسلم ٢١١٥ واللفظ للبخاري .

(٢) **(صحيح)** أخرجه الترمذي ٢١٨٠ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٥٤٠٨ .

يصنعه أهل الجاهلية ، والنصوص في الكتاب والسنة دلت على أن البركة التي أعطاها الله جل وعلا بالأشياء:إمّا تكون أمكنة أو أزمنة ، أو مخلوقات آدمية .

القسم الأول : الأمكنة والأزمنة فالله ﷻ بارك ببعض الأماكن كبيت الله الحرام ، وكذا حول بيت المقدس ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾[الإسراء:١] ، ومعنى أنها المباركة أن يكون فيها الخير الكثير اللازم الدائم لها ، ليكون ذلك أشجع في أن يلازمها أهلُها الذين دُعوا إليها ، وهذا لا يعني أن يُتمسح بأرضها ، أو أن يُتمسح بحيطانها ، فبيت الله الحرام هو مبارَك لا من جهة ذاته ؛ يعني أن يُتمسح به فتنتقل البركة ، وإنما هو مبارك من جهة تعلق القلوب به وكثرة الخير الذي يكون لمن أراده وأتاه وطاف به وتعبَّد عنده .

حتى الحجر الأسود هو حجر مبارَك ، ولكن بركته لأجل العبادة ؛ يعني أنه من استلمه تعبُّدا مطيعا للنبي ﷺ في استلامه له وفي تقبيله فإنه يناله به بركة الإتباع ، وَقَدْ قَبَّلَ عُمَرُ الْحَجَرَ وَقَالَ إِنِّي لَأُقَبِّلُكَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ [(١)] .

وأمّا الأزمنة فمعنى كون الزمان مباركا مثل شهر رمضان أو بعض أيام الله الفاضلة ؛ يعني أن من تعبد فيها فإنه يناله من كثرة الثواب ما لا يناله في ذلك الزمان .

والقسم الثاني : البركة المنوطة ببني آدم: والبركة التي جعلها الله جل وعلا في الناس إنما هي بركة فيمن آمن ؛ لأن البركة من الله جل وعلا ، وجعل بركته للمؤمنين به ، وسادة المؤمنين هم الأنبياء والرسل ، والأنبياء والرسل بركتهم بركة ذاتية ؛ يعني أن أجسامهم مباركة ؛ بمعنى أنه لو تبرك أحد من أقوامهم بأجسادهم إما بالتمسح بها أو بأخذ عَرَقها أو بأخذ بعض الشعر فهذا جائز ؛ لأن الله جعل أجسادهم مباركة .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٦٠٥ ، ومسلم ١٢٧٠ واللفظ لمسلم .

وهذا مخصوص بالأنبياء والرسل ، أما غيرهم فلم يرد دليل أن لهم بركة ذاتية ، حتى أفضل هذه الأمة أبو بكر وعمر فقد جاء بالتواتر القطعي أنَّ الصحابة والتابعين والمخضرمين لم يكونوا يتبركون بأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ بجنس تبركهم بالنبي ﷺ وإنما هي بركة عمل راجعة إلى الإيمان وإلى العلم والدعوة والعمل .

فنقول: أن التبرك بأهل الصلاح هو الإقتداء بهم في صلاحهم ؛ والتبرك بأهل العلم هو الأخذ من علمهم والاستفادة من علومهم ، وهكذا ، ولا يجوز أن يُتبرك بهم بمعنى يتمسح بهم أو يُتبرك بريقهم وغير ذلك .

أما التبرك الشركي فتبرّك المشركين بالتوجه إلى آلهتهم ، وهذه الآلهة قد تكون صنم من الحجارة أو قبر من التراب أو وثن أو شجر أو بقعة أرض أو غار أو عين ماء ونحو ذلك ، وهذه تبركات شركية والتبرك بالشجر أو الحجر أو بالقبر أو ببقاع مختلفة فيكون شركا أكبر: إذا تمسح بها واعتقد أنها تتوسط له عند الله ، وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا ، وجدت أنهم يصنعون كما كان المشركون الأولون فإنهم يعتقدون في القبر ؛ بل يعتقدون في الحديد الذي يُسيَّج به القبر ، فالمشاهد المختلفة في البلاد التي يفشو فيها الشرك أو يظهر فيها الشرك ، تجد أنّ الناس يعتقدون في الحائط الذي على القبر ، أو في الشُّباك الحديدي الذي يحيط بالقبر ، فإذا مسحوا به كأنهم تمسحوا بالمقبور ، وظنوا بأنه سيتوسط لهم عند الله وهذا شرك أكبر ، أيضا ترى بعض الناس الجهلة يأتي في الحرم ويتمسح بأبواب الحرم الخارجية ، أو ببعض الجدران والأعمدة ، فهذا إن ظن أنه تمسح لأجل أن يصل إلى الله جل وعلا فهذا شرك أكبر ، وإذا تمسح باعتقاد أن هذا المقام مبارك وأن هذا سبب قد يشفيه فهذا يكون شركا أصغر (٣٨) .

ثالثًا : النهي عن الذبح لغير الله

أيها الأحبة في الله ، لقد نهى رسول الله ﷺ عن الذبح لغير الله ، قال تعالى

: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

فعبادة النسك وهي عبادة الذبح والنحر تكون لله جل وعلا بل إن سائر العبادات ينبغي أن تكون لله جل وعلا ، فعن عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « . . لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله . .» [(١)] ، وهذا وعيد يدل على أن الذابح لغير الله ملعون ، واللعن هو الطردَ والإبعاد من رحمة الله ، وكذلك نهى رسول الله ﷺ الذبح لله تعالى في مكان فيه عيد للمشركين ، أو وثن من أوثان الجاهلية ، فَعَن ثَابِت بن الضّحّاكِ ﷺ ، قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ ، فسأل النبي ﷺ فقال: « هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيّةِ يُعْبَدُ؟ » قالُوا: لاَ . قالَ: « فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قالُوا: لاَ . قالَ رسول الله ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنّهُ لاَ وَفَاءَ لِنِذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ الله ، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابنُ آدَمَ » [(٢)] .

وهناك أربعة أحوال مختلفة في الذبح :

الأول: أن يذبح بسم الله لله ، وهذا هو التوحيد مثل ما يُذبح من الأضاحي أو يُذبح من الهدي أو عقيقة أو يذبح للأضياف يذبحه المرء تعظيما لله جل وعلا ، ونحو ذلك مما أمر به شرعا فهذا لله ، وقد يذبح بسم الله ؛ لكن للحصول على اللحم للأكل أو لغير ذلك فهذا جائز .

الثانية: أن يذبح بسم الله لغير الله ، وهذا شرك في العبادة مثلا يقول بسم الله وينحر الدم ، وهو ينوي بإزهاق النفس وبإراقة الدم ينوي التقرب لهذا العظيم المدفون ، أو أن يتقرب به للأمراء كما يحدث عند استقبالهم في البادية بذبح الجمال وغيرها في وجوههم فيسيل الدم عند إستقبالهم ، فتكون الذبيحة قُصِد بها غير الله جل وعلا وهذه أفتى العلماء بتحريمها ؛ لأن فيها إراقة دم لغير الله جل وعلا .

---

(١) **(صحيح)** أخرجه مسلم ١٩٧٨ .

(٢) **(صحيح)** أخرجه أبو داود ٣٣١٣ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٣٤٣٧ .

الثالثة: أن يذبح بسم غير الله لغير الله ، وهذا شرك في الاستعانة ، وشرك في العبادة أيضا فيقول مثلا باسم البدوي أو باسم السيدة زينب أو غير ذلك ، فهو ينوى حين ذبح أن يريق الدم تقرباً لهذا المخلوق ، فهذا شرك من جهة الاستعانة وشرك من جهة العبودية والتعظيم وإراقة الدم لغير الله جلَّ وعلا .

الرابعة: أن يذبح بغير اسم الله ويجعل الذبيحة لله وهذا شرك في الربوبية .وهذا نادر ، وربما حصل من أنه يذبح للبدوي ، أو غيره ثم ينوي بهذا أن يتقرب إلى الله جل وعلا ، وهذا شرك في الاستعانة وفي العبادة ، قال الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] (٤٧) .

رابعًا : النهي عن التوكل على غير الله تعالى

أيها الأحبة الكرام ، لقد حمى رسول ﷺ حدود التّوحيد حماية بليغة ، بحيث أنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصِّل إلى الشرك ، فنهى عن التوكل على غير الله ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٢٣) ﴾ [المائدة:٢٣] .

قال ابن القيم : جُعِل التوكل على الله شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤] .

فجعل دليل صحة الإسلام التوكل ، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة ، وبين التوكل والإيمان ، وبين التوكل والتقوى ، وبين التوكل والإسلام ، وبين التوكل والهداية في مواضع مختلفة في كتاب الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣] ، قال ابن القيم رحمه الله وغيره : أي كافيه . ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ، وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض ، وأما الجمع بين التوكل والهداية ففي قول الرسل لربهم : ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم :١٢] ذكره ابن القيم بمعناه .

معاشر الإخوة ، التوكل غير المشروع قسمان :

أحدهما : التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر ، أو حفظ أو رزق أو شفاعة ، فهذا شرك أكبر .

الثاني : التوكل في الأسباب الظاهرة وتعلق القلب بها ، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق ، أو دفع أذى ونحو ذلك ، فهو نوع شرك أصغر . والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه ، لكن ليس له أن يعتمد في حصوله ما وكل فيه ، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه ، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ، ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب (٣٣) .

خامسًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٢٤) ماذا عن حكم تعليق التمائم والحجب؟ الفتوى :٤٥

تعليق الحجب والتمائم تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن يكون المعلق من القرآن وقد اختلف في ذلك أهل العلم سلفا وخلفا ، فمنهم من أجاز ذلك ورأى أنه داخل في قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] ، وأن من بركته أن يعلق ليدفع به السوء . ومنهم من منع ذلك وقال إن تعليقها لم يثبت عن النبي ﷺ أنه سبب شرعي يدفع به السوء أو يرفع به ، والأصل في مثل هذه الأشياء التوقيف ، وهذا القول هو الراجح وأنه لا يجوز تعليق التمائم ولو من القرآن الكريم ، ولا يجوز أيضا أن تجعل تحت وسادة المريض ، أو تعلق في الجدار وما أشبه ذلك ، وإنما يدعى للمريض ويقرأ عليه مباشرة كما كان النبي ﷺ يفعل .

القسم الثاني: أن يكون المعلق من غير القرآن الكريم ، فإن بعض الناس

يكتبون طلاسم وأشياء معقدة ، حروف متداخلة ما تكاد تعرفها ولا تقرأها فهذا من البدع وهو محرم ولا يجوز بكل حال . والله أعلم .

٢٥) ماذا عن حكم الرقية؟ الفتوى ٤٣

الرقية على المريض المصاب بسحر أو غيره من الأمراض لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية المباحة فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يرقي أصحابه ، ومن جملة ما يرقيهم به: « **بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ** »[(١)] ، ومنها أن يضع الإنسان يده على الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: «**أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ** »[(٢)] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ .

٢٦) ماذا عن حكم لبس السوار لعلاج الروماتيزم؟ الفتوى ٤٩

لقد نهى رسول الله عن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع المرض أو دفعه ؛ لأن ذلك ليس سبباً شرعياً ولا حسياً ، وما لم يثبت كونه سبباً شرعياً ولا حسياً لم يجز أن يجعل سبباً فإن جعله سبباً نوع من منازعة الله تعالى في ملكه وإشراك به حيث شارك الله تعالى في وضع الأسباب لمسبباتها ، وما أظن السوار الذي أعطاه الصيدلي لصاحب الروماتيزم الذي ذكر في السؤال إلا من هذا النوع ، إذ ليس ذلك السوار سبباً شرعياً ولا حسياً تعلم مباشرته لمرض الروماتيزم حتى يبرئه فلا ينبغي للمصاب أن يستعمل ذلك السوار حتى يعلم وجه كونه سببا للشفاء .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٨٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٢٠٢ .

الدرس التاسع [التوســـل المشروع وغير المشروع]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أيها الأحبة في الله ، لقد كان للأحاديث الموضوعة والضعيفة المنتشرة بين النـاس أثـر سيء عند عوام الناس الذين يعملون بها، فمن هذه الأحاديـث الموضـوعة (لـو اعتقـد أحدكم بحجر لنفعه) ، والعمـل بهـذا الحـديث وأمثالـه مـن الأحاديـث الضـعيفة والموضوعة إرجاعاً للمسلمين إلى الجاهلية الأولى ، إلى عبادة الأحجار ، والأوثـان ، وصرف الناس عن التوسل المشـروع إلى التوسـل غـير المشـروع ، وحـول التوسـل والمشروع وغير المشـروع سـيكون حـديثنا مـع حضـراتكم في هـذا اليـوم المبـارك ، فأعيروني القلـوب والأسـماع جيـدا ، أسـأل الله أن يقـر أعيننـا بـالتمكين لعقيـدة التوحيد والموحدين .

أولًا : تعريف التّوسّل

أحبتي في الله ، قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى :

التوسل : اتخاذ الوسيلة ؛ والوسيلة "كل ما يوصل إلى المقصود" والتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببًا في قبول دعائه ، ولا بـد مـن دليـل على كون هذا الشيء سببًا للقبول ؛ ولا يعلم ذلـك إلا مـن طريـق الشـرع ؛ فمـن جعل شيئًا من الأمور وسيلة له في قبول دعائه بدون دليل من الشرع فقد قال على الله ما لا يعلم ؛ وقد أنكر الله تعالى على من اتبع شرعًـــا بدون إذنه ، وجعله مـن الشرك فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِـهِ اللهُ ﴾[الشـورى :٢١] ا هـ .

ثانيًا : التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى

إخوتي في الله ، الدليل على مشروعية التوسـل إلى الله تعـالى بأسمائـه قـول الله تعالى: ﴿ وَللهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] ، والتوسل بأسمـــاء الله على وجهين :

الوجه الأول : أن يكون ذلك على سبيل العموم ، ومثاله ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﵁ في دعاء الهم والغم والذي فيه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ ، وَلاَ حَزَنٌ فَقَالَ : اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا**» [(١)] .

الوجه الثاني : أن يكون ذلك على سبيل الخصوص بأن يتوسل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم ، مثل ما جاء في حديث أبي بكر ﵁ حيث قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ : « **قُلْ اللهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي، إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**» [(٢)] (٣٤) .

ثالثًا : التوسل إلى الله تعالى بصفاته

أيها الأحبة في الله ، التوسل إلى الله تعالى يكون بصفاته وهو على وجهين:

الوجه الأول : أن يكون عامًّا كأن تقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا ثم تذكر مطلوبك .

الوجه الثاني: أن يكون خاصًّا ، كأن تتوسل إلى الله تعالى بصفة معينة خاصة لمطلوب خاص مثل : «**اللهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي** » [(٣)] . فهنا توسل لله تعالى بصفة "العلم" و"القدرة" وهما مناسبتان للمطلوب ، وكذلك كان رسول الله إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ

---

(١) (صحيح) أخرجه المعجم الكبير ١٠٣٥٢ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٨٢٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٨٣٤ ، ومسلم ٢٧٠٥ .

(٣) (صحيح) أخرجه النسائي ١٣٠٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٤٩٧

: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ »[(1)] ، ومن ذلك أن يتوسل بصفة فعلية مثل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وكل هذا مما يحبه الله سبحانه ويرضاه ، ولذلك استعمله رسول الله ، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] ، فكان من المشروع لنا أن ندعوه سبحانه بما دعاه به رسوله ، فذلك خير ألف مرة من الدعاء بأدعية ننشئها ، وصيغ نخترعها (١٢) .

رابعًا : التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي

أيها الأحبة الكرام ، التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح كأن يقول المسلم : اللهم بإيماني بك ، ومحبتي لك ، واتباعي لرسولك اغفر لي ، أو أن عملاً صالحاً ذا بال ، فيه خوفه من الله سبحانه ، وتقواه إياه ، وإيثاره رضاه على كل شيء .

والأدلة من القرآن كثيرة ، كقول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران : ١٦] ، وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾[آل عمران :١٩٣] .

ومن الأدلة من السنة المطهرة حديث النفر الثلاثة الذين آووا إلى الغار أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ ، أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا- أي: التجؤوا ودخلوا - إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ ، انْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله فَادْعُوا الله تَعَالَى بِهَا ، لَعَلَّ الله يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَامْرَأَتِي ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ – أي: إذا رددت الماشية إلى موضع مبيتها - حَلَبْتُ ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ ، وَأَنَّهُ نَأَى – أي: بعد- بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ

---

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٥٢٤وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٧٧٧ .

حَتَّى أَمْسَيْتُ ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ – أي: الإناء الذي يحلب فيه – ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ – أي: يصيحون من الجوع – عِنْدَ قَدَمَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي – أي: حالي – ، وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ ، حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ ، فَجِئْتُهَا بِهَا ، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا – أي: جلست لوقاعها – ، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ – أي: بنكاح لا بزنى – ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً ، فَفَرَجَ لَهُمْ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا ، بِفَرَقِ – أي: إناء يتسع ثلاثة آصع – أَرُزٍّ ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ ، قَالَ : أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ – أي: كرهه – ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي ، قُلْتُ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا ، فَقَالَ : اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ » [(١)] .

ويتضح من هذا الحديث أن هؤلاء الرجال المؤمنين الثلاثة حينما اشتد بهم الكرب ، وضاق بهم الأمر ، ويئسوا من أن يأتيهم الفرج من كل طريق إلا طريق الله تبارك وتعالى وحده ، فلجأوا إليه ، وتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله ، أحدهم توسل إلى الله تعالى ببر والديه ، والثاني بعفته التامة ، والثالث بوفائه لأجيره ، قال كل منهم : اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه ، فإنفرجت .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٣٣٣ ومسلم ٢٧٤٣ واللفظ لمسلم .

ورسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يروي لنا هذه القصة الرائعة التي كانت في بطون الغيب ، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ليذكرنا بأعمال فاضلة مثالية لأناس فاضلين مثاليين من أتباع الرسل السابقين ، لنقتدي بهم ، ونتأسى بأعمالهم ، ونأخذ من أخبارهم الدروس الثمينة ، والعظات البالغة (١٢) .

خامسًا : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح

معاشر الأخوة ، التوسل إلى الله تعالى بدعاء رجل صالح كأن يذهب المسلم عندما تحل به مصيبة كبيرة ، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى ، إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى ، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة ، فيطلب منه أن يدعوا له ربه ، ليفرج عنه كربه ، ويزيل عنه همه . فهذا نوع آخر من التوسل المشروع ، دلت عليه الشريعة المطهرة ، وأرشدت إليه ، وقد وردت أمثلة منه في السنة الشريفة ، فَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ فَاسْقِنَا ، قَالَ : فَيُسْقَوْنَ [(١)] .

قال الشيخ الألباني رحمه الله : معنى قول عمر: إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا ، أي أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا ، ونتقرب إلى الله بدعائه والآن ، وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا ، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس ، ونطلب منه أن يدعو لنا ، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا ، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ : اللهم بجاه العباس اسقنا ، لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ، ولم يفعله أحد من السلف الصالح (١٢) .

سادسًا : التوسل إلى الله تعالى بطرق أخرى مشروعة

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٠١٠ .

عباد الله ، مازال هناك بعض سبل التوسل المشروع كمن يتوسل إلى الله تعالى بتوحيده كما توسل يونس عليه السلام : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧] ، وكمن يتوسل إلى الله تعالى بإظهار الضَّعف والحاجة والافتقار إلى الله ، كما قال أيوب عليه السلام : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣] ، وكمن يتوسل إلى الله تعالى بالاعتراف بالذنب : كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص:١٦] (١١) .

سابعًا : التوسل غير المشروع

أيها الأحبة ، من التوسل غير المشروع : التوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات ، والتوسل بجاه النبي ﷺ ، والتوسل بذات المخلوقين أو حقهم ، وتفصيل ذلك كما يلي :

١- طلب الدعاء من الأموات لا يجوز ، لأن الميت لا يقدر على الدعاء ، كما كان يقدر عليه في الحياة ، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز ؛ والدليل أن عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، ومن بحضرتهما من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، لمَّا أجدبوا استسقروا وتوسَّلوا استشفعوا بمن كان حيًّا ، كالعباس وكيزيد بن الأسود ، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا عند غيره .

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره لا يجوز ، والحديث الذي فيه : إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم ، حديث مكذوب ، وما دامَ لا يصح فيه دليل ، فهو لا يجوزُ ؛ لأن العبادات لا تثبت إلا بدليل صريح .

٣- التوسل بذوات المخلوقين لا يجوز .

٤- والتوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين :

الأول : أن الله سبحانه لا يجب عليه حقّ لأحد ، وإنَّما هو الذي يتفضّل

سبحانه على المخلوق بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] ، فكون المطيع يستحق الجزاء ، هو استحقاق فضل وإنعام ، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق .

الثاني : أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حقٌّ خاص به ، لا علاقة لغيره به ، فإذا توسل به غير مستحقه كان متوسلًا بأمر أجنبي ، لا علاقة له به ، وهذا لا يجديه شيئًا ، وأما حديث : " **أسألك بحق السائلين** " فهو ضعيف ولم يثبت (١١) .

ثامنًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٢٧) ما حكم التوسل بالنبي ﷺ؟الفتوى (٣٧٦)

التوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة أقسام:

الأول: أن يتوسل بالإيمان به ، واتباعه ؛ وهذا جائز في حياته ، وبعد مماته .

الثاني: أن يتوسل بدعائه أي بأن يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له فهذا جائز في حياته لا بعد مماته ؛ لأنه بعد مماته متعذر .

الثالث:أن يتوسل بجاهه ، ومنزلته عند الله ؛ فهذا لا يجوز لا في حياته ، ولا بعد مماته ؛ لأنه ليس وسيلة ؛ إذ إنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده ؛ لأنه ليس من عمله . فإذا قال قائل: جئت إلى الرسول ﷺ عند قبره ، وسألته أن يستغفر لي ، أو أن يشفع لي عند الله فهل يجوز ذلك أو لا؟ قلنا: لا يجوز .

فإذا قال: أليس الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء :٦٤] ، قلنا له: بلى إن الله يقول ذلك ، ولكن يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ وإذ هذه ظرف لما مضى ، وليست ظرفًا للمستقبل لم يقل الله: "ولو أنهم إذا ظلموا" بل قال: ﴿ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ . فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته

أمر متعذر لأنه : « **إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** »[1] ، كما قال النبي ﷺ ، فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد ؛ بل ولا يستغفر لنفسه أيضًا ؛ لأن العمل انقطع .

٢٨) هل التوسل من مسائل العقيدة؟ وماذا عن حكم التوسل بالصالحين؟الفتوى (٣٧٧)

التوسل داخل في العقيدة ، لأن المتوسل يعتقد أن لهذه الوسيلة تأثيرًا في حصول مطلوبه ، ودفع مكروهه ؛ فهو في الحقيقة من مسائل العقيدة ؛ لأن الإنسان لا يتوسل بشيء إلا وهو يعتقد أن له تأثيرًا فيما يريد .

والتوسل بالصالحين ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : التوسل بدعائهم فهذا لا بأس به ؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون برسول الله ﷺ بدعائه: يدعو الله لهم فينتفعون بذلك ؛ واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعم النبي ﷺ "**العباس بن عبد المطلب**" بدعائه .

وأما القسم الثاني : فهو التوسل بذواتهم: فهذا ليس بشرعي ؛ بل هو من البدع من وجه ، ونوع من الشرك من وجه آخر .

فهو من البدع ؛ لأنه لم يكن معروفًا في عهد النبي ﷺ ، وأصحابه ، وهو من الشرك لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب ولم يكن سببًا شرعيًا فإنه قد أتى نوعًا من أنواع الشرك ؛ وعلى هذا لا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ مثل أن يقول: أسألك بنبيك محمد ﷺ إلا على تقدير أنه يتوسل إلى الله تعالى بالإيمان بالرسول ﷺ ومحبته فإن ذلك من دين الله الذي ينتفع به العبد ، وأما ذات النبي ﷺ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦٣١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فليست وسيلة ينتفع بها العبد ؛ وكذلك على القول الراجح لا يجوز التوسل بجاه النبي ﷺ ؛ لأن جاه النبي ﷺ إنما ينتفع به النبي ﷺ نفسه ؛ ولا ينتفع به غيره ؛ وإذا كان الإنسان يتوسل بجاه النبي ﷺ باعتقاد أن للنبي ﷺ جاهًا عند الله فليقل: اللهم إني أسألك أن تشفع بي نبيك محمدًا ﷺ ، وما أشبه ذلك من الكلمات التي يدعو بها الله عز وجل .

٢٩) هل حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يدل على جواز التوسل بجاه الأولياء؟ الفتوى ٣٨٠ .

من تأمل الحديث وجد أنه دليل على عدم التوسل بجاه النبي ﷺ ، أو غيره ؛ وذلك أن التوسل هو اتخاذ وسيلة ؛ والوسيلة هي الشيء الموصل إلى المقصود ؛ والوسيلة المذكورة في هذا الحديث "نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ؛ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" المراد بها التوسل إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ كما قال الرجل: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلَكَتِ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا [(١)] ؛ ولو كان هذا من باب التوسل بالجاه لكان عمر رضي الله عنه يتوسل بجاه النبي ﷺ قبل أن يتوسل بالعباس ؛ لأن جاه النبي رضي الله عنه أعظم عند الله من جاه العباس ، وغيره .

والحاصل أن التوسل إلى الله تعالى بدعاء من ترجى فيه إجابة الدعاء لصلاحه لا بأس به ؛ ولكني لا أحبذه ، وأرى أن الإنسان يسأل الله تعالى بنفسه دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله ، وأن ذلك أقوى في الرجاء ، وأقرب إلى الخشية ، كما أنني أيضًا أرغب من الإنسان إذا طَلب من أخيه الذي تُرجى إجابة دعائه أن يَدعو له ، أن ينوي – الطالب- بذلك الإحسان إليه –المطلوب منه الدعاء- والإحسان إلى المسلم يثاب عليه المرء كما هو معروف كان هذا أولى وأحسن .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٠١٣ .

الدرس العاشر[الــولاء والــبراء]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أحبتي في الله ، إن شجرة التوحيد والإيمان لا بد لها من أصول ، وفروع ، وثمار ، ومن أعظم مقتضياتها وأوجب حقوقها ولوازمها أن يوالي العبد في الله ، فإن من والى عدو الله لا يمكن أن يكون محققاً لشهادة أن لا إله إلا الله ، ولا آتياً لمقتضياتها ، وحول الولاء والبراء سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : الـولاء والبراء

أحبتي في الله ، الولاء : هو القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم ، والبراء : هو قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة .

يقول فضيلة الشيخ ابن جبرين في شرح العقيدة الطحاوية عن الولاء والبراء : أن أهل السنة يحبون أهل الإيمان وأهل التقوى ، ويبغضون أهل الكفر والعناد ، يحبون أهل الطاعات ، ويبغضون أهل المعاصي ، وينتج من آثار هذا: الولاء لمن يحبونه ، والبغضاء والمعاداة لمن يبغضونه ، ويكون الولاء والبراء هو آثار الطاعات وآثار المعاصي ، ولا شك أن هذه سمة وصفة مدح الله بها أولياءه ، ومدح بها صحابة نبيه ﷺ ، وذلك أنهم لما ألف الله بينهم ، وجمعهم على الإيمان وعلى تقوى الله تعالى ؛ تآلفوا فيما بينهم ، وصار بعضهم يحب بعضاً ويألف بعضهم بعضاً ، ويوالي بعضهم بعضاً ، ويقرب بعضهم بعضاً ، بل وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩] ، وهل هناك وصف أكبر من هذا الوصف؟! ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ﴾ يقدمون إخوتهم في ذات الله تعالى على مصالحهم الدنيوية، ويقدمونهم على شهواتهم الدنيوية، فيؤثر أحدهم أخاه بالطعام ويبيت جائعاً! ويؤثره بالشراب ويبيت ضمآن، ويؤثره بالكسوة الجميلة، ويؤثره بالمكان المريح، ويؤثره بالمركب اللين، وذلك من باب المحبة التي رسخت في قلوبهم، فهم لمَّا أحبوا الله تعالى أحبوا أولياءه، وأحبوا من يحبه، ومحب المحبوب محبوب، هكذا وصفهم الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال:٦٣]، مع تباعدهم في الأرحام، وتباعدهم في الأنساب، وتباعدهم في البلاد، ولكن جمعهم وصف الإيمان، فتآلفت قلوبهم، ولو كانوا قبل ذلك متعادين ومتقاتلين ومتناحرين، فَقَبْل الإسلام كان بعضهم ينهب بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، وذلك لأنه لم يوجد إيمان يؤلف بينهم، ولم يوجد إيمان يجمع بينهم. فلما مَنَّ الله عليهم بهذا الإيمان تآلفوا وتقاربوا، وتآخوا، وهذا من الله تعالى لا مِنْ خَلْقه، ولهذا امتن الله على رسوله ﷺ بجمعهم عليه فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ(٦٣)﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]، فتأليف القلوب هو اجتماعها وتحابها وتوادها، ولو كانوا متباينة أنسابهم، فبعضهم من الحبشة كبلال، وبعضهم من الروم كصهيب، وبعضهم من الفرس كسلمان، وبعضهم من العرب، ولكن جمعهم الوصف الوحيد الذي هو الإيمان بالله تعالى، فلنا بهم قدوة، فعلى كل المسلمين في كل زمان وفي كل مكان أن يتآلفوا فيما بينهم، ويتوادوا ويتحابوا. ومن آثار التواد لأجل الإيمان: البغض لأجل الكفر والنفاق، وذلك لأن الكفر والإيمان ضدان لا يجتمعان، فلا يجتمع أن تحب الله وتحب أعداءه، فإذا أحببت الله أحببت أولياءه أهل طاعته، وإذا أحببت أولياءه فلابد أن تبغض أعداءه، ولابد أن تبغض من يبغضهم الله، وتقاطعهم وتعاديهم، وتبتعد عنهم كل الابتعاد، وذلك لأن ربك الذي أنعم عليك يبغضهم، وأنت تبغضهم لأجل

ذلك ، وهذا ما جرى للصحابة ومن بعدهم ، فإن الله تعالى مدحهم فقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ [المجادلة:٢٢] ، أي لا تجدهم يوادون أهل المحادة ، ولا تجدهم إلا يباعدونهم ويبغضونهم ، وتجدهم قد مقتوهم وحقروا شأنهم ، وكرهوا مجالستهم ، وقطعوا الصلة بهم ، ونفروا ونفَّروا منهم ، وأذلوهم وحرصوا على إهانتهم بكل ما يستطيعون ، وإذا استطاعوا أن يقاتلوهم قاتلوهم ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو أبناءهم أو عشيرتهم ، ضرب الله مثلاً بهؤلاء الذين هم أقرب الأقارب ، فإذا كان الله تعالى يبغضهم لأجل كفرهم ، ولأجل معصيتهم ، ولأجل خروجهم عن الاستقامة ، فإن المؤمن يبغضهم ، ولو كانوا أقارب ، لأجل الخروج عن طاعة الله أ . هـ .

ويضرب نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والذين معه القدوة الحسنة في البراء من الكافرين قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الممتحنة :٤] .

فلقد قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه للكافرين من قومهم : إنا بريئون منكم ومِمَّا تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد ، كفرنا بكم ، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا ما دمتم على كفركم ، حتى تؤمنوا بالله وحده ، لكن لا يدخل في الاقتداء استغفار إبراهيم لأبيه ؛ فإن ذلك إنما كان قبل أن يتبين لإبراهيم أن أباه عدو لله ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .

وللولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة ، فهو أوثق عرى الإيمان ، ومعناه توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي ذَرٍّ: «**أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟** » قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: «**الْمُوَالاةُ فِي اللهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**» [1] (٦) .

ثانيا : المداهنة والمداراة

إخوتي في الله ، **المداهنة** : هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين ، ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم على معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه . قال الله تعالى : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [المائدة : ٧٨ – ٨٠] .

والمداراة : هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له ، كالرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه ، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: « **بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ** » فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا عَائِشَةُ ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا ، إِنَّ شَرَّ

---

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٣٥٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٣٩ .

النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ »[1] ، فالنبي ﷺ دارى هذا الرجل لمَّا دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية ، فدل على أن المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه ، وهذا من مناهج الدعوة إلى الله تعالى ، ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفاً لهم ولغيرهم ، وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا (٦) .

ثالثا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٣٠) ما حكم مودة الكفار، وتفضيلهم على المسلمين؟الفتوى (٣٨٤)

لا شك أن الذي يواد الكفار أكثر من المسلمين قد فعل محرما عظيما ، فإنه يجب أن يحب المسلمين ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، أمَّا أن يود أعداء الله أكثر من المسلمين ، فهذا خطر عظيم ، وحرام عليه ، بل لا يجوز أن يودُّهم ، ولو أقَل من المسلمين لقوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة :١] .

وكذلك أيضا من أثنى عليهم ومدحهم وفضلهم على المسلمين في العمل وغيره ، فإنه قد فعل إثما ، وأساء الظن بإخوانه المسلمين ، وأحسن بمن ليسوا أهلا لإحسان الظن ، والواجب على المؤمن أن يقدم المسلمين على غيرهم في جميع الشئون في الأعمال وفي غيرها ، وإذا حصل من المسلمين تقصير ، فالواجب عليه

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٠٣٢ .

أن ينصحهم ، وأن يحذرهم ، وأن يبين لهم مغبة الظلم ؛ لعل الله أن يهديهم على يده .

٣١) ماذا عن الموالاة والمعاداة ؟ الفتوى (٣٨٥)

إن الموالاة والمعاداة يجب أن تكون لله ﷻ، فإن من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فقد سلك الطريق التي بها تنال ولاية الله ﷻ، أما من كانت ولايته ومعاداته وحبه وبغضه للهوى ، أو للتقليد الأعمى ، فقد حرم خيرا كثيرا ، وربما يقع في أمر كبير ، فقد يعادي وليًا من أولياء الله ﷻ، فيكون حربًا لله تعالى ، كما قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة :٢٢] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة :١] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة :١٣] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، . .» [(١)] .

٣٢) ماذا عن زعم أحد الوعَّاظ في أوربا، من أنه لا يجوز تكفير اليهود والنصارى ؟ الفتوى (٣٨٦)

إن هذا القول الصادر عن هذا الرجل ضلال ، وقد يكون كفرا ، وذلك لأن اليهود والنصارى كفرهم الله ﷻ في كتابه ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ .

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾[التوبة :٣٠-٣١] ، فدل ذلك على أنهم مشركون ، وبين الله تعالى في آيات أخرى ما هو صريح بكفرهم : قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة :١٧] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة :٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة :٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [البينة : ٦] .

والآيات في هذا كثيرة ، والأحاديث ، فمن أنكر كفر اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكذبوه ، فقد كذب الله ﷻ وتكذيب الله كفر ، ومن شك في كفرهم فلا شك في كفره هو .

ويا سبحان الله كيف يرضى هذا الرجل أن يقول: إنه لا يجوز إطلاق الكفر على هؤلاء ، وهم يقولون: إن الله ثالث ثلاثة؟ وقد كفرهم خالقهم ﷻ، وكيف لا يرضى أن يكفر هؤلاء وهم يقولون: إن المسيح ابن الله ، ويقولون: يد الله مغلولة ، ويقولون: إن الله فقير ونحن أغنياء؟ !

كيف لا يرضى أن يكفر هؤلاء ، وأن يطلق كلمة الكفر عليهم ، وهم يصفون ربهم بهذه الأوصاف السيئة التي كلها عيب وشتم وسب؟ !

وإني أدعو هذا الرجل ، أدعوه أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم : ٩] ، وألا يداهن هؤلاء في كفرهم ، وأن يبين لكل أحد أن هؤلاء كفار ، وأنهم من أصحاب النار .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** » [1] .

وعلى هذا وأكررها على هذا القائل أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يبين للناس جميعا أن هؤلاء اليهود والنصارى كفار ؛ لأن الحجة قد قامت عليهم وبلغتهم الرسالة ، ولكنهم كفروا عنادا .

ولقد كان اليهود يوصَفُون بأنهم مغضوب عليهم ؛ لأنهم علموا الحق وخالفوه ، وكان النصارى يوصفون بأنهم ضالون ؛ لأنهم أرادوا الحق فضلوا عنه ، أما الآن فقد علم الجميع الحق وعرفوه ، ولكنهم خالفوه وبذلك استحقوا جميعا أن يكونوا مغضوبا عليهم ، وإني أدعو هؤلاء اليهود والنصارى إلى أن يؤمنوا بالله ورسله جميعا وأن يتبعوا محمدا ﷺ لأن هذا هو الذي أمروا به في كتبهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف :١٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف :١٥٨] .

وليأخذوا من الأجر بنصيبين ، فَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ،**

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥٣ .

وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ » [1] .

٣٣) ماذا عن وصف الكفار بالصدق والأمانة وحسن العمل؟الفتوى (٣٨٧)

هذه الأخلاق إن صحت مع أن فيهم الكذب والغدر والخيانة والسطو أكثر مما يوجد في بعض البلاد الإسلامية وهذا معلوم ، لكن إذا صحت هذه ، فإنها أخلاق يدعو إليها الإسلام ، والمسلمون أولى أن يقوموا بها ليكسبوا بذلك حسن الأخلاق مع الأجر والثواب ، أما الكفار فإنهم لا يقصدون بها إلا أمرًا ماديًا فَيَصْدُقُون في المعاملة لجلب الناس إليهم .

لكن المسلم إذا تخلق بمثل هذه الأمور فهو يريد بالإضافة إلى الأمر المادي أمرًا شرعيًا ، وهو تحقيق الإيمان والثواب من الله ﷻ وهذا هو الفارق بين المسلم والكافر .

أمَّا مَا زعم مِنْ الصدق في دول الكفر شرقية كانت أم غربية ، فهذا إن صح فإنما هو نزرٌ قليلٌ من الخير في جانب كثيرٍ من الشر ، ولو لم يكن من ذلك إلا أنهم أنكروا حق من أعظم الحقوق لله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [لقمان : ١٣] ، فهؤلاء مهما عملوا من الخير ، فإنه نزر قليل مغمور في جانب سيئاتهم ، وكفرهم ، وظلمهم فلا خير فيهم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٩٧ ، ومسلم ١٥٤ واللفظ للبخاري .

الدرس الحادي عشر[إستثناءات لا تنقض أصل البراء]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، إن أعلى مقامات الحب هي العبودية ، ولا تنبني العبودية إلا على أصلين عظيمين هما: كمال الحب ، وتمام الذل ، ولا ينبغي صرف هذين الأصلين إلا لله سبحانه ، وإن أكبر ثمرة من ثمار هذا الحب هي موالاة الله ورسوله والمؤمنين ، والبراءة من الكافرين والمنافقين ، ولكن هناك بعض الإستثناءات التي لا تنقض أصل البراء ، وحول هذه الإستثناءات سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : اللين عند عرض الدعوة

أحبتي في الله ، من الإستثناءات التي لا تنقض أصل البراء اللين عند دعوة الكافرين للإسلام ، فلا تعنى البراءة من الكافرين حجب الدعوة عنهم وتركهم لما هم فيهم من الضلال ، بل يحتم الإسلام على أهله دعوة الناس إلى الخير بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر والحرص على هدايتهم ، والرغبة الأكيدة في تحولهم إلى الإسلام ، ولـمَّا كان هذا لا يأتي إلا بالدخول إلى النفوس من مداخلها واستجلاب رضاها وراحتها فإن الإسلام جعل سبيل الدعوة مع الكفار وغيرهم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وذلك لأن النفوس الشاردة والقلوب القاسية لا تعود إلى الإسلام ولا تلين إلَّا بالملاينة والملاطفة وإظهار العطف والشفقة والحرص ، ولذلك قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه :٤٤] (١٣) .

ثانيًا : الزواج بالكتابية وأكل ذبيحة الكتابي

إخوتي في الله ، من الإستثناءات التي لا تنقض أصل البراء الزواج من الكتابية وأكل ذبيحة الكتابي ، فلاشك أن الكتابي يهوديًا كان أو نصرانيًا ممن حكم الله عليهم بالكفر والخلود في النار إذا سمع بالإسلام ولم يدخل فيه كما قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة :١٧] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة :٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة :٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [البينة : ٦] .

فبالرغم من ذلك فقد أباح الله للمسلم أن يأكل مما ذبحه الكتابي وأن يتزوج المرأة الكتابية ، وهذا مجمع عليه بين المسلمين ، ودليل ذلك قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥] .

وبهذا تعلم أن الأكل من طعام اليهود والنصارى لا يعارض البراءة منهم ، وكذلك الزواج من نسائهم ، ولا شك أن المودة التى قد تكون في قلب الزوج لزوجته هي من المودة الفطرية المستثناه من النهي عن المودة للكفار والتى قال الله عنها : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] (١٣) .

ثالثا : الإحسان إلى الكفار والبر بهم

أيها الأحبة في الله ، من الاستثناءات التي لا تنقض أصل البراء الإحسان إلى الكفار وهذا لا ينقض أصل البراءة من الكفار والمشركين ، والأصل في هذا قول

الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

ويدخل في البر عيادة مرضاهم وقبول هداياهم والإهداء إليهم والدعاء لهم بالهداية ، فلقد دعا رسول الله ﷺ لطوائف كثيرة من الكفار والمشركين ليهديهم الله منهم أم أبي هريرة ، وقبيلة دوس ، ولثقيف .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ ، قَالَ: « اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ » (١) .

ولقد قبل رسول الله هدايا الكفار في مواقف متعددة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ (٢) .

أما عن الهدية للمشركين فلقد بوب البخاري في صحيحه (باب الهدية للمشركين) وقوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] . (١٣)

ويقول فضيلة الشيخ صالح العثيمين رحمه الله تعالى : وأما الكفار غير المرتدين فلهم حق القرابة إن كانوا من ذوي القربى ، كما قال تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ [الإسراء:٢٦] ، وقال في الأبوين الكافرين المشركين: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان : ١٥] .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ -

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩٣٧ ، ومسلم٢٥٢٤ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣١٦٩ .

أى راغبة في العطاء أو في وصلى وزيارتي - أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» [(١)] ، والصلة المراد بها في هذا الحديث أنها تكرمها إكرام الولد لوالده إذا قدم عليه ، وهذا الإكرام لا يخلو ؛ بل لابد فيه من مودة .

ويقول فضيلة الشيخ صالح عبد العزيزآل الشيخ في شرح العقيدة الطحاوية : لقد نهى الله عز وجل عن الإحسان إلى المحاربين وأَذِنَ بالصلة والإحسان لمن لم يحارب من الكفار فقال : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٨-٩] ، وقوله هنا ﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ في وصف المحاربين يدل على أنَّ غير المحاربين له نوع موالاة جائزة بالإحسان والمودة الجزئية ونحو ذلك ، وهذا واضح بالمقابلة ، والمقصود من ذلك أن يعلم أنَّ الولاء والبراء للكافر يعني للمُعَيَّن أي لشخص مُعَيَّن ثلاث درجات :

الدرجة الأولى: موالاة ومحبة الكافر لكفره ، و هذا كفر .

الدرجة الثانية: محبته وموادته وإكرامه للدنيا مطلقاً ، وهذا لا يجوز ومحرم ونوع موالاة مذموم .

الدرجة الثالثة: وهو أن يكون في مقابلة نعمة – كطبيب كافر معالج - أو في مقابلة قرابة – كأم كافرة - ، فإن نوع المودة الحاصلة أو الإحسان أو نحو ذلك في غير المحاربين هذا فيه رخصة ا هـ .

وكذلك في عيادة مريضهم والدليل على ذلك حديث أنس في صحيح البخاري فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٢٠ و مسلم ١٠٠٣ واللفظ للبخاري .

يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ « **أَسْلِمْ** » فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْــدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « **الْحَمْــدُ للهِ الَّذِي أَنْقَـــذَهُ مِـنْ النَّارِ**» [(١)] ا هـ .

رابعا : معاملة الكفار وأهل الكتاب في الأمور الدنيوية

أيها الأحبة الكرام ، دلت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضـرورة علـى أن يكـون ذلـك في نطـاق ضـيق وأن لا يضـر بالإسـلام والمسلمين . فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أرَيْقط هاديًا خرِّيتًا ، والخريت هـو الخبير بمعرفة الطريق ، ورهن النبي ﷺ درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجَّرَ عليٌّ رضي الله عنه نَفْسَهُ ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشـرة دلـوًا كـل دلـو بتمرة ؛ وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يلتـزم الكفـار الـذين يقيمون بين المسلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم (٦) .

خامسا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٣٤) ما حكم معاملة الكفار بالرفق واللين طمعا في إسلامهم؟الفتوى (٣٨٩)

كون المسلم يعاملهم بالرفق واللين طمعا في إسلامهم وإيمانهم ، فهذا لا بأس به ؛ لأنه من باب التـأليف علـى الإسـلام ، ولكـن إذا يـئس مـنهم عاملـهم بمـا يستحقون أن يعاملهم به ، وهذا مفصل في كتب أهـل العلـم ، ولا سـيما كتـاب " **أحكام أهل الذمة** " لابن القيم رحمه الله .

٣٥) ما حكم مخالطة المسلمين لغيرهم في أعيادهم؟الفتوى (٣٩١)

مخالطة غير المسـلمين في أعيـادهم محرمـة لمـا في ذلـك مـن الإعانـة علـى الإثـم والعدوان ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْـمِ**

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٥٦ .

وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة :٢] ، ولأن هذه الأعياد إن كانت لمناسبات دينية ، فإن مشاركتهم فيها تقتضي إقرارهم على هذه الديانة والرضاء بما هم عليه من الكفر ، وإذا كانت الأعياد لمناسبات غير دينية ، فإنه لو كانت هذه الأعياد في المسلمين ما أقيمت ، فكيف وهي في الكفار؟ لذلك قال أهل العلم: إنه لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا غير المسلمين في أعيادهم ؛ لأن ذلك إقرار ورضا بما هم عليه من الدين الباطل ، ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان .

واختلف العلماء فيما إذا أهدى إليك أحدٌ من غير المسلمين هدية بمناسبة أعيادهم ، هل يجوز لك قبولها أو لا يجوز؟

وهنا يحسن أن نذكر ما قاله ابن القيم رحمه الله في كتاب أحكام أهل الذمة ٢٠٥\١ : وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق ، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم ، فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه ، فهذا إن سلم قائله من الكفر ، فهو من المحرمات ، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب . . وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ا هـ .

٣٦) ما حكم السلام على غير المسلمين؟ الفتوى (٣٩٢) .

البدء بالسلام على غير المسلمين محرم ولا يجوز ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ : « **لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ** » [1] . ولكنهم إذا سلَّموا وَجَبَ علينا أن نرد عليهم ؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء:٨٦] .

فإذا سَلَّمَ غير المسلم على المسلم ، وقال: " **السام عليكم** " فإننا نقول: " **وعليكم** " ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ الْيَهُودَ إِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقُولُوا: وَعَلَيْكَ** » [2] .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٦٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٦٤ .

ولهذا قال بعض أهل العلم: إن اليهودي أو النصراني أو غيرهم من غير المسلمين إذا قالوا بلفظ صريح: **" السلام عليكم "** جاز أن نقول: عليكم السلام .

ولا يجوز كذلك أن يبدءوا بالتحية كأهلاً وسهلاً وما أشبهها ؛ لأن في ذلك إكرامًا لهم ، وتعظيمًا لهم ، ولكن إذا قالوا لنا مثل هذا ، فإننا نقول لهم مثل ما يقولون ؛ لأن الإسلام جاء بالعدل وإعطاء كل ذي حق حقه ، ومن المعلوم أن المسلمين أعلى مكانة ومرتبة عند الله عز وجل فلا ينبغي أن يذلوا أنفسهم لغير المسلمين فيبدءوهم بالسلام .

٣٧) ماذا عن حكم السلام على المسلم بهذه الصيغة "السلام على من اتبع الهدى " ، وكيف يسلم الإنسان على أهل محل فيهم المسلم والكافر؟الفتوى (٣٩٣)

لا يجوز أن يسلم الإنسان على المسلم بقوله: **" السلام على من اتبع الهدى "** لأن هذه الصيغة إنما قالها الرسول ﷺ حين كتب إلى غير المسلمين ، وأخوك المسلم قل له : السلام عليكم ، أما أن تقول: **" السلام على من اتبع الهدى "** فمقتضى هذا أن أخاك هذا ليس ممن اتبع الهدى ، وإذا كانوا مسلمين ونصارى ، فإنه يسلم عليهم بالسلام المعتاد ، يقول: السلام عليكم ، يقصد بذلك المسلمين .

٣٨) إذا سلم الكافر على المسلم فهل يرد عليه؟ وإذا مد يده للمصافحة فما الحكم ؟ الفتوى (٣٩٥).

إذا سلم الكافر على المسلم سلامًا بينًا واضحًا ، فقال: السلام عليكم ، فإنك تقول: عليك السلام ؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء:٨٦] ، أما إذا لم يكن بينا واضحا ، فإنك تقول: وعليك .

وكذلك لو كان سلامه واضحا ؛ يقول فيه: السام عليكم ، يعني الموت ، فإنه يقال: وعليك ، وأحوال السلام ثلاثة :

الأول : أن يقول بلفظ صريح: **" السام عليكم "**؛ فيجاب: **" وعليكم "**.

الثاني: أن نشك هل قال: **" السام "** أو قال: **" السلام"** ، فيجاب:**"وعليكم "**.

الثالث : أن يقول بلفظ صريح: **" السلام عليكم "**. فيجاب: **" عليكم السلام "**؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء:٨٦] وإذا مد يده إليك للمصافحة ، فمد يدك إليه ، وإلا فلا تبدأه .

٣٩) ما مقياس التشبه بالكفار؟الفتوى (٤٠٦) .

مقياس التشبه أن يفعل المتشبه ما يختص به المتشبه به ، فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئًا من خصائصهم ، أما ما انتشر بين المسلمين ، وصار لا يتميز به الكفار ؛ فإنه لا يكون تشبهًا ، فلا يكون حرامًا من أجل أنه تشبه ، إلا أن يكون محرمًا .

٤٠) ماذا عن ما يدعيه بعض الناس، أن سبب تخلف المسلمين، هو تمسكهم بدينهم، وشبهتهم في ذلك، أن الغرب لما تخلوا عن جميع الديانات وتحرروا منها، وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التقدم الحضاري ؟الفتوى (٤٠٧) .

هذا الكلام لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان ، أو مفقود الإيمان ، جاهل بالتاريخ ، غير عالم بأسباب النصر ، فالأمة الإسلامية لما كانت متمسكة بدينها في صدر الإسلام كان لها العزة والتمكين ، والقوة ، والسيطرة في جميع نواحي الحياة ، بل إن بعض الناس يقول: إن الغرب لم يستفيدوا ما استفادوه من العلوم إلا ما نقلوه عن المسلمين في صدر الإسلام ، ولكن الأمة الإسلامية تخلفت كثيرًا عن دينها ، وابتدعت في دين الله ما ليس منه ، عقيدةً ، وقولًا ، وفعلًا ، وحصل بذلك التأخر الكبير ، والتخلف الكبير ، ونحن نعلم علم اليقين ونشهد الله ﷻ إننا لو رجعنا إلى ما كان عليه أسلافنا في ديننا ، لكانت لنا العزة ، والكرامة ، والظهور على جميع الناس ، ولهذا لما حَدَّثَ أبو سفيان هرقل ملك الروم - والروم في ذلك الوقت تعتبر دولة عظمى- بما عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ؛ قال: **" إن كان ما تقول حقا، فسيملك ما تحت قدمي هاتين"**، ولَّما خرج أبو سفيان وأصحابه من عند" هرقل " قال: **" لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي**

الْأَصْفَرِ ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ(1) "، وأما ما حصل في الدول الغربية الكافرة الملحدة من التقدم في الصناعات وغيرها ، فإن ديننا لا يمنع منه ، لو أننا التفتنا إليه ، لكن مع الأسف ضيعنا هذا وهذا ، ضيعنا ديننا ، وضيعنا دنيانا ، وإلا فإن الدين الإسلامي لا يعارض هذا التقدم ، بل قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال :٦٠] ، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾[الملك :١٥] ، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة :٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ [الرعد : ٤] ، إلى غير ذلك من الآيات التي تعلن إعلانا ظاهرا للإنسان أن يكتسب ويعمل وينتفع ، لكن لا على حساب الدين ، فهذه الأمم الكافرة هي كافرة من الأصل ، دينها الذي كانت تدعيه دين باطل ، فهو وإلحادها على حد سواء ، لا فرق ، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران :٨٥] ، وإن كان أهل الكتاب من اليهود النصارى لهم بعض حكمة الله ﷻ بتنعيم هؤلاء ، على أنهم كما قلت لم يسلموا من الكوارث التي تصيبهم من الزلازل ، والقحط ، والعواصف ، والفيضانات وغيرها ، فأسأل الله لهذا السائل الهداية والتوفيق ، وأن يرده إلى الحق ، وأن يبصرنا جميعا في ديننا ، إنه جواد كريم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

(1) (صحيح) أخرجه البخاري ٧ ، ومسلم ١٧٧٣ واللفظ للبخاري .

الدرس الثاني عشر[حكم هجر عصاة المسلمين والمرتدين والإقامة في بلاد الكفر]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أيها الأحبة في الله ، لقد ضرب الصحابة الأوائل أروع الأمثلة في عقيدة الولاء والبراء ، فقد خرجوا من ديارهم وتركوا كل شيء جمعوه في حياتهم فداءً لله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ [الأنفال:٧٢] ، وكانت الهجرة علامة على الولاء لله عز وجل ، لذلك قال الله تعالى عن الذين آمنوا ولم يهاجروا: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ والهجر من الأحكام المشروعة في هذا الدين ، ففيه تطبيق لمبدأ الولاء والبراء ، وفي مشروعيته ردع للعاصي والمبتدع ، وفي قصة كعب بن مالك وصاحبيه الدروس الكافية التي نعرف منها صور هذا الهجر وكيفيته وبعض أحكامه ، وكيف امتثل الصحابة رضي الله عنهم أمر نبيهم ﷺ ؛ وحول حكم هجر عصاة المسلمين والمرتدين والإقامة في بلاد الكفر سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : حكم هجر عصاة المسلمين

أحبتي في الله ، إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه ، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة (٦) .

ويقول فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى ، هجر المسلم في الأصل حرام ، بل من الكبائر إذا زاد على ثلاثة أيام ، فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ : فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ** »[1] .

ومن المعلوم أن المسلم لا يخرج عن الإسلام بالمعاصي وإن عظمت ، ما لم تكن كفرا ، وعلى هذا فلا يحل هجر أصحاب المعاصي ، إلا أن يكون في هجرهم مصلحة بإقلاعهم عنها ، وردع غيرهم عنها ؛ لأن المسلم العاصي ولو كانت معصيته كبيرة أخٌ لك ؛ فيدخل في قوله ﷺ: « **لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ . .** » ، ومن الأدلة على أن العاصي أخ للمطيع ، وإن عظمت معصيته قوله تعالى فيمن قتل مؤمنا عمدا: ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾[البقرة : ١٧٨] . فجعل الله القاتل عمدًا أخًا للمقتول ، مع أن قتل المؤمن عمدًا من أعظم الكبائر ، وقوله تعالى في الطائفتين المقتتلتين من المؤمنين: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٠)** ﴾ [الحجرات : ٩-١٠] ، فلم يخرج الله الطائفتين المقتتلتين من الإيمان ، ولا من الأخوة الإيمانية .

فإن كان في الهجر مصلحة ، أو زوال مفسدة ، بحيث يكون رادعًا لغير العاصي عن المعصية أو موجبًا لإقلاع العاصي عن معصيته كان الهجر حينئذ جائزًا ، بل مطلوبًا طلبًا لازمًا ، أو مرغبًا فيه ، حسب عظم المعصية التي هجر من أجلها ، ودليل ذلك قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم وهم الثلاثة الذين خلفوا ؛ فقد أمر النبي ﷺ بهجرهم ، ونهى عن تكليمهم ، فاجتنبهم الناس ، حتى إن كعبا رضي الله عنه

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٦٠٧٧ومسلم ٢٥٦٠ .

دخل على ابن عمه أبي قتادة ﷺ وهو أحب الناس إليه ، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فصار بهذا الهجر من المصلحة العظيمة لهؤلاء الثلاثة من الرجوع إلى الله ﷻ ، والتوبة النصوح والابتلاء العظيم ، ولغيرهم من المسلمين ما ترجحت به مصلحة الهجر على مصلحة الوصل [(١)] .

أما اليوم ، فإن كثيرًا من أهل المعاصي لا يزيدهم الهجر إلا مكابرةً وتماديا في معصيتهم ، ونفورًا وتنفيرًا عن أهل العلم والإيمان ؛ فلا يكون في هجرهم فائدة لهم ولا لغيرهم .

وعلى هذا فنقول: إن الهجر دواء يستعمل حيث كان فيه الشفاء ، وأما إذا لم يكن فيه شفاء أو كان فيه إشفاء ، وهو الهلاك فلا يستعمل .

فأحوال الهجر ثلاث:

١- إما أن تترجح مصلحته فيكون مطلوبًا .

٢- وإما أن تترجح مفسدته فينهى عنه بلا شك .

٣- وإما أن لا يترجح هذا ولا هذا ، فالأقرب النهي عنه ؛ لعموم قول النبي ﷺ: « **لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ** »[(٢)] ا هـ .

ثانيًا : هجر الكفار المرتدين

إخوتي في الله ، يقول فضيلة الشيخ العثيمين: أما الكفار المرتدون فيجب هجرهم والبعد عنهم ، وأن لا يجالسوا ولا يواكلوا ، إذا قام الإنسان بنصحهم ودعوتهم إلى الرجوع إلى الإسلام فأبوا ، وذلك لأن المرتد لا يُقَر على ردته ، بل يُدْعَى إلى الرجوع إلى ما خرج منه ، فإن أبى وجب قتله ، وإذا قتل على ردته ، فإنه لا يغسل ، ولا يكفن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن مع المسلمين ، وإنما يرمى بثيابه ، ورجس دمه في حفرة بعيدا عن المقابر الإسلامية في مكان غير مملوك ا هـ .

---

(١) (صحيح) وردت هذه القصة عند البخاري ٤٤١٨ ، ومسلم ٢٧٦٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٠٧٦ .

ثالثًا : الإقامة في بلاد الكفار

أيها الأحبة في الله ، يقول فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى :

الإقامة في بلاد الكفار خطر عظيم على دين المسلم ، وأخلاقه ، وسلوكه ، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك ، فرجعوا بغير ما ذهبوا به ، رجعوا فُسَّاقا ، وبعضهم رجع مرتدا عن دينه ، وكافرا به وبسائر الأديان والعياذ بالله حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين ، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ، ووضع الشروط التي تمنع من الهَوِي في تلك المهالك ، فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسيين:

الشرط الأول : أَمْن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه ، والحذر من الانحراف والزيغ ، وأن يكون مضمرًا لعداوة الكافرين وبغضهم ، مبتعدًا عن موالاتهم ومحبتهم ، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان .

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة :٢٢] . وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) ﴾[المائدة : ٥١-٥٢] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » [١] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري٦١٦٩ ، ومسلم٢٦٤٠ واللفظ للبخاري .

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطرًا على المسلم ؛ لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم ، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم .

الشرط الثاني : أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع ، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ، ومن يقيم الجمعة ، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين ، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ ، قال في المغني (ص٤٥٧ جـ٨) في الكلام على أقسام الناس في الهجرة : أحدها من تجب عليه ، وهو من يقدر عليها ، ولا يمكنه إظهار دينه ، ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار ، فهذا تجب عليه الهجرة ؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(٩٧) ﴾ [النساء :٩٧] . وهذا وعيدٌ شديدٌ يدل على الوجوب ، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه ، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ا هـ .

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول : أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه ، فهذا نوع من الجهاد ، فهي فرض كفاية على من قدر عليها ، بشرط أن تتحقق الدعوة ، وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها ؛ لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين ، وهي طريقة المرسلين .

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ» [1] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٤٦١ .

القسم الثاني : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين ، والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة ، وبطلان التعبد ، وانحلال الأخلاق ، وفوضوية السلوك ؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم ، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم ، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله ، المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه ؛ لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام ، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه ، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه ، فلا فائدة من إقامته ، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام ﷺ وأئمة الإسلام رحمهم الله تعالى ؛ وجب الكف لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)** ﴾[الأنعام : ١٠٨] .

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عينا للمسلمين ، ليعرف ما يدبرونه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون ، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ؛ ليعرف خبرهم [(١)] .

القسم الثالث : أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة ، وتنظيم علاقاتها مع دولة الكفر كموظفي السفارات ، فحكمها حكم ما أقام من أجله ، فالملحق الثقافي مثلا يقيم ليرعى شئون الطلبة ، ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه ، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير .

القسم الرابع : أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج ، فتباح الإقامة بقدر الحاجة ، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفار للتجارة ، وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

---

(١) (صحيح) وردت هذه القصة عند مسلم١٧٨٨ .

القسم الخامس : أن يقيم للدراسة ، وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة ، لكنها أخطر منها ، وأشد فتكا بدين المقيم وأخلاقه ، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه ، فيحصل من ذلك تعظيمهم ، والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم ، فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل ، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه ، فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ، ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال ، والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ، ويتولاهم ويكتسب منهم ، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله ، فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

الشرط الأول : أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار ، وينظر به إلى المستقبل البعيد ، فأما بَعْثُ الأَحْدَاث "الصِغَار السن"، وذوي العقول الصغيرة ، فهو خطر عظيم على دينهم ، وخلقهم ، وسلوكهم ، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها ، وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع ، فإن كثيرا من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به ، رجعوا منحرفين في ديانتهم ، وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد ، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية .

الشرط الثاني : أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل ، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل ، فيظنه حقا أو يلتبس عليه ، أو يعجز عن دفعه ، فيبقى حيران ، أو يتبع الباطل .

الشرط الثالث : أن يكون عند الطالب دين يحميه ، ويتحصن به من الكفر والفسوق ، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله ، وذلك لقوة المهَاجِم وضَعْف المُقَاوِم ، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة ، فإذا صادفت محلًا ضعيف المقاومة عملت عملها .

الشرط الرابع : أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ، ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم ، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره ، لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق ، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة .

القسم الخامس : أن يقيم للسكن ، وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ، ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة ، وموالاة ، وتكثير لسواد الكفار ، ويتربى أهله بين أهل الكفر ، فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم ، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ، وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ، ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله ، وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ، ويرضى به ، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ، ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم ، عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم .

رابعًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٤١) ما حكم السفر إلى بلاد الكفار؟ وحكم السفر للسياحة؟الفتوى (٣٨٨) .

السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول : أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات .

الشرط الثاني : أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات .

الشرط الثالث : أن يكون محتاجا إلى ذلك .

فإن لم تتم هذه الشروط ، فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة ، وفيه إضاعة المال ؛ لأن الإنسان ينفق أموالا كثيرة في هذه الأسفار .

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده ، وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به .

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار ، فهذا ليس بحاجة ، وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام ، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلادا سياحية في بعض المناطق ، فبإمكانه أن يذهب إليها ، ويقضي زمن إجازته فيها .

٤٢)ما الحكم في رجل أسلم وأحب الإسلام وأهله، ولكنه يشق عليه ترك الوطن فلم يهاجر ؟الفتوى (٣٩٠) .

هذا الرجل يُحَرَّمُ عليه بقاؤه في هذا البلد ، ويجب عليه أن يهاجر ؛ فإن لم يفعل فليرتقب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا(٩٨) ﴾ [النساء : ٩٧-٩٨] .

فالواجب على هذا إذا كان قادرا على الهجرة أن يهاجر إلى بلد الإسلام ، وحينئذ سوف ينسلخ من قلبه محبة البلد التي هاجر منها ، وسوف يرغب في بلاد الإسلام ، أما كونه لا يستطيع مفارقة بلد يحارب الإسلام وأهله ، لمجرد أنها وطنه الأول ، فهذا حرام ، ولا يجوز له البقاء فيها .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثالث عشر [وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، عندما تمسك السلف الصلح بتطبيق الشريعة الإسلامية حكموا البلاد والعباد ، وعندما تخلى الخلف عن تطبيق الشريعة الإسلامية حكمهم أرذل العباد وابتلوا بنهب الأموال ، وقتل بعضهم بعضًا ، ولقد أشار رسول الله ﷺ لذلك فقال : «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ – وذكر منهم – : **وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ** »[1] ، و حول وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : تحكيم شريعة الله تعالى من مقتضيات العبودية لله تعالى

أحبتي في الله ، إن قضية تحكيم الشريعة الإسلامية واجب شرعي ، وهي جزءٌ لا يتجزأ عن عقيدة المسلمين ، وإذا توجهت الأمة إلى الاحتكام إلى المناهج الأرضية الهابطة المستوردة من الشرق أو الغرب ، فهذا يعني الكفر والفسوق والظلم وضياع لمقدرات الأمة ومصدر قوتها وازدهار حضارتها (٩) .

فحياة المسلم لا ينبغي أن تخرج عن معنى العبودية بحال من الأحوال ، قال تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٠] .

فالحكم الحق لله تعالى وحده ، وقد أمرنا الله تعالى بألا نخضع لغيره وأن نعبده وحده ، فهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه ، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك .

وهي دعوة الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٤٠١٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٧٨ .

أُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِـــهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا﴾ [النساء :٦٠] .

كما أن تحكيم رسول الله ﷺ في كل شأن من شئون الحياة مع التسليم والرضا من صميم الإيمان، ويكون هذا بعد مماته بتحكيم شريعته، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥]، أما مخالفة ما جاء به رسول الله ﷺ بعد أن ظهرت البراهين الدالة على رسالته هو سلوك غير المؤمنين، ذلك لأن التشريع من خصائص الألوهية،قال تعالى في اليهود والنصارى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سبحانه عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١] ، على الرغم من أنهم لم يكونوا يعبدوهم مع الله، وإنما اعترفوا لهم بحق التشريع من دون الله فأحلوا لهم وحرموا عليهم(٤٠) .

ثانيا : الأدلة على وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية

إخوتي في الله ، هناك العديد من الأدلة على وجوب تحكيم الشريعة نذكر منها :

١– القرآن يلزم المسلمين بتحكيم الشريعة ونبذ ماسواها

فلقد اهتم القرآن الكريم بتطبيق الشريعة واعتنى بها عناية فائقة فجاء ذكرها في أكثر من مائتي آية في حوالي خمسين سورة من القرآن الكريم نذكر هنا بعضها:

(١ ، ٢ ، ٣) قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة :٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة :٤٥]، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة : ٤٧] ، فأخبر سبحانه وتعالى أن الحكم بغير ما أنزل كفر وظلم وفسق .

(٤) قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ

يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٥٠) ﴾ [المائدة :٤٩-٥٠] ، يقول فضيلة لشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : القارئ للآيتين والمتدبر لهما يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى ما أنزل الله ، أكد بمؤكدات ثمانية:

الأول: الأمر به في قول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾[المائدة :٤٩] .

الثاني: أن لا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال وذلك في قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة :٤٩] .

الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير ، والصغير والكبير ، لقول الله تعالى: ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾[المائدة :٤٩] .

الرابع: أن التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم ، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [المائدة :٤٩] .

الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله ، فإن الشكور من عباد الله قليل ، يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[المائدة :٤٩] .

السادس: وصف الحكم بغير ما أنزل الله بأنه حكم الجاهلية ، يقول سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[المائدة :٤٩] .

السابع: تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها ، يقول عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا ﴾[المائدة :٤٩] .

الثامن: أن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام وأكملها ،

وأتمها وأعدلها ، وأن الواجب الانقياد له ، مع الرضا والتسليم ، يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة :٥٠] ، وهذه المعاني موجودة في آيات كثيرة في القرآن .

(٦) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨] . وهو لزوم اتباع الشريعة ونبذ ما عداها ؛ لأن ما عدا الشرع هو الهوى المتبع ، والهوى جهل وضلال وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ الله ﴾ [القصص : ٥٠] .

(٧) وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، وفيه نفي الاختيار الدالُّ على الإلزام والحتم بالاحتكام إلى قضاء الله ورسوله ، وقضاؤهما الشريعة السمحة .

(٨) وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء ﴾ [الأعراف: ٣] جمع بين الأمر والنهي للتأكيد والقطع بأن الالتزام بالشرع مطلوب واجب ، ولا يكون ذلك إلا باتباع الشرع ونبذ ما عداه .

(٩) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ، ولا يتحقق الدخول في الإسلام كافة مع ترك شيءٍ مما أوجبه الشرع وقضى به ، فذلك هو اتباع خطوات الشيطان وموالاته وحزبه .

(١٠) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] فالغاية العليا من إنزال القرآن ، والمقصد الأسمى من إنزال الكتاب العزيز هو تحكيمه في حياة الناس ، وفضّ نزاعاتهم به ، وإقامة العدل بينهم بأوامره ونواهيه ، وردّ الحقوق بالتزامه ، والاهتداء في الحياة كلها بالاستقامة على أحكامه . وبمعنى أجمل: تحكيم شرع الله في حياة الناس .

٢- الإجماع يقطع بوجوب تحكيم الشريعة :

لا يختلف مسلمان على وجوب تحكيم شريعة الإسلام في حياتهم ، وإلاّ فمن خالف في ذلك ؛ كان مطعوناً في دينه ، ومن ردّ شيئاً من شرع الله شكاً في صلاحه ، أو اعتقاداً في صلاح غيره ، وفضّله عليه فهو مرتد خارج عن الملّة بلا خلاف .

٣- القياس والعقل يوجبان تحكيم الشريعة :

فكلّ تشريع إنما يُقبل ويُلزم به ويحرص الناس عليه إذا كان صادراً من عالم خبير من البشر بالقانون وأوضاع الناس ومجتمعاتهم ، فكيف بمن يترك شرع رب السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه ، فشرع الخالق العليم الخبير اللطيف أولى بالاتباع وأوجب بالالتزام . وكفانا قول الله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] .

٤- المصلحة تقتضي بوجوب تحكيم الشريعة :

ماذا يريد دعاة إلغاء الشريعة بدعوتهم؟ هل يرجون مصلحة تتحقق في غير الشريعة أفضل وأنفع من تطبيق الشريعة؟ أم يريدون درء ضرر ودفع شر قد يقع على الناس بسبب تطبيق الشريعة؟ بل في تطبيق الشريعة الإسلامية في حياة الناس الخير كلّه ، والنفع كلّه ، المصلحة كلّها ، والسعادة كلّها ؛ لأن مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد .

٥- التاريخ يشهد بوجوب تحكيم الشريعة:

التاريخ البشري يشهد أن أسعد فترات البشرية في حياتها ، كانت حينما احتكم الناس إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في عهد الخلافة الإسلامية حيث نعمت بالأمن والإيمان والسلامة والاستقرار وساد العدل والرخاء المجتمع الإسلامي بأسره ، بينما كانت أكثر فترات البشرية شقاءً حينما عُطِّل الحُكْم بشرع الله ، وحُكِمَ النَّاس بالفلسفات الساقطة التي لم تحقق إلا النكد والكراهية والشقاء للبشرية ، ويكفي شهادة فخر للمسلمين أن نقرأ رسالة نصراني الشام إلى أبي

عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، في زمان عزة المسلمين وقوة دولتهم وتمكنهم في الأرض يمشون عليها هوناً إلى أهداف سامية ووجهةٍ راشدة ـ يستنجد فيها مسيحيو الشام بالمسلمين يقولون لأبي عبيدة في رسالتهم: "معشر المسلمين ، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، فأنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا" (٩) .

ثالثًا : تقييم الأنظمة المنتشرة في العالم بما يوافق الشرع

الديمقراطية: تعني اتخاذ أحكام البشر باعتبار أصوات غالب ممثليهم ، شريعة بديلة عن شريعة الله تعالى ، مهيمنة بأحكامها على الأقوال ، والأفعال ، والأفكار ، وجميع السلوك الإنساني ، والعلاقات الدولية الداخلية ، والخارجية ، فلها أنْ تحلّ ما حرّم الله ، وتحرّم ما أحلّ الله تعالى ، ويكون مصدر التشريع هو حكم الأغلبيّة بحسب العدّ المحض ، الذي يعدّ الرؤوس ولا يزنها ، فيجعل العاقل الحكيم المصلح ، مساويا للجاهل الأحمق المفسد ، والمؤمن الصالح الأمين ، مكافئا للكافر الفاسق الخائن ، . .إلخ ، فكلهم سواء في ميزان هذا الدين الجديد ، فتُعدّ أصواتهم عدّا فحسب ، ثم يُعرف بأكثر العدّ ، الشرعُ الذي يجب أن يسيروا عليه ، والنهج الذي يهديهم سواء السبيل ! – كما يتفقون عليه – .

في حين أن الشورى في الإسلام هي النظام المقابل للديمقراطية وفي الشورى قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨] ، والشورى الإسلامية تكون في مظهرين كما جاء في كتاب الحضارة الإسلامية لعلي بن نايف الشحود :

الأول: اختيار الحاكم المسلم القادر على القيام بالمسئولية ، ومبايعته على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإن تمت البيعة كان له السمع والطاعة دون ضغط أو إكراه .

الثاني: عدم استبداد الحاكم بالسلطة ، وإنما يستشير أهل الحل والعقد والحكمة فيمن توفرت فيهم شروط الإستشارة ، مثل العلم ، والتقوى ، والورع ، وحسن

التدبير ، والتفكير ، وأهل الحل والعقد : هم جماعة من الأمراء والحكام ، والعلماء ، ورؤساء الجند ، وسائر الرؤساء والزعماء في كل المصالح ، الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة ، وقد ركز الإسلام على الشورى في نظام الحكم ؛ لما لها من آثار طيبة على حياة الفرد والمجتمع .

الليبرالية: تعنى الحرية ، والليبراليَّة هي وجه آخر من وجوه العلمانيِّة بمعناها العام الذي هو التمرد على الدين والتحلل من الالتزام به ، ولهذا فمعتنقوها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء ، ويقول ما يشاء ، ويعتقد ما يشاء ، ويحكم بما يشاء ، بدون التقيد بشريعة إلهية ، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه ، وعابد هواه ، غير محكوم بشريعة من الله تعالى ، ولا مأمور من خالقه باتباع منهج إلهيّ ينظم حياته كلها ، فإذن الليبراليّة ما هي إلاّ وجه آخر للعلمانيِّة التي بنيت أركانها على الإعراض عن شريعة الله تعالى ، والكفر بما أنزل الله تعالى ، والصد عن سبيله ، ومحاربة المصلحين ، وتشجيع المنكرات الأخلاقيِّة ، والضلالات الفكريِّة ، تحت ذريعة الحريِّة الزائفة ، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له ، هذه هي الليبراليّة ، وحكمها في الإسلام هو نفس حكم العلمانيّة سواء بسواء ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أَهواءَ الذِينَ لايَعلَمُون (١٨) ﴾ [الجاثية:١٨] ، لذلك فإن الليبرالية مناقضة تمام المناقضة لدين الإسلام ، عقيدة وشريعة .

التعددية: هي فرع عن الليبرالية التي هي فرع عن العلمانية ، والديمقراطية الغربية تجعل التعددية من صور الحرية التي هي أحد أركانها ، والتعددية تعني أن يسمح في المجتمع بالاختلاف والتعدد في كلّ شيء ، حتى لو كان هذا الاختلاف بين الحق والباطل ، بل لايوجد في التعددية حق مطلق ، وباطل مطلق ، ولهذا ترى التعددية أن الاختلاف مهما كان هو في حد ذاته ظاهرة محمودة بإطلاق ، تجب رعايتها ، وتشجيعها ، ومحاربة من يقف في طريقها ، وحتى لو كان في المجتمع من يعبد إبليس نفسه ، فيجب أن يسمح لهم في نظر التعددية بإظهار دعوتهم ،

وتمكينهم من دعوة الناس إليها ، ونشر كل ما يزينها ويشجع على اعتناقها ، وعلى الصعيد السياسي يجب أن يسمح لهم بتأسيس حزب سياسي يحمي معتقداتهم ، ويسمح لهم بنشرها ، في حين أن الله تعالى في الدين الإسلامي أمر الناس أن يقيموا دين الله وأن يجتمعوا عليه ، ولا يتفرقوا قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] ، والقرآن مليء بالأمر بالاجتماع على الحق ومدحه ، وذم الافتراق عنه والتفرق فيه ، والأمر بجهاد الباطل وأهله ، وقد أمر الله تعالى بإنكار المنكر إن ظهر ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾ [آل عمران:١١٠] ، ومن هذا يتضح أن التعددية مناقضة تمام المناقضة لدين الإسلام ، عقيدة وشريعة (٤٣) .

سادسًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٤٣) هل يكفر الحاكم الذي قدم للناس شريعة غير شرع الله وألزمهم بها مع إعترافه أن هذا مخالف للكتاب والسنة ؟ فتوى الشيخ يوم الثلاثاء ٢٢ من ربيع الأول عام ١٤٢٤ هـ ، مقدم السؤال فضيلة الشيخ أبو الحسن السليماني من مأرب باليمن.

ما ذكره من جهة التكفير ؛ فهي مسألة كبيرة ، ولا ينبغي إطلاق القول فيها إلا مع طالب علم يفهم ويعرف الكلمات بمعانيها ، ويعرف العواقب التي تترتب على القول بالتكفير أو عدمه ، أما عامة الناس ؛ فإن إطلاق القول بالتكفير أو عدمه في مثل هذه الأمور يحصل فيه مفاسد ، والذي أرى أولًا ألا يشغل الشباب بهذه المسألة ، وهل الحاكم كافر أو غير كافر؟ وهل يجوز أن نخرج عليه أولا يجوز؟ وعلى الشباب أن يهتموا بعبادتهم التي أوجبها الله عليهم ، أو ندبهم إليها ، وأن يتركوا مانهاهم الله عنه كراهة أو تحريمًا ، وأن يحرصوا على التآلف فيما بينهم . . .

أما فيما يتعلق بالحكم بغير ما أنزل الله فهو كما في الكتاب العزيز ينقسم إلى ثلاثة أقسام : كفر وظلم ، وفسق ؛ على حسب الأسباب التي بني عليها هذا الحكم .فإذا كان الرجل يحكم بغير ما أنزل الله تبعًا لهواه مع علمه بأن الحق فيما قضى الله به ، فهذا لا يكفر لكنه بين فاسق وظالم .

وأما إذا كان يشرع حكما عاما تمشي عليه الأمة ، يرى أن ذلك من المصلحة ، وقد لُبِّس عليه فيه : فلا يكفر أيضًا ؛ لأن كثيرًا من الحكام عندهم جهل في علم الشريعة ، ويتصل بهم من لا يعرف الحكم الشرعي ، وهو يرونه عالما كبيرًا فيحصل بذلك المخالفة . وإذا كان يعلم الشرع ولكنه حكم بهذا ، أو شَرَعَ هذا ، وجعله دستورًا يمشي الناس عليه ؛ يعتقد أنه ظالم في ذلك ، وأن الحق فيما جاء به الكتاب والسنة : فإننا لا نستطيع أن نكفر هذا .

وإنما نكفر : من يرى أن حكم غير الله أولى أن يكون الناس عليه ، أو مثل حكم الله عز وجل ؛ فإن هذا كافر ؛ لأنه مكذب لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ(٨) ﴾[التين : ٨] ، وقوله : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٥٠) ﴾[المائدة : ٥٠] .

ثم هذه المسائل ؛ لا يعني أننا إذا كفرنا أحدًا فإنه يجب الخروج عليه ؛ لأن الخروج يترتب عليه مفاسد عظيمة أكبر من السكوت ، ولا نستطيع الآن أن نضرب أمثالًا فيما وقع في الأمة العربية وغير العربية . وإنما إذا تحققنا جواز الخروج عليه شرعًا فإنه لا بد من استعداد وقوة تكون مثل قوة الحاكم أو أعظم ، وأما أن يخرج الناس عليه بالسكاكين والرماح ومعه القنابل والدبابات وما أشبه هذا ؛ فإن هذا من السفة بلا شك وهو مخالف للشرع (٤٩) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع عشر[شبهات حول تحكيم الشريعة]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، لقد ظهر في المسلمين أناس يدَّعون أن العودة لتطبيق الشريعة الإسلامية عودة للوراء والتخلف ، وينادون بإتباع الأمم الكافرة في الحكم ، وهؤلاء لا يعلمون ما كان عليه أسلافهم عندما تمسكوا بتطبيق الشريعة الإسلامية حتى قال أميرهم هارون الرشيد : أمطري حيث شئت ، فسوف يجبى إليّ خراجك ، وحول الشبهات المثارة حول تحكيم الشريعة الإسلامية والرد عليها ومواضيع أخرى سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الرد على شبهة تعارض أحكام الشريعة مع متطلبات الحضارة

أحبتي في الله ، قضية تعارض أحكام الشريعة مع مقتضيات الحضارة الحديثة نابع من الفهم الخاطئ ، " أن كل جديد هو بالضرورة خير من كل قديم، لمجرد أن هذا جديد وذاك قديم" ، وقد نشأ هذا الوهم أو هذه الشبهة في أوروبا في العصر الذي ساد فيه الدين الكنسي ، وأخذ بعض المسلمين تنطلي عليهم هذه الشبهات فمنهم من نادى بإقصاء الدين عن الدولة كي تتقدم الحضارة ، ومن المعلوم أن مفهوم الحضارة في الإسلام يختلف عن المفهوم الغربي ، فالحضارة في المفهوم الإسلامي هي مجموع النشاط الذي يقوم به الإنسان في شتى مجالات حياته ليحقق غاية وجوده المتمثل في تحقيق معنى العبودية لله سبحانه وتعالى ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذريات:٥٦] ، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥] .

نفهم من الآيتين أن الإنسان خلق ليعبد الله وليكون خليفة لله في أمره وأرضه ليعمر الأرض بالسعي والإعمار ، وهذا يعني المفهوم الصحيح للحضارة فهي ليست مقصورة على العمارة المادية وإنما هي عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني

الحكم بما أنزل الله الذي يحقق معنى العبودية الواسع الذي تشمله الآية الكريمة: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢] .

أما بالنسبة لتطبيق الحدود الشرعية ، فالدين الإسلامي هو التشريع الوحيد الذي أخذ موضوع الجريمة والعقاب من جميع جوانبه .

فالإسلام لا يبدأ بالعقوبة وإنما يبدأ بالوقاية من الجريمة من خلال التربية الإسلامية التي تربط الفرد بملكة المراقبة لله سبحانه فيستقيم في حياته ويبتعد عن الشر والآثام ، على سبيل المثال السرقة ، مرض سببه الجوع والفقر ، والنظام الإسلامي يسعى إلى مكافحة الجوع والفقر بتشريعاته حتى لا يضطر جائع للسرقة ، والزنا أيضاً مرض سببه الفتنة والإثارة والتبرج وضعف الإيمان ، والإسلام يمنع ذلك ويحاربه ويدعو إلى التعجيل في الزواج الشرعي ، وكذلك في بقية الحدود ، ينظر الإسلام في كل حالة إذا كان مرتكبها معذوراً لا يقيم الحد ولا يوقعه إلا عند التيقن وأنه غير معذور وإن قامت الشبهة فإن الإسلام يدرأ الحد بالشبهات (٩) .

ثانيا : الرد على شبهة عدم إمكان تطبيق الشريعة لوجود الأقليات غير المسلمة

إخوتي في الله ، الرد على هذه الشبهة المنكرة من جانبين :

١- لا يحق في التاريخ البشري لأقلية أن تتحكم في الأغلبية ولنتصور حال الأقليات المسلمة في بلاد الأرض في واقعنا المعاصر أنها طالبت الأكثرية الحاكمة بالكف عن ممارسة دينها ، فكيف يكون رد الفعل عند الأكثرية الحاكمة؟!

٢- إن الأقليات غير المسلمة عاشت في ظل الدولة المسلمة المطبقة للشريعة زمنا طويلا لا تشكوا ، بل تعيش حياة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها بأمن وسلام ، والتاريخ والواقع يشهد بذلك ؛ لأن الإسلام يدعو إلى التسامح وتحقيق العدالة بين أبناء المجتمع الإسلامي والأقليات التي تعيش في كنف الدولة الإسلامية (٩) .

ثالثًا : من مفاسد الإعراض عن الحكم بما أنزل الله تعالى

١- انتشار الشرك وشيوع البدع وظهور الدعاة إليهما .

٢- تعطيل الكثير من الأحكام الشرعية مثل الزكاة والصلاة وإقامة الحدود .

٣- ظهور الفرقة والاختلاف والشقاق والنزاع بين المسلمين .

٤- زعزعة العقيدة في قلوب المسلمين نتيجة للإخلال بمبادئ هذا الدين الحنيف ، كمبدأ الولاء والبراء .

٥- ظهور المعاصي والإعلان بها جهاراً نهاراً ، بل التبجح بها .

٦- سيطرة أصحاب المبادئ الهدامة على مراكز النفوذ في بلاد المسلمين مما يسهل لهم تحقيق مخططاتهم الهدامة وتطبيقها بما ينافي هذا الدين .

٧- الذل والهوان في حياة المسلمين نتيجة لخضوعهم لقرارات الكفرة والخارجين عن دين الله (٩) .

٨- إنتشار الفقر بين المسلمين لقول رسول الله ﷺ ، «**وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ؛ إلا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ**»(١) .

رابعًا : الحلول والعلاج لإعادة الحكم بشرع الله تعالى

١- الصبر على تحقيق الحكم بشرع الله : الصبر يساعد في الدعوة إلى الوصول إلى تطبيق شرع الله في الحكم ، والمطالبة في تطبيقها واقعاً عملياً ، والتخطيط والتنفيذ لإعادتها إلى واقع الحياة مرة أخرى ، ذلك أن الصابر المحتسب المسترجع الهادئ المؤيد من الله أقرب وبكثير من تحقيق هدفه في نصرة الحكم بشرع الله من الجازع غير الصابر المضطرب المتسرع المتهور .

---

(١) (حسن) أخرجه المعجم الكبير ١٠٩٩٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٢٤٠ من حديث ابن عباس .

٢- **نشر العلم والوعي**: نقصد بذلك أن على العلماء والدعاة والوعاظ والخطباء والكتاب والصحفيين وعموم المسلمين وجوب وضرورة توعية الناس وتفهيمهم وجوب تحكيم شريعة الله المعطلة .. ويبينوا لهم ويعلموهم معناها، وحكمها الواجب، وأهميتها، وثمرات تطبيقها في الدنيا والآخرة، وآثار تعطيلها على الفرد والمجتمع والدولة دنيا وآخرة ، وعليهم أن يستخدموا في ذلك كافة الأساليب الشرعية المتاحة في ذلك .

٣- **الوحدة والتعاون** : يجب على أفراد المجتمع الإسلامي من العلماء، والدعاة، والمجاهدين والمثقفين، والكتاب والصحفيين، والمفكرين وبقية المسلمين أغنياء وفقراء أقوياء وضعفاء ... إلخ، أن يوحدوا مطلبهم وجهدهم في إعادة الحكم بشرع الله .. قال تعالى: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ اصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] .

٤- **التغيير والإصلاح** : المراد بذلك تغيير هذا المنكر المتمثل في تحكيم الجاهلية ، والإصلاح وذلك بتطبيق الشريعة بدلا من تعطيلها ، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠] ، ومن أساليب الإصلاح الشرعية ما يلي: دعوة الحكام بالحسنى بترغيبهم فيما عند الله من الجنة إن أقاموا حكم الله، وتحذرهم من عذاب الله بتعطيلهم لحكمه ، والدعاء للحكام بالهداية وتحكيم شرع الله ، قال تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ [الأنفال: ٧٢] (٩) .

خامسًا : مذهب الجمهور في الإمام

أيها الأحبة الكرام، لقد اتفق جمهور العلماء على أربعة شروط في الإمام هي :

١- **القريشية** : أن يكون الإمام قريشيا ، وذلك للآثار الكثيرة الواردة في فضل قريش ، المشيرة أن تكون فيهم ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **لَا يَزَالُ هَذَا**

الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ [1] ، عَنْ مُعَاوِيَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ** [2] .ويلاحظ من حديث معاوية أن شرط بقاء الخلافة فيهم أن يقيموا الدين ، فإذا لم يقيموه نزعت منهم إلى من يقيمه ، ولذلك فإن القريشية على الأفضلية لا لأصل الخلافة ، وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أُمِّ الْحُصَيْنِ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا كَثِيرًا ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : «**إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ** –أي مقطوع الأعضاء– **يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**» [3] ، من هنا يتضح أن الأمامة لا تستلزم أن تكون من قريش ، فالولاية من غيرهم صحيحة بلا شك .

٢– البيعة : أي المبايعة من أولى الحل والعقد ، أى أن أولى الحل والعقد ، وجماهير المسلمين يعطون الخليفة عهدا لى السمع والطاعة في المنشط والمكره ، ما لم تكن معصية ، ويعطيهم العهد على أن يقيم الحدود والفرائض ، ويسير على سنة العدل ، وعلى مقتضى الكتاب والسنة .

٣– الشورى : بأن يكون الإختيار بشورى المسلمين ، والأصل في ذلك هو أن الحكم الإسلامي في أصل وضعه شورى لقوله تعالى : ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى : ٣٨] ، ولقوله تعالى آمرا نبيه ﷺ : ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، ولالتزام النبي الشورى في عامة أموره التي تهم المسلمين ولم ينزل فيها وحي ، فكان في الحروب وفي أعقابها وفي شئون الحكم يستشير المسلمين في غير موضع النص ، وكذلك فعل الخلفاء الراشدين والصحابة ، وإذا كان الحكم الإسلامي في أصله شوريا فلا بد أن يكون الإختيار شوريًا أيضا ، لأنه لا يمكن أن يكون الحكم بالشورى والخليفة مفروض بحكم الوراثة ، إذ أن الوراثة والشورى نقيضان لا يجتمعان في باب واحد .

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٣٥٠١ ، ومسلم ١٨٢٠ واللفظ للبخاري .
(٢) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٣٥٠٠ .
(٣) **(صحيح)** أخرجه مسلم ١٢٩٨ .

٤– **العدالة :** بحيث يكون الإمام عدلًا في ذاته لا يُؤْثر قرابته ، ولا يقدم أحدًا لهوى ، ولا يُؤْثر ذا محبة ، ولا يبعد ذا بغض ، ولقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[النساء : ١٣٥] ، والعدالة وهي تطلب من الإمام بأنواعها المختلفة ومن أهمها أن يولي الأمور من يصلح لها ، ومن عدالة الإمام أن يعامل الأعداء بالعدل فالعدالة الإسلامية تعم ولا تخص ، تعم الوالي والعدو على السواء ولذا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة :٨] .

والعدالة الإسلامية تشمل العدالة القانونية التي يطبق فيها الحكم الإسلامي على الجميع ، حتى أن الفقهاء أجمعين قرروا أن الإمام الأعظم نفسه لو ارتكب جناية أقتص منه ، وإن أرتكب حدًا قرر جمهور الفقهاء وجوب إقامة الحد عليه .

وكذلك تعم العدالة الإحتماعية والتي تكفل التكافل الإجتماعي ، وأيضًا العدالة الإقتصادية التى تمكن كل قادر على العمل فيكون تكافؤ الفرص ، ولذا إمتنع عمر رضي الله عنه عن تمليك أراضي العراق ومصر والشام للفاتحين لكيلا تكون دولة بين الأغنياء (٣٩) .

سادسًا : واجب الحاكم والمحكومين في الإسلام

١– **واجب الحاكم في الإسلام :** أهم ما يجب على الحاكم المسلم واجبان وهما من شروط البيعة وهما من حق المسلمين عليه وهما:

أ – **حكم المسلمين بالشريعة الإسلامية :** يعتبر هذا الواجب من شروط صحة بيعته ، بحيث لو خالفه لانتقضت بيعته ، والمقصود بذلك أن يحكم بالإسلام جملة وتفصيلاً في سائر مناحي الحياة ، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩] .

والأمر في الآية للرسول ﷺ ، ويشمل أيضاً حكام المسلمين إلى يوم القيامة لأنهم خلفاء الرسول في إقامة حكم الله في الأرض ، والأدلة على ذلك كثيرة ، ولكن نذكر هنا ما قاله أبي بكر رضي الله عنه بعد بيعته خليفة للمسلمين: "أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم " .

ب- حكم المسلمين بالعدل : أي يجب على الحاكم المسلم أن يحكم بين رعايا الدولة المسلمة من المسلمين وأهل الذمة بالعدل والإنصاف بعيداً عن الهوى والظلم والجور فلا يفرق في ذلك بين مسلم وذمي ، وبين غني وفقير ، وبين قوي وضعيف ، وبين شريف ووضيع ، وبين حاكم ومحكوم ، وبين كبير وصغير ، وبين ذكر وأنثى ، والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ الله ﴾ [ص: ٢٦] ، وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُول اللهِ ﷺ ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » [(١)] ، وقال تعالى: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٨] (٩) .

٢- واجب المحكومين في الإسلام : إذا وفى الحاكم المسلم بشروط البيعة من الحكم بما أنزل الله وبالعدل بين الناس وجب على المسلمين أن يطيعوه فيما يأمر وفيما ينهى مما لا يخالف الإسلام ، قال تعالى في وجوب طاعة أولي الأمر: ﴿

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٣٤٧٥ ، ومسلم١٦٨٨ واللفظ للبخاري .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] ، وقال تعالى في النهي عن طاعة الحاكم أو غيره حتى الوالدين في معصيـــة الله : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان: ١٥] ، وهذا الأمر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : عَنْ النَّبِـيِّ ﷺ

قَالَ : « **السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ** – أي واجب للإمام العادل على الرعية – **مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ** » [(١)] (٩) .

فإذا لم يستوفي الحاكم الشـروط ، أو فسـق بعـد توليـه الحكـم : اتفـق الجمهـور بالنسبة له على ثلاثة أمور : **أولها** : عدم الخروج عليه حتـى لا يـؤدي الخـروج إلى فتنة يضيع فيها الحق ويغلب الشح المطاع ، ويتبع الهوى .

ثانيها: أن لا يطاع في معصية لقول النبي ﷺ: « **عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْـلِمِ السَّـمْعُ وَالطَّاعَـةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ؛ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ** » [(٢)] .

ثالثها: أن كلمة الحق واجبة عند الحاكم الظالم ، لأن النبي ﷺ قال : « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ ..لله وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** » [(٣)] ، وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « **كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ** » [(٤)] ، وإليك يا أخي الكريم قصة تناسب هذا المقام ، وهي قصة لأحد العلماء الزهاد ، ألا وهو أبو الحسن الزاهد ، فما أحداث تلك القصة المثيرة؟

كان أحمد بن طولون – أحد ولاة مصر – من أشد الظلمة ، حتى قيل: إنه قتل ثمانية عشر ألف إنسان صبرا (أي يقطع عنه الطعام والشراب حتى يموت) وهذا

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩٥٥ ، ومسلم ١٨٣٩واللفظ للبخاري . .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨٣٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٥ .
(٤) (صحيح) أخرجه النسائي ٤٢٠٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١١٠٠ .

أشد أنواع القتل ، فذهب أبو الحسن الزاهد إلى أحمد بن طولون امتثالا لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " [رواه أحمد والنسائي وابن ماجة] وقال له: "إنك ظلمت الرعية"، وخوفه بالله – تعالى – فغضب ابن طولون غضبا شديدا ، وأمر بأن يجوع أسد ثم يطلق على أبي الحسن!! يا له من موقف رهيب!! لكن نفس أبي الحسن الممتلئة بالإيمان والثقة بالله ، جعلت موقفه موقفا عجيبا .

عندما أطلقوا عليه الأسد أخذ يزأر ، ويتقدم ، ويتأخر ، وأبو الحسن جالس لا يتحرك ، ولا يبالي ، والناس ينظرون إلى الموقف ، بين باك وخائف على هذا العالم الورع .

وضعوا أمامه أسدا جائعا!! إنها معركة غير متكافئة!! ولكن ما الذي حدث؟ لقد تقدم الأسد وتأخر ، وزأر ، ثم سكت ، ثم طأطأ رأسه ، فقرب من أبي الحسن ، فشمه ، ثم انصرف عنه هادئا ، ولم يمسسه بسوء .

وهنا تعجب الناس! وكبروا ، وهللوا .

ولكن في القصة ما هو أعجب من ذلك .

لقد استدعى ابن طولون أبا الحسن ، وقال له: قل لي بماذا كنت تفكر ، والأسد عندك ، وأنت لا تلتفت إليه ، ولا تكترث به؟

فأجاب قائلا: إني كنت أفكر في لعاب الأسد – إن مسني – أهو طاهر أم نجس؟

قال له: ألم تخف الأسد؟ قال: لا ، فإن الله قد كفاني ذلك .

وأنه إذا لم يستطع أن يقول كلمة الحق يستطيع أن ينكر بقلبه وذلك أضعف الإيمان ، فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ :أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ**

، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ » قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ : « لَا ، مَا صَلَّوْا» [(١)] (٣٩) .

سابعًا : من فتاوي فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز

٤٤) ما هو الدواء الناجع للعالم الإسلامي للخروج به من الدوامة التي يوجد فيها في الوقت الحاضر ؟

إن الخروج بالعالم الإسلامي من الدوامة التي هو فيها من مختلف المذاهب والتيارات العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، إنما يتحقق بالتزامهم بالإسلام ، وتحكيمهم شريعة الله في كل شيء ، وبذلك تلتئم الصفوف وتتوحد القلوب .

وهذا هو الدواء الناجع للعالم الإسلامي ، بل للعالم كله ، مما هو فيه من اضطراب واختلاف وقلق وفساد وإفساد كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ(٧) ﴾ [محمد :٧] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾[الحج:٤٠-٤١] . وقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور:٥٥] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولكن ما دام أن القادة إلا من شاء الله منهم يطلبون الهدى والتوجيه من غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويحكمون غير شريعته ، ويتحاكمون إلى ما وضعه أعداؤهم لهم ، فإنهم لن يجدوا طريقا للخروج مما فيه من التخلف والتناحر فيما بينهم ، واحتقار أعدائهم لهم ، وعدم إعطائهم حقوقهم ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(١١٧) ﴾ [آل عمران : ١١٧] ، فنسأل الله أن

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨٥٤ .

يجمعهم على الهدى ، وأن يصلح قلوبهم وأعمالهم ، وأن يمن عليهم بتحكيم شريعته والثبات عليها ، وترك ما خالفها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

***

الدرس الخامس عشر[توحيد الأسماء والصفات]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أخي الحبيب ، إنك لا تعبد مجهولاً ، بل تعبد الواحد الأحد الذي تقرأ أسماءه وصفاته في كل حين في القرآن والسنة ، فمعرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته هي نقطة البداية في حياة الإنسان ، البداية الحقة في تحقيق التوحيد ، فإذا وفق العبد لهذه المعرفة ، فقد أوتي خيراً كثيراً ، واهتدى إلى ربه ، ووضع قدميه على الطريق الصحيح ، فمن كان بالله وأسمائه وصفاته أعرف ، وفيه أرغب وأحب ، وله أقرب ، ذاق حلاوة الإيمان ، وحول توحيد الأسماء والصفات سيكون حديثنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

اولًا : الأركان التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات

أحبتي في الله ، توحيد الأسماء والصفات : هو الإيمان بما وصف الله به نفسَه في كتابه ، أو وَصَفَه به رسوله من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى ، وتوحيد الأسماء والصفات يقوم على أركان ، من حاد عنها لم يكن موحداً لربه في الأسماء والصفات .

الركن الأول : تنزيه الله عن مشابهته الخلق ، وعن أي نقص .

الركن الثاني : الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها .

الركن الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات .

ويجمع هذه الأركان قول الإمام مالك حين سئل عن الاستواء ، فقد دعاه رجل فقال له : يا أبا عبد الله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء – أي: العرق– ثم قال : **"الاستواء غير**

مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعاً" ، ثم أمر به أن يخرج .

فقوله : **"الاستواء غير مجهول"** أي غير مجهول المعنى في اللغة ، فإن معناه العلو والاستقرار ، وقوله : **"والكيف غير معقول "** أي لا ندرك كيفية استواء الله على عرشه بعقولنا ، وقوله :**"والسؤال عنه بدعة "** أي أن السؤال عن كيفية الاستواء بدعة ، لأنه لم يعهد السؤال عن كيفية الاستواء على عهد النبي ﷺ من الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

هذا الذي ذكره الإمام مالك رحمه الله تعالى في الاستواء ميزان عام لجميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، فإن معناه معلوم لنا ، وأما كيفيتها فمجهولة لنا لأن الله أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها ، ولأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فإذا كنا نثبت ذات الله تعالى من غير تكييف لها ، فكذلك يكون إثبات صفاته من غير تكييف (٣٦) .

ثانيًا : الإلحاد في أسماء الله وصفاته

إخوتي في الله ، الإلحاد في الأسماء والصفات هو منهج الخلف ، والخلف هم من تحقق فيهم عاملان **الأول** : كل من قدم العقل على النقل ، أو قدم الرأي على الكتاب والسنة ، **والثاني** : كل من أعقب القرون الفاضلة ، أو عصر خير القرون ولم يتبع السلف الصالح ، ويراد بهم من تبع منهج الجهمية من المعتزلة وغيرهم من المتكلمين . . ، قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى الإلحاد على ثلاثة أنواع :

الأول إلحاد المشركين : الذين عدلوا أسماء الله تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم ، فاشتقوا اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان .

الثاني إلحاد المشبهة : الذين يكيفون صفات الله تعالى ، ويشبهونها بصفات خلقه وهو مقابل لإلحاد المشركين ، فيقولون وجه الله كوجه الإنسان ، أو يده كأيدينا ، أو عيناه ؟ كأعيننا أو سمعه كسمعنا تعالى وتقدس .

الثالث إلحاد النفاة المعطلة : وهم قسمان : قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى ونفوا عنه ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا : رحمن رحيم بلا رحمة ، عليم بلا علم ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ، قدير بلا قدرة ، وأطردوا بقيتها كذلك ، وقسم صرحوا بنفي الأسماء ومتضمناتها بالكلية ، ووصفوه بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة ، سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علوا كبيرا ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾ [الشورى:١١] ، وفي هذا الصنف قال فيهم الشيخ العثيمين رحمه الله ما معناه: لا يمكن الإيمان بالأسماء حتى تثبت ما تضمنته من الصفات ، ولعلنا من هنا نتكلم على دلالة الاسم ، فالاسم له أنواع ثلاثة في الدلالة : **دلالة مطابقة ، ودلالة تضمن ، ودلالة التزام** : مثل كلمة الخالق : اسم يدل على ذات الله ، ويدل على صفة الخَلْق ، فدلالة لفظ الخالق على ذات الله ، وصفة الخلق تسمى بدلالة المطابقة ، لأن اللفظ دل على جميع مدلوله ، ولمطابقة المعنى للفظ وموافقته .

وكذلك دلالة لفظ الخالق على ذات الله تعالى ، أو دلالة لفظ الخالق على صفة الخلق تسمى بدلالة التضمن لأن لفظ الخالق تضمن ذات الله ، وكذلك تضمن صفة الخلق ، فهي دلالة اللفظ على بعض المعنى المقصود من قبل المتكلم .

وكذلك دلالة لفظ الخالق على العلم والقدرة يسمى دلالة التزام ، إذ لا يمكن خلق إلا بعلم وقدرة ، وحينئذ يمكن القول بأن من أنكر واحدًا من هذه الدلالات ، فهو ملحد في الأسماء ، فمثلًا لو قال : أنا أؤمن بأن (الخالق) تدل على ذات الله وعلى صفة الخلق ، لكن لا تدل على صفة العلم والقدرة فقد ألحد ، وهكذا .

ثالثًا :ضوابط هامة في إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته

أيها الأحبة في الله ، أهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ، فالعقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح بل يشهد له ويؤيده ؛ فمصدرهما واحد فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل وهو ما جاء في

الكتاب والسنة ، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده فإذا تعارضا فيكون ذلك لأن النقل لم يثبت كالأحاديث الضعيفة ، أو عدم فهم العقل لما جاء في النقل الصحيح .

التحريف: لغة التغيير ، وفي الاصطلاح تغيير النص لفظاً أو معنى ، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير ، فهذه ثلاثة أقسام :

١- تحريف لفظي ، يتغير معه المعنى مثل نصب لفظ الجلالة ليكون التكليم من موسى في قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [النساء: ١٦٤] .

٢- تحريف لفظي ؛ لا يتغير معه المعنى ، كفتح الدال من قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة :٢] ، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل ؛ إذ ليس فيه غَرض مقصود لفاعله غالباً .

٣- تحريف معنوي ؛ وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل ، كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك .

التعطيل : لغة التفريغ والإخلاء ، وفي الاصطلاح هنا : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات ، أو إنكار بعضها ، فهو نوعان :

١- تعطيل كلي ؛ كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات ، وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً .

٢- تعطيل جزئي ؛ كتعطيل الأشاعرة الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض ، وأول من عرف بالتعطيل هو الجعد بن درهم من رؤوس القدرية .

التكييف : أي حكاية كيفية الصفة ، كقول القائل : كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا .

التمثيل والتشبيه : التمثيل يقتضي المماثلة في كل الصفات أي المساواة من كل وجه ، والتشبيه : يقتضي المشابهة وهي المساواة في أكثر الصفات ، ، وقد يطلق أحدهما على الآخر .

والفرق بين التمثيل والتشبيه وبين التكييف من وجهين :

الأول: أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بمماثل ، فنقول يد فلان مثل يد فلان ، والتكييف ذكر الصفة غير مقيدة بمماثل ، مثل أن نقول: كيفية يد فلان كذا وكذا ، وعلى هذا نقول : كل ممثل مكيّف ، ولا عكس .

الثاني : أن الكيفية لا تكون إلا في الصفة والهيئة ، والتمثيل يكون في ذلك وفي العدد ، كما في قوله تعالى: ﴿ **اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾[الطلاق : ١٢] ، أي: في العدد .

ثم التشبيه الذي ضل به من ضل من الناس على نوعين: تشبيه المخلوق بالخالق ، تشبيه الخالق بالمخلوق .

أولًا : تشبيه المخلوق بالخالق ؛ فمعناه إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق مثل : من أشرك في الربوبية ، وزعم أن مع الله خالقاً ، وكذلك مثل: المشركين الذين زعموا أن لأصنامهم حقاً في الألوهية فعبدوها مع الله .

ثانيًا : تشبيه الخالق بالمخلوق ، فمعناه أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته شيء من خصائص المخلوق ، كقول القائل : إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين واستواءه على عرشه كاستوائهم ونحو ذلك (٣٦) .

رابعًا : طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

أيها الأحبة الكرام ، طريقة أهل الحديث في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

١- في الإثبات: يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل وهناك أمثلة كثيرة في القرآن نذكر منها: ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** ﴾ ، ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا** ﴾ ، ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** ﴾ ، ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ ، ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ ، ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ ، ﴿ **إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ ، ﴿ **وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**

﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ ، ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ ، ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وغير ذلك كثير .

٢- **في النفي**: ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى إذ إن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب ؛ فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله ، وكل نفي في صفات الله ؛ فإنه يتضمن إثبات الكمال ، وليس هو نفيا محضا ؛ لأن النفي المحض ليس فيه مدح ؛ لأنه عدم محض ، والعدم ليس بشيء ، ومن أمثلة النفي المتضمن لإثبات الكمال : فقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ؛ أي لايظلم الله سبحانه وتعالى أحدا لكمال عدله سبحانه ، وقوله : ﴿ ولا يؤوده حفظهما ﴾ ؛ أي لا يثقله سبحانه وتعالى حفظ السموات والأرض لكمال قدرته ، وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ؛ أي لا تأخذه نعاس ولانوم لكمال حياته وقيوميته سبحانه وتعالى ، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] ، أي وما أصابه سبحانه وتعالى من ذلك خلق السموات والأرض من تعب لكمال قوته وقدرته ، وهكذا كل نفي عن الله ؛ فإنه يتضمن إثبات ضد المنفي من الكمال والجلال ، ومن هنا يتبين لنا أن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا تضمن إثبات كمال الضد .

٣- **التوقف**: وذلك فيما لم يرد إثباته أو نفيه – لا في الكتاب ولا في السنة – مما تنازع الناس فيه كالجسم مثلاً ، والحيز ، والجهة ونحو ذلك ، فطريقة أهل السنة والجماعة فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه ، لعدم ورود النص بذلك ، أما معناه فيستفصلون عنه ، فإن أُريد به معنى باطل يُنَزَّهُ الله عنه رَدَّوه ، وإن أُريد به معنىً حقٌّ لا يمتنع على الله قبلوه .

المثال الأول : لفظة الجسم يتوقفون في اللفظ ، أما المعنى فيستفصلون ، فإن أُريد به الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الآخر فهذا ممتنع على الرب

الحي القيوم ، وإن أُريد بالجسم ما يقوم بنفسه ، ويتصف به بما يليق به فهذا غير ممتنع على الله ؛ فإنه سبحانه قائم بنفسه ، متصف بالصفات الكاملة التي تليق به .

المثال الثاني : لفظة الجهة يتوقفون في اللفظة ، أما المعنى فإن أُريد بها جهة سفل فإن الله منزّه عن ذلك ، وإن أُريد جهة علو تُحيط به فهذا ممتنع أيضاً ، وإن أُريد بها أن الله في جهة أي في جهة علو لا تُحيط به فهذا ثابت لله ، وهكذا شأنهم في الألفاظ المجملة (١٥) .

خامسًا : أمثلة على أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة

معاشر الأخوة ، هناك أمثلة كثيرة للأسماء الحسنى في القرآن نذكر منها ، قول الله تعالى : ﴿ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا ﴾ ، ﴿ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا ﴾ ، ﴿ اللهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ، ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

وكذلك هناك أمثلة كثيرة للأسماء الحسنى في السنة المطهرة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ : « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** » [(١)] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ : « **اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ** ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ** ؟ قَالَ : فَقَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٧٤٣١ ، ومسلم ٢٧٣٠ واللفظ للبخاري .

بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى» [(١)] .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ قَالَ : فَقَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**» [(٢)] .

سادسًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٤٦)ما الفرق بين التشبيه والتمثيل في الأسماء والصفات ؟ الفتوى ٩١ .

التشبيه والتمثيل في الأسماء والصفات بينهما فرق ، ولهذا ينبغي أن نقول : "من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل" ، بدل قول : "من غير تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تشبيه" ، فالتعبير بالتمثيل أولى لأمور :

أولا : أنه الموافق للفظ القرآن في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى :١١] ، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [النحل :٧٤] ، ولم يقل : ليس كشبهه شيء ولا قال : فلا تضربوا لله الأشباه .

ثانيا : أن التشبيه صار وصفا يختلف الناس في فهمه فعند بعض الناس إثبات الصفات يسمى تشبيها ، ويسمون من أثبت صفة لله مشبها ، فتجد ذلك عند المعتزلة كما يقول : الزمخشري في تفسيره الكشاف : وقالت المشبهة ، ويقصد أهل السنة والجماعة .

ثالثا : أن نفي التشبيه على الإطلاق بين صفات الخالق وصفات المخلوق لا يصح ، لأنه ما من صفتين ثابتتين إلا وبينهما اشتراك في أصل المعنى ، وهذا الاشتراك نوع من المشابهة : فالعلم مثلا ، للإنسان علم ، وللرب سبحانه علم ، فاشتركا في أصل المعنى ، لكن لا يستويان . أما التمثيل فيصح أن تنفي نفيا

---

(١) **(حسن صحيح)** أخرجه (حم هـ) وقال الألباني في صحيح الترغيب ١٦٤١ حسن صحيح .
(٢) **(صحيح)** أخرجه (ت د) وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٢٨٩ .

مطلقا . وأيضا فلا يقال : من غير تأويل بل من غير تحريف ؛ لأن التأويل في أسماء الله وصفاته ليس منفيا على كل حال ، بل ما دل عليه الدليل فهو تأويل ثابت وهو بمعنى التفسير ، وإنما المنفي هو التحريف وهو صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل ، كما صنع أهل التعطيل الذين اختلفوا فيما نفوا وأثبتوا من أسماء الله وصفاته ، فمنهم من أثبت الأسماء وبعض الصفات ونفى أكثر الصفات ، ومنهم من أثبت الأسماء ونفى الصفات كلها ، ومنهم من نفى الأسماء والصفات كلها ، ومنهم من نفى كل إثبات وكل نفي فقال : لا تصف الله بإثبات ولا نفي .

وأهل السنة بريئون من هذا ويثبتون لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات . وكذلك فقد جاء النص بذم التحريف في قوله : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة :١٣] ، ولم يقل : يئولون ، والتزام الألفاظ الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة أولى من إحداث ألفاظ أخرى .

٤٧) ما هي أنواع التعطيل ؟ الفتوى ٨٦ .

التعطيل الأول : تعطيل تكذيب وجحد ، وهذا كفر . ومثاله رجل قال : إن الله لم يستو على العرش . فهذا جحود وتكذيب ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه :٥] ، ومن كذب خبر الله فهو كافر .

التعطيل الثاني : تعطيل تأويل ، وهذا هو معترك الخلاف بين العلماء هل يحكم على من عطل تأويلا بالكفر أولا ؟ ومثاله رجل أثبت أن الله على العرش استوى ، لكن قال : أقول : إن معناه استولى فهذا تعطيل تأويل ، وهذا قد لا يكفر به الإنسان ، ولهذا لا نكفر من فسر الاستواء بالاستيلاء . وهذا النوع في الحقيقة فيه تفصيل : فأحيانا يكون الإنسان مبتدعا غير كافر ، وأحيانا يكون مبتدعا كافرا حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية في ذلك .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السادس عشر[شروط إحصاء أسماء الله الحسنى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أخي الحبيب ، إنك لا تعبد مجهولاً ، بل تعبد الواحد الأحد الذي تقرأ أسماءه وصفاته في كل حين في القرآن والسنة ، فمعرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته هي نقطة البداية في حياة الإنسان ، البداية الحقة في تحقيق التوحيد ، فإذا وفق العبد لهذه المعرفة ، فقد أوتي خيراً كثيراً ، واهتدى إلى ربه ، ووضع قدميه على الطريق الصحيح ، فمن كان بالله وأسمائه وصفاته أعرف ، وفيه أرغب وأحب ، وله أقرب ، ذاق حلاوة الإيمان ، وحول شروط إحصاء أسماء الله الحسنى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : أسماء الله الحسنى من أحصاها دخل الجنة

قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى: **أسماء الله ليست محصورة بعدد معين** ، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ « **اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ** »[1] ، وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يعلم به ، وما ليس معلوما ليس محصورا .

وأما قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** »[2] ، فليس معناه إحصائها أن تكتب في رقاع ثم تكرر حتى تحفظ ولكن معنى ذلك: الإحاطة بها لفظا ، وفهمها معنى ، والتعبد لله بمقتضاها ولذلك وجهان:

---

(١) (صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٨٧٧ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٨٢٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٣٦ ، و مسلم ٢٦٧٧ .

الأول : أن تدعو الله بها لقوله تعالى: ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك ، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك ، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور اغفر لي ، وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب اغفر لي ، بل هذا يشبه الاستهزاء ، بل تقول: أجرني من عقابك .

والثاني : أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء ، فمقتضى الرحيم الرحمة ، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالبا لرحمة الله ، هذا هو معنى إحصائها ، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمنا لدخول الجنة ا هـ .

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله تعالى : على العبد الإقرار بهذه الأسماء والخضوع لها ، فما كان فيه معنى الوعد كالغفور الشكور العفو الرؤوف الحليم الجواد الكريم ، فليقف منه عند الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد كعزيز ، ذي انتقام ، شديد العقاب ، سريع الحساب ، فليقف منه عند الخشية والرهبة .

ثانيا : شروط إحصاء أسماء الله الحسنى

قال فضيلة الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني في كتابه النفيس " **أسماء الله الحسنى** "فيما معناه : هناك خمسة شروط لنقيس عليها صحة نسب الاسم المتداول الى الأسماء الحسنى المقصودة فى الحديث : « **إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » وهذه الشروط هي :

الشرط الأول : ثبوت النص في القرآن والسنة الصحيحة ، وهذا الشرط مأخوذ من قوله : ﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وقال ابن تيمية : الأسماء الحسنى المعروفة هي التي وردت في الكتاب والسنة وعلى ذلك ليس من أسماء الله النَّظيف ولا الواجِد ولا الماجِد ولا الحنَّان ولا القيَّام لأنها جميعا لم تثبت إلا في روايات ضعيفة أو قراءة شاذة .

الشرط الثاني : علمية الاسم فيشترط أن يرد الاسم في النص مرادا به العلمية ومتميزا بعلامات الاسمية المعروفة في اللغة ، كأن يدخل على الاسم حرف الجر

كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨] ، أو يرد الاسم منونا كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٩] ، أو تدخل عليه ياء النداء كما ثبت في الدعاء : « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ »[(١)] أو يكون الاسم معرفا بالألف واللام كقوله: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١] ، أو يكون المعنى مسندا إليه محمولا عليه كقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ [الفرقان:٥٩] ، فهذه خمس علامات يتميز بها الاسم عن الفعل والحرف وقد جمعها ابن مالك في قوله :

بالجر والتنوين والندا وأل ::: ومسند للاسم تمييز حصل [(٢)] .

الشرط الثالث : الإطلاق وذلك بأن يرد الاسم مطلقا دون تقييد أو اضافة ، لأن الإضافة والتقييد يحدان من إطلاق الحسن والكمال على قدر المضاف وشأنه وقد ذكر الله أسماءه باللانهائية في الحسن فقال : ﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، أي البالغة مطلق الحسن بلا قيد – مثل : ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ في حين أن المقيدة مثل : ﴿ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ [مريم : ٤٧] – ويدخل في الإطلاق أيضا اقتران الاسم بالعلو المطلق على الكل لأن معاني العلو هي في حد ذاتها إطلاق مثل – ﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ – قال ابن تيمية : " الأسماء الحسنى المعروفة هي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها " ، ومن امثلة هذه الاسماء المنطبق عليها هذا الشرط ما ورد في قوله تعالى ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر:٢٣] .

الشرط الرابع : أن يدل الاسم على الوصف فلا بد أن يكون اسما على مسمى لأن الله بين أن أسماءه أعلام وأوصاف ، فكلها تدل على مسمى واحد ؛ ولا فرق بين الرحمن أو الرحيم أو الملك أو القدوس أو السلام إلى آخره فدعاء الله بها

---

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٥٢٤ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٧٧٧ .

(٢) ابن عقيل ١/ ٢١

مرتبط بحال العبد من ضعف أو فقر أو ظلم أو قهر أو مرض أو جهل أو غير ذلك ، فالضعيف يدعو الله باسمه القادر المقتدر القوي ، والفقير يدعوه باسمه الرازق الغني ، والمقهور المظلوم يدعوه باسمه الحي القيوم ، فلو كانت الأسماء جامدة لا تدل على وصف ولا معنى لم تكن حسنى لأن الجامد لا مدح فيه.

الشرط الخامس : أن يكون الوصف الذي دل عليه الاسم في غاية الجمال والكمال فلا يكون المعنى يحتمل شيئا يحد من إطلاق الكمال والحسن ، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] ، فالآية تعني أن اسم الله تنزه وتمجد وتعظم وتقدس عن كل معاني النقص لأنه سبحانه له مطلق الحسن والجلال وكل معاني الكمال والجمال ، فليس من أسمائه الماكر والخادع والفاتن والمضل والمستهزيء والكايد ونحوها لأن ذلك يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر فلا يتصف به الله إلا في موضع الكمال فقط كما ورد به النص (٣٥) .

ثالثا : ثمرات إحصاء أسماء الله الحسنى

أيها الأحبة في الله ، لقد أمر سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه ويدعوه بأسمائه الحسنى فقال سبحانه : ﴿وَللهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقد بشر النبي ﷺ من أحصى أسماء الله الحسنى بجنة عرضها السماوات والأرض ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(١)] .

فإن من أحصى أسماء الله الحسنى وتدبرها وعمل بمقتضاها زكت نفسه ، وصلحت أعماله ، فأكثر من طاعة مولاه ، وازداد من شكره ، وازداد خشية لله وتعظيماً ، ومراقبة له ومحبة وحياء منه ، وشوقاً إلى لقاءه ، وابتعد عن معصية الله ، (٤١) ، وسوف نوجز ثمرات إحصاء الله الحسنى في نقاط :

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٣٦ ، و مسلم ٢٦٧٧ .

١- فالعلم بأسماء الله الحسنى هو الطريق إلى معرفة الله ، فالله خلق الخلق ليعرفوه ، ويعبدوه ، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم وليس هناك سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال معرفة أسمائه الحسنى وصفاته .

٢- ومعرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له: وهذا هو عين سعادة العبد ، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه بمعانيها ، وأحكامها ، ومقتضياتها .

٣- أكمل الناس عبودية: المتعبِّد بجميع الأسماء التي يطَّلِع عليها البشر ، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

٤- تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد ، فمثلاً أسماء العظمة تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله ، وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله ، وشوقاً إليه ، ورغبة بما عنده ، وحمداً وشكراً له ، وأسماء العزة ، والحكمة ، والعلم ، والقدرة تملأ القلب خضوعاً وخشوعاً وانكساراً بين يديه عز وجل ، وأسماء العلم ، والخبرة ، والإحاطة ، والمراقبة ، والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات في الجلوات والخلوات ، وأسماء الغنى ، واللطف ، تملأ القلب افتقاراً ، واضطراراً ، والتفاتاً إليه في كل وقت وحال .

٥- الانزجار عن المعاصي ذلك أن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي ، فتذكر إسم البصير يعنى أن الله يبصرها ، فتستحضر هذا المقام وتذكر وقوفها بين يديه ، فتنزجر وترعوي ، وتجانب المعصية .

٦-أن النفوس تتطلع وتتشوق إلى ما في أيدي الآخرين ، وربما وقع فيها شيء من الاعتراض أو الحسد ، فعندما تتذكر أن الله من أسمائه الحكيم ، والحكيم هو الذي

يضع الشيء في موضعه عندئذٍ تكف عن حسدها ، وتنقدع عن شهواتها ، وتنفطم عن غيّها .

٧-أن العبد يقع في المعصية ، فتضيق عليه الأرض بما رَحُبت ، ويأتيه الشيطان ؛ ليجعله يسيء ظنه بربه ، فيتذكر أن من أسماء الله الرحيم ، التواب ، الغفور ، فلا يتمادى في خطيئته ، بل ينزع ، ويتوب إلى ربه ، ويستغفره فيجده غفوراً رحيماً .

٨- أن العبد تتناوشه المصائب ، والمكاره ، فيلجأ إلى الركن الركين ، والحصن الحصين ، فيذهب عنه الجزع والهلع ، وتنفتح له أبواب الأمل .

٩ – أن العبد يقارع الأشرار ، وأعداء دين الله من الكفار والفجار ، فيجدُّون في عداوته ، وأذيته ، ومنع الرزق عنه ، وقصم عمره ، فيعلم أن الأرزاق والأعمار بيد الله وحده ، وذلك يُثمر له الشجاعة ، وعبودية التوكل على الله ظاهراً وباطناً .

١٠- أن العبد تصيبه الأمراض ، وربما استعصت وعزَّ علاجها ، وربما استبد به الألم ، ودب اليأس إلى قلبه ، وذهب به كل مذهب ، حينئذٍ يتذكر أن الله هو الشافي ، فيرفع يديه إليه ويسأله الشفاء ، فتنفتح له أبواب الأمل ، وربما شفاه الله من مرضه ، أو صرف عنه ما هو أعظم ، أو عوضه عن ذلك صبراً وثباتاً ويقيناً هو عند العبد أفضل من الشفاء (١٥) .

رابعًا : اسم الله الأعظم

أيها الأحبة الكرام ، لا يوجد نص صريح يفصل في اسم الله الأعظم واختلف العلماء في ذلك ووردت عدة أحاديث صحيحة في بيان اسم الله الأعظم منها:

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ قَالَ فَقَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ**

بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى » [(١)] .

وَعَنْ أَنس أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**» [(٢)] .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ** : ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة :١٦٣] ، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿ **الم(١) اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢)** ﴾[آل عمران :٢] » [(٣)] .

والاسم الأعظم على الراجح هو ما دل على جميع ما لله من صفات الكمال ، وتضمن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال ، مثل: الله ، والصمد ، والحي القيوم ، وذو الجلال والإكرام ، والله أعلم ، فمن سأل الله ﷻ وتوسل إليه باسم من هذه الأسماء العظيمة مستحضرا قلبه حال الدعاء لم تكد ترد له دعوته (٤١) .

سادسا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٤٨) ما الفرق بين الاسم والصفة؟ وهل يلزم من ثبوت الاسم ثبوت الصفة؟ ومن ثبوت الصفة ثبوت الاسم؟ الفتوى ٥١ .

الفرق بين الاسم والصفة : أن الاسم: ما سمي الله به ، والصفة: ما وصف الله به . وبينهما فرق ظاهر ، فالاسم يعتبر علما على الله ﷻ متضمنا للصفة .

ويلزم من إثبات الاسم إثبات الصفة مثاله: ﴿ **إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [البقرة :١٧٣] ، (غفور) اسم يلزم منه المغفرة و(رحيم) يلزم منه إثبات الرحمة . ولا يلزم من إثبات الصفة إثبات الاسم ، مثل الكلام لا يلزم أن نثبت لله اسم المتكلم ، بناء

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣٤٧٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٢٨٩ .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٤٩٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٢٩٠ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٤٩٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٨٠ .

على ذلك تكون الصفات أوسع ؛ لأن كل اسم متضمن لصفة وليست كل صفة متضمنة لاسم .

٤٩) ماذا عن حكم إنكار شيء من أسماء الله تعالى أو صفاته ؟ الفتوى ٨٧

الإنكار نوعان :

النوع الأول : إنكار تكذيب ، وهذا كفر بلا شك ، فلو أن أحدا أنكر اسما من أسماء الله ، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة ، مثل أن يقول : ليس لله يد ، فهو كافر بإجماع المسلمين ؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة .

النوع الثاني : إنكار تأويل وهو أن لا يجحدها ، ولكن يئولها وهذا نوعان :

الأول : أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر .

الثاني : أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية فهذا موجب للكفر ، لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبا ، مثل أن يقول : ليس لله يد حقيقة ، ولا بمعنى النعمة ، أو القوة ، فهذا كافر ؛ لأنه نفاها نفيا مطلقا فهو مكذب حقيقة ، ولو قال في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المراد بيديه السماوات والأرض فهو كافر ، لأنه لا يصح في اللغة العربية ، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية فهو منكر مكذب ، لكن إن قال : المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة .

٥١) هل من أسماء الله تعالى "الحي القيوم" ؟ الفتوى ٧٠

لا شك أن من أسماء الله الحسنى **"الحي القيوم"** بل ورد أنهما اسم الله الأعظم ، لتضمنهما معاني أسماء الله وصفاته الذاتية والفعلية ، وهما مذكوران في ثلاث آيات من القرآن الكريم : في آية الكرسي : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة :٢٥٥] . وفي أول سورة آل عمران : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] ، وفي سورة طه : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾[طه : ١١١] ،

وآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله ، من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

٥٢) ماذا عن قول النبي ﷺ في الحديث القدسي : «قَالَ اللهُ ﷻ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» ؟ الفتوى ٧٤

قوله في الحديث المشار إليه في السؤال : « **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ** »أي إنه سبحانه يتأذى بما ذكر في الحديث ، لكن ليست الأذية التي أثبتها الله لنفسه كأذية المخلوق ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١١] ، فقدم نفي المماثلة على الإثبات ، لأجل أن يرد الإثبات على قلب خال من توهم المماثلة ، ويكون الإثبات حينئذ على الوجه اللائق به تعالى ، وأنه لا يماثل في صفاته ، كما لا يماثل في ذاته ، وكل ما وصف الله به نفسه ليس فيه احتمال للتمثيل ، إذ لو أجزت احتمال التمثيل في كلامه سبحانه وكلام رسوله ﷺ في صفات الله ، لأجزت احتمال الكفر في كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ لأن تمثيل صفات الله تعالى بصفات المخلوقين كفر لأنه تكذيب لقوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[الشورى : ١١] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السابع عشر[إحصاء أسماء الله الحسنى <1>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أخي الحبيب ، إنك لا تعبد مجهولاً ، بل تعبد الواحد الأحد الذي تقرأ أسماءه وصفاته في كل حين في القرآن والسنة ، فمعرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته هي نقطة البداية في حياة الإنسان ، البداية الحقة في تحقيق التوحيد ، فإذا وفق العبد لهذه المعرفة ، فقد أوتي خيراً كثيراً ، واهتدى إلى ربه ، ووضع قدميه على الطريق الصحيح ، فمن كان بالله وأسمائه وصفاته أعرف ، وفيه أرغب وأحب ، وله أقرب ، ذاق حلاوة الإيمان ، وحول أسماء الله الحسنى الصحيحة التى انطبق عليها شروط الإحصاء سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

إحصاء أسماء الله الحسنى من الكتاب والسنة

أحبتي في الله ، في هذا اليوم المبارك سنتناول أسماء الله الحسنى التى استوفت شروط الإحصاء السابقة ، وهذه الأسماء أدرجها فضيلة الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني في كتابه الماتع " **أسماء الله الحسنى**" وهي تسعة وتسعين اسمًا بدون لفظ الجلالة الله ، وهي: **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ السَّمِيعُ البَصِيرُ المَوْلَى النَّصِيرُ العَفُوُّ القَدِيرُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الوِتْرُ الجَمِيلُ الحَيِيُّ السِّتيرُ الكَبِيرُ المُتَعَالُ الوَاحِدُ القَهَّارُ الحَقُّ المُبِينُ القَوِيُّ المَتِينُ الحَيُّ القَيُّومُ العَلِيُّ العَظِيمُ الشَّكُورُ الحَلِيمُ الوَاسِعُ العَلِيمُ التَّوابُ الحَكِيمُ الغَنِيُّ الكَرِيمُ الأَحَدُ الصَّمَدُ القَرِيبُ المُجيبُ الغَفُورُ الوَدودُ الوَلِيُّ الحَميدُ الحَفيظُ المَجيدُ الفَتَّاحُ الشَّهيدُ المُقَدِّمُ المُؤخِّرُ المَليكُ المُقْتَدِرْ المُسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ القَاهِرُ الديَّانُ الشَّاكِرُ المَنانُّ القَادِرُ الخَلاَّقُ المَالِكُ الرَّزَّاقُ الوَكيلُ الرَّقيبُ المُحْسِنُ الحَسيبُ الشَّافِي الرِّفيقُ المُعْطي المُقيتُ السَّيِّدُ الطَّيِّبُ الحَكَمُ الأَكْرَمُ البَرُّ الغَفَّارُ الرَّءوفُ الوَهَّابُ الجَوَادُ السُّبوحُ الوَارِثُ الرَّبُّ الأعْلى الإِلَهُ**، ولقد قسم فضيلة

الدكتور محمود الرضواني هذه الأسماء إلى : أسماء دالة على صفات ذاتية وعددها اثنان وأربعون اسما وهي : **الرب والإله الواحد الأحد ، السيد الصمد ، الحي القيوم ، المالك الملك المليك ، الحق المبين ، العلي الأعلى المتعال ، العظيم المجيد ، العليم الخبير ، القادر القدير ، المقتدر السميع البصير الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، الكبير الحكيم ، العزيز الكريم ، القدوس السلام ، القوي المتين ، الغني الوارث الرقيب ، الجميل الوتر** ، وأسماء دالة على صفات فعلية وعددها سبعة وخمسون وهي: **الرحمن الرحيم ، الخالق الخلاق ، البارئ المصور ، المؤمن المهيمن ، الجبار المتكبر ، القاهر القهار ، الغفور الغفار ، الشاكر الشكور ، الرازق الرزاق ، القابض الباسط ، الولي المولى ، الأكرم الوهاب ، المقدم المؤخر ، الديان الطيب اللطيف ، الودود الرؤوف ، العفو التواب ، الحيي الستير ، الحكم الحليم ، البر النصير ، المعطي الوكيل ، القريب المجيب ، الواسع الفتاح ، الحميد السبوح ، المسعر المحسن ، الرفيق الجواد ، الشافي المنان ، الحفيظ المقيت ، الشهيد الحسيب** ، وتتفق هذه الأسماء مع الأسماء الحسنى التي أوردها فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى عدا في الأسماء : **العالم ، والحافظ ، والمحيط ، والحفي، ولفظ الجلالة** ، فتم إستبدالها **بالديان ، والرزاق ، والمسعر ، والستير ، والمالك** ، **وقال فضيلة الدكتور محمود الرضواني** : لفظ الجلالة هو الاسم الأعظم الذي تضاف إليه الأسماء ويكمل به عند إحصائه مائة اسم كما هو واضح وظاهر من نص الحديث: إِنَّ لِلّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمَا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا ا هـ ، فنقول الله الأحد ، الله الأعلى ، الله الأكرم . . . ، في حين أن فضيلة الشيخ العثيمين وغيره من الذين ذكروا لفظ الجلالة (الله) بين الأسماء الحسنى ضمن التسعة والتسعين اسمًا ، ولضيق المجال هنا اكتفيت بسرد الدليل من كتاب الله إذا وجد ، وإن كان الدليل

في السنة الصحيحة فقط فسأذكره بإذن الله تعالى ، ولقد رتبت الأسماء هنا على الحروف الهجائية (أ ، ب ، ت .) ومن أسماء الله الحسنى :

١- الأحد : ورد في القرآن والسنة ، فورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا غير مقيدٍ مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] ، فالاسم ورد في السورة مطلقا منونا ومعناه : المنفرد بأوصاف الكمال الذي لا مثيل له ، فنحكم علي كيفية أوصافه من خلاله ولا يستوي مع سائر الخلق ، فيسرى عليه قانون أو قياس أو قواعد تحكمه كما تحكمهم ، لأنه المتصف بالتوحيد المنفرد عن أحكام العبيد (٤) .

٢- الأعلى : ورد في الكتاب والسنة ، فورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾[الأعلى:١] (٤) ، ومعناه : أنَّ جميع معاني العلو ثابته لله من كل وجه ، فله علو الذات ، فإنه فوق المخلوقات ، وعلى العرش استوى أي علا وارتفع . وله علو القدر وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق ، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته ، وله علو القهر ، فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم (٧) .

٣- الأكرم : ورد الاسم في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء في قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ٣] (٤) ، قال الخطابي رحمه الله في معناه : الله هو أكرم الأكرمين ، لا يوازيه كريم ، ولا يعادله نظير .

٤- الإله : ورد في الكتاب والسنة ، فورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فجاء على سبيل الإطلاق والإضافة مرادا به العلمية ودالا على الوصفية في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة :١٦٣] ؛ حيث ورد فيها الإطلاق والإضافة معا ، ومعناه : المستحق للعبادة المألوه الذي تعظِّمه القلوب وتخضع له وتعبده عن رضا ومحبة (٤) .

٥، ٦ ، ٧ ، ٨ – الأول والآخر والظاهر والباطن : وردت هـذه الأسمـاء في الكتاب والسنة ، فوردت في القرآن منطبقاً عليهـا شـروط الإحصـاء في قولـه تعـالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾[الحديد :٣] ، فـالأول معنـاه : فلـيس قبلـه شيء ، والآخر معناه : فليس بعده شيء ، والظاهر معناه : فلـيس فوقـه شـيء ، والباطن معناه : فليس دونه شيء ، لم يزل بصفات الكمال ولا يزال دائما باقيا بلا انقضاء ولا زوال ، يعلم دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، خلق كل شيء فقدره تقديرا (٤) .

٩– البارئ : ورد الاسم في القرآن منطبقاً عليه شـروط الإحصـاء في قولـه تعـالى : ﴿ هُـوَ اللهُ الْخَـالِقُ الْبَـارِئُ الْمُصَـوِّرُ لَـهُ الأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى ﴾[الحشـر :٢٤] ولم يرد في السنة الصحيحة(٤) ، ومعناه : الذي يخلق الأشياء بغير مثال سابق من العدم (٤٨) .

١٠ – البر : ورد الاسم في القرآن الكريم منطبقاً عليـه شـروط الإحصـاء في قولـه تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُـوَ الْـبَرُّ الـرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٨] ، ولم يرد في السنة الصحيحة (٤) ، ومعناه: المحسن إلى خلقه ، عمهم برزقه ، وخص من شاء منهم بولايته ، ومضاعفة الثواب له على طاعته ، والتجاوز عن معصيته (٣٠) .

١١– البصير : ورد في الكتاب والسنة ، فورد في القـرآن منطبقـا عليـه شـروط الإحصاء كقوله تعالى : ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِـيرٌ ﴾ [الحج:٧٥] ، قال الحليمي رحمه الله :البصير هم المدرك لما يدركه المخلوقون بعقـولهم وحواسهم ، وما لا يستطيعون إدراكه ، من غير أن يكون موصوفا بعقل أو حـس ، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب – لا يغيب – عنه شيء ، ولا يعجزه إدراك شـيء (٤)

١٢ – التواب : ورد في الكتاب والسنة ، فورد في القـرآن منطبقـا عليـه شـروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّـهِ كَلِمَـاتٍ فَتَـابَ عَلَيْـهِ إِنَّـهُ هُـوَ التَّـوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة:٣٧] ، ومعناه : هو الذي يرجع إليه تيسير أسباب التوبة لعباده مـرة

بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته ، حتى إذا . . استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم (٤) .

١٣- الجبار : ورد في الكتاب والسنة ، منطبقاً عليه شروط الإحصاء في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ﴾[الحشر:٢٣] ، قال العثيمين رحمه الله في معناه : له ثلاثة معان: جبر القوة فهو تعالى الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته . . ، وجبر الرحمة فإنه سبحانه يجبر الضعيف بالغنى والقوة . . ، وجبر العلو فإنه سبحانه فوق خلقه عال عليهم وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم ويرى أفعالهم . . .

١٤- الحسيب : ورد اسم الله الحسيب في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾[النساء:٨٦] ، ومعناه : ضابط لأعداد المخلوقات وهيئاتها وخصائصها وأوصافها ، ويحصي أعمال المكلفين . . ، ويحصي أرزاقهم وأقدارهم وأفعالهم ومآلهم ، حال كونهم وبعد موتهم وعند حسابهم يوم يقوم الأشهاد (٤) .

١٥- الحفيظ : ورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[هود:٥٧] ، وقد تقدم في شروط الإحصاء أن الاسم المقترن بالعلو والفوقية يزيد الإطلاق كمالا على كمال ، ومعناه : الحافِظُ لمن يشاءُ من الشَّرِّ والأذى والهَلَكَةِ والبلاء (٤) .

١٦- الحق : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيم ﴾ [المؤمنون:١١٦] (٤) ، قال السعدي رحمه الله في معناه: الحَقُّ هو سبحانه قوله حق ، وفعله حق ، ولقاؤه حق ، ورسله حق ، وكتبه حق ، ودينه حق ، وعبادته وحده لا شريك له حق ، وكل شيء ينسب إليه فهو حق .

١٧- المبين : ورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء فورد ، كما في قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ ﴾ [النور:٢٥] ، ومعناه : الذي أبدى في خلقه حججه الباهرة وبراهينه الظاهرة ، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه (٤) .

١٨- الحكيم : ورد في الكتاب والسنة ، فورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء ، كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [البقرة :١٢٩] (٤) ، قال السعدي رحمه الله في معناه: هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه فلا يخلق شيئاً عبثا ، ولا يشرع شيئاً سدى ، الذي له الحكم في الأولى ، والآخرة ، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك ، فيحكم بين عباده في شرعه ، وفي قدره ، وجزائه .

١٩- الحليم : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٢٥] (٤) ، ومعناه : هو الصفوح مع القدرة ، المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة (٣٠) .

٢٠- الحميد : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما قوله تعالى : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ ﴾ [الحج:٢٤] ، ومعناه : هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودا ، وإن لم يحمده غيره فهو حميد في نفسه ، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين (٣٠) .

٢١- الْحَيِّ : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾[الفرقان :٥٨] ،

قال السعدي رحمه الله في معناه : هو كامل الحياة والذي له جميع معاني الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها .

٢٢- القيوم : ورد في الكتاب والسنة ، فورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[طه :١١١] ، قال ابن القيم رحمه الله في معناه : هو الذي قام بنفسه فلم يحتاج إلى أحد وقام كل شيء به فكل ما سواه محتاج إليه وقال قتادة رحمه الله : هو القائم بتدبير ما خلق .

٢٣-الخبير : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨] (٤) ، ومعناه : قال ابن القيم رحمه الله : هو الذي انتهى علمه بالإحاطه ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاطت بظواهرها ، فكيف يخفى علي اللطيف الخبير ما تحويه الضمائر وما تخفيه الصدور .

٢٤- الخالق : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الحشر:٢٤] ، (٤) معناه : قال البيهقي رحمه الله :المبدع المخترع للخلق على غير مثال سبق ، وقال السعدي رحمه الله : هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعتهم ومعاصيهم ، وهي أيضاً أفعالهم ، فهي تضاف إلى الله خلقاً وتقديراً وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة على الحقيقة ولا منافاة بين الأمرين .

٢٥- الخلاق : ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر:٨٦] ، والخلاق صيغة مبالغة من الخالق الموصوف بخلق غيره ، وهو الذي يبدع في خلقه كما وكيفا ، كما يخلق ما يشاء (٤) .

٢٦- الرءوف : ورد في الكتاب والسنة ، كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠] (٤) ، قال السعدي رحمه الله في معناه : شديد الرأفة بعباده فمن

رأفته ورحمته بهم أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها ومن رأفته توفيقهم القيام بحقوقه وحقوق عباده .

٢٧- الرحمن : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) ﴾ [الرحمن:١-٢] ، فالرحمن الرحيم مشتق من الرحمة على وجه المبالغة في الوصف ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، فالرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة ، وكلاهما مشتقان من الرحمة (٤)

٢٨- الرحيم : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، كما في قوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت:٢] (٤) ، قال الخطابي رحمه الله في معناه: الرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر ، والصالح والطالح ، وأما الرحيم فخاص للمؤمنين .

٢٩- الرزاق : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨] (٤) ، قال الخطابي رحمه الله في معناه : هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، وكل ما وصل إليه – أي العبد- من مباح وغير مباح فهو رزق الله ، إلا أن الشيء إذا كان مأذونا له في تناوله فهو حلال حُكْمَا ، وماكان منه غير مأذون فهو حرام حكما ، وجميع ذلك رزق .

٣٠- الرقيب : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً ﴾ [الأحزاب :٥٢] (٤) ، قال القرطبي رحمه الله في معناه:فالله تعالى رقيب على الأشياء بعلمه ، ورقيب للمبصرات ببصرة ، ورقيب للمسموعات بسمعه ، والمدرك لكل حركة وكلام .

٣١- السلام : ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء في قولـه تعـالى : ﴿ هُوَ اللهُ الذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣] ، (٤) ومعناه : هو الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل آفة . . وقيل هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته (٣٠) .

٣٢- السميع : ورد في الكتاب والسنة ، ولقد ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فكما في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] (٤) ، قال ابن القيم رحمه الله في معناه : وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشتبه عليه ،ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه كثرة السائلين .

٣٣ – الشاكر : ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾ [النساء:١٤٧] ، ولم يثبت الاسم في السنة (٤) ، قال السعدي رحمه الله في معناه: وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع ، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب ، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

ثانيا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٥٠) ماذا عن اسم الله تعالى الجبار ؟ الفتوى ٦٩

الجبار له ثلاثة معان : **الأول** : جبر القوة ، فهو سبحانه وتعالى الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته ، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله ﷻ وجبروته وفي يده وقبضته . **الثاني** : جبر الرحمة ، فإنه سبحانه يجبر الضعيف بالغنى والقوة ، ويجبر الكسير بالسلامة ، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها ، وإحلال الفرح والطمأنينة فيها ، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله .**الثالث** : جبر العلو فإنه سبحانه فوق خلقه عال

عليهم ، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم ، ويرى أفعالهم ، ويعلـم ما توسوس به نفوسهم

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس الثامن عشر[إحصاء أسماء الله الحسنى <٢>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أخي الحبيب ، إنك لا تعبد مجهولاً ، بل تعبد الواحد الأحد الذي تقرأ أسماءه وصفاته في كل حين في القرآن والسنة ، فمعرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته هي نقطة البداية في حياة الإنسان ، البداية الحقة في تحقيق التوحيد ، فإذا وفق العبد لهذه المعرفة ، فقد أوتي خيراً كثيراً ، واهتدى إلى ربه ، ووضع قدميه على الطريق الصحيح ، فمن كان بالله وأسمائه وصفاته أعرف ، وفيه أرغب وأحب ، وله أقرب ، ذاق حلاوة الإيمان ، وحول أسماء الله الحسنى والتي انطبق عليها شروط الإحصاء مازال الحديث متصلًا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

٣٤- الشكور : ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، فورد علي سبيل الإطلاق ومنونا مرادا به العلمية ودالا علي كمال الوصفية كما في قوله تعالى : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٠] ، (٤) ، قال الحليمي رحمه الله : الشاكر: المادح لمن يطيعه والمثني عليه ، والشكور : هو الذي يدوم شكره ويعم كل مطيع ، وكل صغير من الطاعة أو كبير .

٣٥- الشهيد : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، فورد مقرونا بالعلو والفوقية كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سبأ: ٤٧] (٤) ، قال الحليمي رحمه الله : الشهيد : المطلع على ما لا يعلمه المخلوقون إلا بالشهود وهو الحضور .

٣٦- الصمد : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء ، وورد مع اسمه الأحد في سورة الإخلاص فقط : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) ﴾[الإخلاص:١ -٢] (٤) ، قال القرطبي ، والبيهقي ، وابن القيم ، وابن كثير رحمهم الله ما معناه : هو الذي لا يخرج منه شيء ، ولا يأكل ولا يشرب ، والباقي بعد فناء خلقه ، والمستغني عن كل أحد ، والمحتاج إليه كل أحد ، والمرغوب في

الرغائب، والمستعان به في المصائب ، والذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

٣٧- العزيز : ورد في القرآن والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:٦] ، (٤) ، ومعناه: قال البيهقي رحمه الله : هو الغالب الذي لا يغلب ، والمنيع الذي لا يوصل إليه ،وقال ابن القيم رحمه الله : الذي يقضي بما شاء ، ولكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه ، بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء ، وحال بين العبد وقلبه ، وقال الغزالي رحمه الله : هو الذي يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة إليه ، ويصعب الوصول إليه .

٣٨- العظيم : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ ﴾ [الحاقة:٣٣] (٤) ، ومعناه :قال البيهقي رحمه الله: المستحق لأوصاف العلو والرفعة والجلال والعظمة والتقديس من كل آفة ، وقال الرازي رحمه الله: هو سبحانه أعظم من كل عظيم من وجوده ، فإنه دائم الوجود أزليًا وأبدًا ، وغيره ليس كذلك . .

٣٩- العفو : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴾ [النساء:١٤٩] (٤) ، ومعناه : هو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو عفو يحب العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السعي في مرضاته ، والإحسان إلى خلقه (٧) .

٤٠- العليم : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٣٧] ، (٤) ، ومعناه : يعلم ما كان وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم وبعد ما يميتهم وبعد ما

يحييهم ، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها خيرها وشرها وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل ذلك في دار القرار (٧) .

٤١- العلي : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[البقرة:٢٥٥] ومعناه : لهَّ جميع معاني العلو من كل وجه ، فله علو الذات ، فإنه فوق المخلوقات ، وعلى العرش استوى أي علا وارتفع ، وله علو القدر وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق ، وله علو القهر ، فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعُلُوِّهِ الخلق كلهم ، فنواصيهم بيده ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن (٧) .

٤٢- الغفار : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [ص:٦٦] (٤) ، قال الحليمي رحمه الله في معناه : هو المبالغ في الستر ؛ فلا يشهر الذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وقال البيهقي رحمه الله : الستار لذنوب عباده مرة بعد أخرى .

٤٣- الغفور : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر٤٩] (٤) ، قال الحليمي رحمه الله في معناه: هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده ، ويزيد غفره- أي: للذنوب- على مؤاخذته- أي: عقابه بالذنوب- .

٤٤- الغني: ورد في الكتاب والسنة، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام:١٣٣] (٤) ، قال ابن القيم رحمه الله في معناه: الله تعالى الغني بنفسه عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه ، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته ، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته .

٤٥–الفتاح : ورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ:٢٦] ، ومعناه : قال الخطابي رحمه الله: الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ، ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق ، وقال القرطبي رحمه الله : يكون بمعنى الناصر .

٤٦– القادر : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [المرسلات:٢٣] (٤) ، معناه :قال البيهقي رحمه الله :هو الذي له القدرة الشاملة ، وقال ابن تيمية رحمه الله: هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل . . فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

٤٧– القاهر : وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام:٦١] (٤) ، ومعناه : الذي قهر جميع الكائنات ، وذلّت له جميع المخلوقات ، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ، ولا ضراً ، ولا خيراً ولا شراً (٧) .

٤٨– القدوس : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة:١] (٤) ومعناه : قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى: القدوس فهو الذي تقدس وتعالى عن كل نقص وعيب ، فالنقص لا يجوز عليه ولا يمكن في حقه لأنه تعالى الرب الكامل المستحق للعبادة .

٤٩– القدير : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم:٥٤] (٤) ، قال ابن القيم رحمه الله في معناه: الذي ليس كمثله شيء في قدرته ، والذي لكمال

قدرته يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويجعل المؤمن مؤمنا والكافر كافرا ، والبر برا والفاجر فاجرا ، وهو الذي لكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب ولا يعجزه أحد من خلقه ولا يفوته .

٥٠- القريب : وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود:٦١] (٤) ، معناه : قربه نوعان : قرب عام وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء ، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، وهو بمعنى المعية العامة وقرب خاص بالداعين والعابدين المحبين ، وهو قرب يقتضي المحبة ، والنصرة ، والتأييد في الحركات والسكنات ، والإجابة للداعين ، والقبول والإثابة للعابدين (٧) .

٥١- القوي : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قال تعالى : ﴿ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى:١٩] (٤) ، قال الخطابي رحمه الله في معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال ، وإن المخلوق إذا وصف بالقوة فإن قوته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة .

٥٢- القهار : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قول الله تعالى : ﴿ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[الرعد:١٦] ، ومعناه : القهار صيغة مبالغة من قاهر ، فالقهار هو كثير القهر ، وقهره عظيم ، يقهر من نازعه في ألوهيته وربوبيته وحاكميته وأسمائه وصفاته(٤) .

٥٣- الكبير : ورد في الكتاب والسنة ، منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[لقمان :٣٠] (٤) ، ومعناه: قال الخطابي رحمه الله :الكبير هو الموصوف بالجلال وكِبَر الشأن ، فَصَغُرَ دون جلاله كل كبير ، وقال السعدي رحمه الله: الذي له الكبرياء في ذاته ، وصفاته وله الكبرياء في قلوب أهل السماء ، والأرض .

٥٤- الكريم : ورد في الكتاب والسنة، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا معرفا ومنونا مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية قال تعالى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٤٠] (٤)، ومعناه : قال البيهقي رحمه الله : هو المنزه عن الدناءة ، المحسن بما لا يجب عليه، والصفوح عن حقٍ وَجَب له ، وقال السعدي رحمه الله : كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها .

٥٥- اللطيف : ورد في الكتاب والسنة، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا معرفا ومنونا مرادا به العلمية ودالا على الوصفية وكمالها ، وقد ورد المعنى محمولا عليه مسندا إليه كما في قوله تعالى : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك:١٤] (٤)، معناه : هو الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا ومكنونات الصدور ومغيبات الأمور ، وما لطف ودقّ من كل شيء، ومن لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتمَّ عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويرقيه إلى المنازل العالية فييسره لليسرى ويجنبه العسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته (٧) .

٥٦-المؤمن : ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى :

﴿ هُوَ اللهُ الذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣] ، ومعناه فيه عدة أقوال منها: أن المؤمن هو الذي أمن الناس أنه لا يظلم أحدا من خلقه ، وأمن من آمن به من عذابه ، وهذا القول منسوب لعبد الله بن عباس رضي الله عنه ، فالله عز وجل لا يظلم أحدا من خلقه ، وكل سينال ما يستحق ، ولا يبخسه الله شيئا مما له من الحق ، ومنها أن المؤمن هو المجير الذي يجير المظلوم من الظالم (٤) .

٥٧- المتعال : ورد في الكتاب والسنة، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩] ، ومعناه

: هو الذي ليس فوقه شيء في قهره وقوته ، فلا غالب ولا منازع له سبحانه ، بل كل شيء تحت قهره وسلطانه (٤) .

٥٨- **المتكبر** : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ الذِي لا إِلَـهَ إِلا هُـوَ المَلِـكُ القُـدُّوسُ السَّـلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣] (٤) ، ومعناه : قال الخطابي هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم ، وقال قتادة رحمه الله : الذي تكبر عن السوء والسيئات ، وقال أبو اسحاق رحمه الله : الذي يكبر عن ظلم عباده ، وقال الرازي رحمه الله : هو الذي إنفرد بالكبرياء والملكوت ، وتوحد بالعظمة والجبروت ، وهو الذي بيده الإحسان ، ومنه الغفران وليس لملكه زوال ، ولا في عظمته انتقال .

٥٩- **المتين** : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨] (٤) ، قال الحليمي رحمه الله في معناه: هو الذي لا تتناقص قوته ويفتر ، وقال البيهقي رحمه الله : الشديد القوة الذي لا تنقطع قوته ولا يمسه في أفعاله لغوب .

٦٠- **المجيب** : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا معرفا ومنونا مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾[الصافات :٧٥] (٤) ، قال السعدي رحمه الله في معناه : المجيب لدعوة الداعين ، وسؤال السائلين ، وعباده المستجيبين ، وإجابته نوعان:إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، وإجابة خاصة ولها أسباب عديدة ، منها دعوة المضطر الذي وقع في شدة وكربة .

٦١- **المجيد** : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود:٧٣] (٤) ، ومعناه : الذي له المجد العظيم ، والمجد هو

عظمة الصفات وسعتها ، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه : فهو العليم الكامل في علمه ، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، القدير الذي لا يعجزه شيء ، الحليم الكامل في حلمه ، الحكيم الكامل في حكمته ، إلى بقية أسمائه وصفاتها التي بلغت غاية المجد فليس في شيء منها قصور أو نقصان قال تعالى : ﴿ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٣] (٧) .

٦٢- **المصور** : وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الحشر:٢٤] ، ولم يثبت الاسم في السنة النبوية (٤) ، ومعناه : قال الخطابي رحمه الله : الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها ، وقال ابن كثير رحمه الله : هو الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار ، كقوله تعالى : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ ﴾[الإنفطار : ٨] .

٦٣- **المقتدر** : وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[القمر:٥٥] ، والقادر يدل على التقدير في المرتبة الأولى ، والقدير يدل على القدرة وتنفيذ المقدر في المرتبة الرابعة من مراتب القدر . . ، والقَدَرْ بدايته في التَقْدِير ونهايته في القُدْرَة وتحقيق المُقَدَّر ، أما المقتدر جمع في دلالته بين اسم الله القادر والقدير معا فهو أبلغ منهما في الدلالة والوصف ، قال الله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾[الكهف:٤٥] ، أي مقتدرا على كل شيء من الأشياء يحييه ويفنيه بقدرته لا يعجز عن شيء (٤) .

٦٤- **المقيت** : ورد في القرآن في موضع واحد من القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً ﴾ [النساء:٨٥] ، قال السعدي رحمه الله في معناه : هو سبحانه الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات . وأوصل إليها أرزاقها

وصرّفها كيف يشاء ، بحكمته وحمده .

٦٥- الملك : ورد في الكتاب والسنة ، منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ الذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣] ، (٤) ، قال العثيمين رحمه الله في معناه: ذو السلطان الكامل والملك الشامل المتصرف بخلقه كما يشاء من غير ممانع ولا مدافع ؛ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها له الملك المطلق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، بيده ملكوت السماوات والأرض يحيي ويميت ، يغني فقيرا ، ويفقر غنيا ، ويضع شريفا ويرفع وضيعا ، ويوجد معدوما ، ويعدم موجودا ، ويبتلي بالنعم ، ويبتلي بالمصائب ؛ ليبلو عباده أيشكرون النعمة أم يكفرون ، وهل يصبرون على المصائب أو يجزعون .

ثانيًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٥٣) هل الدهر من أسماء الله ؟ الفتوى ٧٣

الدهر ليس من أسماء الله سبحانه وتعالى وذلك لسببين :

السبب الأول : أن أسماءه سبحانه وتعالى حسنى ، أي بالغة في الحسن أكمله ، فلا بد أن تشتمل على وصف ومعنى هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة ، ولهذا لا تجد في أسماء الله تعالى اسما جامدا ، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات .

السبب الثاني : أن سياق الحديث يأبى ذلك ، لأنه قال : أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ والليل والنهار هما الدهر .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس التاسع عشر[إحصاء أسماء الله الحسنى <٣>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أخي الحبيب ، إنك لا تعبد مجهولاً ، بل تعبد الواحد الأحد الذي تقرأ أسماءه وصفاته في كل حين في القرآن والسنة ، فمعرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته هي نقطة البداية في حياة الإنسان ، البداية الحقة في تحقيق التوحيد ، فإذا وفق العبد لهذه المعرفة ، فقد أوتي خيراً كثيراً ، واهتدى إلى ربه ، ووضع قدميه على الطريق الصحيح ، فمن كان بالله وأسمائه وصفاته أعرف ، وفيه أرغب وأحب ، وله أقرب ، ذاق حلاوة الإيمان ، من أجل ذلك سنكمل مابدأناه في الدروس السابقة ، وحول أسماء الله الحسنى والتي انطبق عليها شروط الإحصاء مازال الحديث متصلًا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

٦٦- المليك : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٥] ، ومعناه : هو المالك العظيم الملك ، ويكون بمعنى الملك ، وهو اسم يدل على العلو المطلق للمَلك في مُلكه ومِلكيته ، فله علو الشأن والقهر في وصف الملكية ، وله علو الشأن والفوقية في وصف الملك والاستواء على العرش (٤) .

٦٧- المولى : ورد في الكتاب والسنة فورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا معرفا في قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى:٩](٤) ، قال السعدي رحمه الله في معناه : والله سبحانه وتعالى هو مولى الذين آمنوا وهو سيدهم وناصرهم ، على أعدائهم فنعم المولى ونعم النصير ، فالله عزَّ وجل هو الذي يتولى عباده المؤمنين ويوصل إليهم مصالحهم ، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية .

٦٨- المهيمن : لم يرد في القرآن إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ

الذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣] ، ولم يرد في السنة (٤) ، قال السعدي رحمه الله في معناه: المطَّلع على خفايا الأمور ، وخبايا الصدور ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، وقال البغوي رحمه الله: الشهيد على عباده بأعمالهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء (٧) .

٦٩- النصير : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا معرفا مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية ومقرونا باسم الله المولى كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الأنفال:٤٠] (٤) ، ومعناه : هو الموثوق منه بأن لا يُسْلِم وَلِيُّهُ ولا يخذله ونصره ليس كنصر المخلوق وقد وعد الله من ينصره بالنصر والتأييد فمن نصر الله بالقيام بدينه والدعوة إليه ، وجهاد أعدائه وقصد بذلك وجه الله ، نصره الله وأعانه وقواه وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره (٧) .

٧٠- الواحد : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ (٤٨) ﴾ [إبراهيم:٤٨] (٤) ، ومعناه : وهو الذي توحَّد بجميع الكمالات ، بحيث لا يشاركه فيها مشارك ، ويجب على العبيد توحيده ، عقداً وقولاً وعملاً ، بأن يعترفوا بكماله المطلق وتفرده بالوحدانية ، ويفردوه بأنواع العبادة (٧) .

٧١- الوارث : ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ (٥٨) ﴾ [القصص:٥٨] ، (٤) ، قال البيهقي رحمه الله : معناه الباقي بعد ذهاب غيره ، لأنه يبقى بعد ذهاب المُلَّاك الذي أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم ، لأن وجودهم ووجود أملاكهم كان به ، ووجوده ليس بغيره .

٧٢- الواسع : ورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى :

﴿ وَلله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) ﴾ [البقرة:١١٥] ، ولم يرد الاسم في السنة الصحيحة (٤) ، ومعناه : أن الله واسع الصفات ، والنعوت ، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه كما أثنى على نفسه واسع العظمة ، والسلطان ، والملك واسع الفضل ، والإحسان ، عظيم الجود والكرم(٧) .

٧٣- الودود : ورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا معرفا ومنونا محمولا عليه المعنى مسندا إليه مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُود (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) ﴾ [البروج:١٤- ١٥] ، ولم يرد الاسم في السنة الصحيحة (٤) ، قال الرازي رحمه الله في معناه : هو سبحانه الودود المتحبب إلى أوليائه بمعرفته ، وإلى المذنبين بعفوه ورحمته ، وإلى الخلق جميعًا برزقه وكفايته .

٧٤- الوكيل : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقاً عليه شروط الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيَمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[آل عمران:١٧٣] (٤) معناه: قال السعدي رحمه الله: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته ، والذي تولى أولياءه فيسرهم لليسرى ، وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور ، فمن أتخذه وكيلاً كفاه ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[البقرة :٢٥٧] .

٧٥- الولي : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا ورد الاسم مطلقا معرفا كما في قوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى:٩] ، ومعناه : هو من تولى أمرك وقام بتدبير حالك وذلك في الخلائق أجمعين ، أما المولى فهو من تركن إليه وتعتمد عليه وتحتمى به عند الشدة والرخاء في السراء والضراء ، وهذا غالبا ما يكون لخاصة المؤمنين (٤) .

٧٦- الوهاب : ورد في الكتاب والسنة ، وورد في القرآن منطبقًا عليه شروط

الإحصاء كما في قوله تعالى : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ [ص: ٩] ، ولم يرد الاسم في صحيح السنة إلا بالإشارة إلى الآية التي ورد فيها (٤) ، قال الخطابي رحمه الله في معناه: أنه لا يستحق أن يسمى وهابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطاء . .والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالا ونوالا في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ، ولا ولدا لعقيم ، ولا هدى لضال ، ولا عافية لذي بلاء ، والله سبحانه يملك جميع ذلك .

٧٧- الجميل : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مطلقا منونا محمولا عليه المعنى مسندا إليه مرادا به العلمية ودالا على الوصفية وكمالها في حديث ابن مسعود أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[(١)] ، ومعناه : فهو سبحانه جميل بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فلا يمكن مخلوقاً أن يعبر عن بعض جمال ذاته ، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذات والسرور والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم وتلاشى ما فيه من الأفراح ، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال (٧) .

٧٨- الجَوَاد : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ قال : «إن الله ﷻ جَوَاد يحب الجود ، ويحب معالي الأخلاق ، ويبغض سفسافها»[(٢)] (٤) ، ومعناه : له الجود كله يحب أن يسأل ويطلب أن يرغب إليه فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق ما يسأله فهو خالق السائل وسؤاله ومسؤوله (٤٤) .

٧٩- الحَكَمْ : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء في حديث شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ هَانِئٍ أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ هُوَ : الْحَكَمُ»[(٣)] ، قال الغزالي

---

(١) **(صحيح)** أخرجه مسلم ٩١ .

(٢) **(صحيح)** أخرجه حلية الأولياء ٥/٢٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٤٤ .

(٣) **(صحيح)** أخرجه أبو داود ٤٩٥٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٤٥.

رحمه الله في معناه : هو الحاكم المحكم والقاضي المسلم الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، ومن حكمه في حق العباد أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، وأن الأبرار لفي نعيم ، وأن الفجار لفي جحيم .

٨٠- الحيي : ورد في السنة الصحيحة منطبقاً عليه شروط الإحصاء ، في حديث سَلْمَانَ الفارسي أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال : «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا** » [1] ، ومعناه : أن الرب مع كمال غناه عن الخلق كلهم من كرمه يستحي من هتك وفضيحة وإحلال العقوبة بالعبد الذي يجاهره بالمعاصي مع فقره الشديد إليه ، حتى أنه لا يُمْكِنُه أن يعصي إلا أن يتقوى عليها بنعم ربه ، فيستره بما يقيّض له من أسباب الستر (٧) .

٨١- الرب : ورد في السنة الصحيحة منطبقاً عليه شروط الإحصاء في مواضع كثيرة منها حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال : «**أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** ﷻ **، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ؛ فَقَمِنٌ** – أي جدير وحري – **أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**» [2] (٤) ومعناه : المربي جميع عباده ، بالتدبير ، وأصناف النعم ، وأخص من هذا ، تربيته لأصفيائه ، بإصلاح قلوبهم ، وأرواحهم وأخلاقهم (٧) .

٨٢- الرفيق : ورد في السنة الصحيحة منطبقاً عليه شروط الإحصاء في أكثر من موضع منها حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتِ : اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَي النَّبِي فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، فَقَالَ : « **يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ** » ، قُلْتُ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : «**قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**» [3] (٤) ،

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٤٨٨ وصححه الألباني في ص .د ١٣٣٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٧٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٢٨ .

قال الحليمي رحمه الله في معناه : الله جل وعلا رفيق بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، ويعفو عن كثير من سيئاتهم ، ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم ، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها ، ولا يجازيهم بالسيئة إلا مثلها .

٨٣- السبوح : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، كما في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ**» [1] (٤) ، ومعناه : المبرأ من النقائص ، والشريك ، وكل ما لا يليق بالإلهية (٤٥) .

٨٤- السيد : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد في مواضع كثيرة مطلقًا مرادا به العلمية ودالا على الوصفية وكمالها ، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قالَ : انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ الله فَقُلنا : أَنْتَ سَيِّدُنا ، فقَالَ : «**السَّيِّدُ الله**» [2] (٤) ، ومعناه : السؤدد كله حقيقة لله عز وجل ، وأن الخلق كلهم عبيد الله (٤٦) .

٨٥- الشافي: ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد في أكثر من موضع ، فَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَي مَرِيضًا أَوْ أُتِي بِهِ قَالَ : «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**» [3] (٤) ، ومعناه : الشافي من الأمراض والعلل والشكوك وشفاؤه نوعان: الشفاء المعنوي الروحي وهو الشفاء من علل القلوب ، والشفاء المادي وهو الشفاء من علل الأبدان (٧) .

٨٦- الطيب : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال : «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا**» [4]، معناه :

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٨٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٨٠٦ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٤٩٠٠ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري٥٤١١ ، ومسلم ٢٩١١ .
(٤) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠١٥ .

قال القاضي رحمه الله : الطيب ضد الخبيث فإذا وصف به الله تعالى أريد به أنه منزه عن النقائص مقدس عن الآفات ، وإذا وصف به العبد مطلقا أريد به أنه المتعري عن رذائل الأخلاق ، وقبائح الأعمال ، والمتحلي بأضداد ذلك ، وإذا وصف به الأموال أريد به كونه حلالا من خيار الأموال، وقال المباركفوري : الطَّيِّب أي يحب الطِّيب ، أو الريح الطيب ، بمعنى أنه يحب استعماله من عباده ويرضى عنهم بهذا الفعل .

٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ – القابض ، الباسط ، المسعر: وردوا في السنة الصحيحة منطبقًا عليهم شروط الإحصاء ، على جهة الإطلاق مرادا بهم العلمية ودالين على كمال الوصفية ، وورد المعنى محمولا عليهم مسندا إليهم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك أن رَسُول اللهِ ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ، وإِنِي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مَالٍ** » [(١)] (٤) ، فالله تعالى الذي يوسع الرزق ويقتره ، يبسطه بجوده ورحمته ، ويقبضه بحكمته ، وقيل : القابض الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على العباد ، والباسط الذي يبسط الأرواح في الأجساد (٣٠) ، والمسعر أي الذي يرخص الأشياء ويغليها ، فلا اعتراض لأحد عليه (٤١) .

٩٠، ٩١ – المقدم ، والمؤخر : ورد ا في السنة الصحيحة منطبقًا عليهما شروط الإحصاء فَعنْ ابْنِ عَبَّاس أن النَّبِي ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ فكان مما يقوله : « **أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَوْ لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**» [(٢)] (٤) ، معناهما : قال السعدي رحمه الله : المقدم والمؤخر من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقروناً بالآخر فإن الكمال من اجتماعهما فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته ، وهذا التقديم يكون كونياً كتقديم

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٤٥١وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٤٦ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ١٠٦٩ ، ومسلم ٧٦٩ .

بعض المخلوقات على بعض وتأخير بعضها على بعض ، وكتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها . وأنواع التقديم والتأخير في الخلق ، والتقدير بحر لا ساحل له ، ويكون شرعياً كما فضل الأنبياء على الخلق ، وفضل بعضهم على بعض ، وفضل بعض عباده على بعض ، وقدمهم في العلم ، والإيمان ، والعمل ، والأخلاق ، وسائر الأوصاف ، وأخر من أخر منهم بشيء من ذلك وكل هذا تبع لحكمته .

٩٢- المحسن : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، فعن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الإِحْسَانَ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، ثُمَّ لِيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ** »[(١)] ، ومعناه : أحسن كل شيء خلقه فأتقنه وأبدع صنعته وصبغته ، وأحسن إلى خلقه بعموم نعمه وشمول كرمه وسعة رزقه مع مخالفتهم لأمره ونهيه ، وأحسن إلي المؤمنين فوعدهم الحسني وعاملهم بفضله ، وأحسن من أساء فأمهله ثم حاسبه بعدله واسم الله المحسن يدل علي ذات الله (٤) .

٩٣- المعطي : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية ، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِى سُفْيَانَ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ** . . »[(٢)] ، ومعناه : هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة وعطاء الله قد يكون عاما أو خاصا ، فالعام للخلائق أجمعين ، والخاص للأنبياء والمرسلين وصالح المؤمنين (٤) .

٩٤- المنان : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فَعَنْ أَنس أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا : « **اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ : بِأَنَّ لَكَ**

---

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٧١٢١وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٢٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري٢٩٤٨ .

الْحَمْدَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ: « **لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى** » [(١)] (٤) ، ومعناه : هو عظيم المواهب ، فإنه أعطى الحياة ، والعقل ، والنطق ، وصور فأحسن وأنعم فأجزل ، وأسنى النعم ، وأكثر العطايا والمنح (٧) .

٩٥- الوتر : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فورد في مواضع كثيرة مطلقا منونا مرادا به العلمية ودالا على الوترية وكمال الوصفية في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أن رسول الله ﷺ قَالَ : « **لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلاَّ وَاحِدًا ، لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَهْوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ** » [(٢)] ، (٤) ، ومعناه : هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير ، وهذه أيضا صفة يستحقها بذاته (٣٠) .

٩٦- الرازق : ورد ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، فَعنْ أنس بن مالك ، أن رَسُولِ اللهِ ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَّ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَّ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ** » [(٣)] ، ومعناه : الذي قدر أرزاق الخلائق قبل خلق العالمين ، وهو الذي تكفل باستكمالها ولو بعد حين ، فلن تموت نفس إلا باستكمال رزقها كما أخبرنا الصادق الأمين (٤) .

٩٧- الديان : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فَعَنْ جَابِرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا** »قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: « **لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ** » [(٤)] ، ومعناه : الحاكم القاضي بين العباد يوم المعاد ، المحاسب لهم الذي يقتص للمظلوم من الظالم ، ومن السيد لعبده بالحسنات والسيئات (٤١) .

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٤٩٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٢٩٠ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري٦٤١٠ ، ومسلم ٢٦٧٧ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٤٥١وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٤٦ .
(٤) (حسن لغيره) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٠٤٢ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٣٦٠٨ .

٩٨- المالك : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ ، لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللهُ** ﷻ » [(١)] ، قال الشيخ السعدي رحمه الله في معناه : الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة الكبرياء ، والقهر ، والتدبير ، الذي له التصرف المطلق ، في الخلق والأمر والجزاء .

٩٩- الستير : ورد في السنة الصحيحة منطبقًا عليه شروط الإحصاء فَعَنْ يعلى بن أمية أن رَسُول اللهِ ﷺ قال : «**إِنَّ اللهَ ﷻ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**» [(٢)] (٤) ومعناه : الذي يستر على عباده كثيرا من القبائح والفضائح ولا يفضحهم في المشاهد ، يحب الستر من عباده على أنفسهم ، ويكره المجاهرة بالمعصية والمفاخرة بالفاحشة (٤١) .

ثانيا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٥٤) هل من أسماء الله ﷻ " المنان ،المنتقم ، الهادي ، المعين " ؟ الفتوى ٧٢

"المنان" فقد صح عن النبي ﷺ ، وأما "المنتقم" فليس من أسماء الله ؛ لأن الله تعالى لم يذكر هذا الوصف لنفسه إلا مقيدا ، وكل وصف جاء مقيدا فهو ليس من أسماء الله ؛ لأن أسماء الله كمال على الإطلاق لا تحتاج إلى تقييد ، والله سبحانه وتعالى إنما ذكر المنتقم في مقابلة الإجرام فقال : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة :٢٢] ، وحينئذ لا يكون المنتقم من أسماء الله .أما "الهادي" فبعض العلماء أثبته من أسماء الله وبعضهم قال : بل هذا من أوصاف الله ، "والمعين" كذلك ليس من أسماء الله ، ولكنه من صفاته فإنه يعين من شاء من عباده .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٤٣ .
(٢) (صحيح) أخرجه النسائي ٤٠٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٥٦ .

الدرس العشرون[القواعد المثلى في صفات الله العلى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أحبتي في الله ، توحيد الأسماء والصفات ، هو التوحيد الذي ضلت فيه أكثر الأمّة ، من أهل الكلام من المعتزلة و الجهمية و القرامطة . . فقد ضلوا في هذا الباب ؛ لأنهم دخلوا بعقولهم الصغيرة ، وبأفئدتهم وألبابهم المحدودة في هذا المجال المقفل الذي لا يدخله إلا من عنده دليل من كتاب وسنّة صحيحة ، فعطلوا صفات الله ، وحول القواعد المثلى في صفات الله العلى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : القواعد المثلى في صفات الله العلى

القاعدة الأولى: صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجه: كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والرحمة ، والعلو ، والعظمة ، وغير ذلك ، وقد دل على هذا: السمعُ والعقلُ ، والفطرة .

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء: لأن كل اسم متضمن لصفة ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله ، وأفعاله ﷻ لا منتهى لها .

القاعدة الثالثة: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية ، فالثبوتية: هي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والاستواء ، واليدين ، والوجه ، وأما السلبية أو المنفية: فهي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله "مثل الصمم ، والنوم ، وغير ذلك من صفات النقص ، فيجب نفيها عنه ﷻ .

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال ، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر: ولهـــذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات السلبية .

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:

أ – الذاتية: هي التي لم يزل الله ولا يزال متصفاً بها ، وهي التي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى كالعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والعزة ، والحكمة ، والوجه ، واليدين . . .

ب – الفعلية: وتسمى الصفات الاختيارية ، وهي التي تتعلق بمشيئة الله ، إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، وتتجدد حسب المشيئة كالاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا . . .

وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية باعتبارين ، كالكلام ؛ فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية ؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته ، يتكلم متى شاء بما شاء ، وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته ، وقد تكون الحكمة معلومة لنا ، وقد نعجز عن إدراكها ، لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء إلا وهو موافق لحكمته ، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

القاعدة السادسة: الصفات الذاتية والفعلية تنقسم إلى: عقلية ، وخبرية .

أ – عقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي ، والدليل العقلي ، والفطرة السليمة ، وهي أغلب صفات الله تعالى مثل صفة السمع ، والبصر ، والقوة ، والقدرة ، وغيرها .

ب – خبرية : وتسمى النقلية ، والسمعية ، وهي التي لا تعرف إلا عن طريق النص ، فطريق معرفتها النص فقط ، مع أن العقل السليم لا ينافيها ، مثل صفة اليدين ، والنزول إلى السماء الدنيا .

القاعدة السابعة: صفات الله توقيفية : فلا نَصِفُ الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ، وتثبت الصفة بثلاثة أوجه :

أ - التصريح بالصفة: كالعزة ، والقوة ، والرحمة ، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٣٩] ، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] ، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣] .

ب- تضمن الاسم لها: كالعزيز والغفور ، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] ؛ فالعزيز متضمن لصفة العزة ، والغفور متضمن لصفة المغفرة .

ج - التصريح بفعل أو وصف دال عليها: كالاستواء على العرش ، والمجيء قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢] (٣٥) .

ثانيًا : من الصفات الذاتية :صفات اليد والوجه والساق والقدم والعين والنفس

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الأمثال ، ينزهونه عن النقص والتعطيل ، وعن التشبيه والتمثيل ، إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، رد على الممثلة ، والمعطلة ، ومن جَعَلَ صِفَات الخالق مثل صفات المخلوق ؛ فهو الْمُشَبِّه الْمَذْموم .

صفة اليد : السلف يثبتون لله جل وعلا صفة اليد كما أثبتها لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤] ، وقوله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾

[ص:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر:٦٧]، إلى غير ذلك من الآيات .

وورد في صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [(١)] .

وأخرج البخاري في صحيحه ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « قَالَ اللهُ ﷻ: «أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ وَقَالَ : يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ » [(٢)] .

صفة الوجه : والسلف يثبتون لله جل وعلا صفة الوجه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما أثبتها الله تعالى لنفسه في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص :٨٨]، وقوله: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[البقرة:١١٥]، إلى غير ذلك من الآيات ، وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ : «إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» [(٣)] .

صفة الساق : السلف يثبتون لله جل وعلا صفة الساق من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما أثبتها الله تعالى لنفسه في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم :٤٢] ، وورد

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨٢٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٩٧٦ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ١٧٩ .

في صحيح البخاري ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا » [(١)] .

صفة القدم : السلف يثبتون لله جل وعلا صفة القدم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما أثبتها رسول الله ﷺ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «تَحَاجَّتْ النَّارُ ، وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتْ الْجَنَّةُ : فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ ، وَسَقَطُهُمْ ، وَعَجَزُهُمْ ؟ فَقَالَ اللهُ : لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» [(٢)] .

صفة العين : **السلف يثبتون لله تعالى صفة العين** من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل قال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] ، وقوله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[هود :٣٧] ، وقوله تعالى لرسول الله : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨] وورد في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ : «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ –وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ – وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» [(٣)]

صفة النفس : صفة النفس تعني الذات وهي التي توصف بالحياة ، والقدرة ، وغير ذلك ، والدّليل في قوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٩١٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٨٥٠ ، ومسلم ٢٨٤٦ واللفظ لمسلم .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٠٧ ، ومسلم ١٦٩ واللفظ للبخاري .

عمران :٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران :٣٠] .

ثالثًا : من الصفات الذاتية : صفات القدرة والعزة والحكمة

صفة القدرة : فالله سبحانه وتعالى له مطلق القدرة وكمالها وتمامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾[فاطر : ٤٤] ، الذي ما خلق الخلق ولا بَعْثِهِم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة قال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[لقمان : ٢٨] ، الذى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[يس : ٨٢] ، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم : ٢٧] ، الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[فاطر : ٤١] ، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه قال تعالى : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحج : ٦٥] ، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما أي لا يكرثه ولا يثقله الفعال لما يشاء أذا شاء كيف شاء في أي وقت شاء قال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[البقرة : ٢٥٥] ، الذي يحيي ويميت قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[غافر : ٦٨] ، والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها بل كل آيات الله الظاهرة و المعنوية وجميع مخلوقاته العلوية و السفلية تدل على كمال قدرته الشاملة (٤٨) .

صفة الحكمة: الأقوال في مسألة إثبات الحكمة تعود في جملتها إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: من ينفي الحكمة مطلقاً وهو قول الجهمية والأشعرية ونحوهم .

القول الثاني: من يثبت حكمة تعود إلى العباد فقط ، وهو قول المعتزلة .

القول الثالث: وهو قول أهل السنة والجماعة ، فهم يثبتون الحكمة لله سبحانه ، فالله تعالى له حكمة تتضمن أمرين : حكمة تعود إليه سبحانه يحبها ويرضاها ، وحكمة تعود إلى عباده هي نعمة عليهم يفرحون بها و يلتذون بها(٥) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى فيما مختصره : أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئا عبثا ، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمه ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما فعل فنذكر بعض أنواعها .

النوع الأول : التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ [القمر : ٥] ، وقوله ﴿ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء : ١١٣] ، وقوله ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

النوع الثاني : إخباره أنه فعل كذا لكذا وأنه أمر بكذا لكذا كقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة :١٤٣] ، وقوله ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل : ١٠٢] ، ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام : ٧٥] ومثال ذلك كثير ا هـ .

صفة العزة : قال ابن القيم رحمه الله تعالى فيما مختصره : الله سبحانه وتعالى له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب فإن ذلك ينافي العزة التامة قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[الزمر : ١] ، وقوله ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[المائدة : ٣٨] ، و كقوله ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[المائدة : ١١٨] ، أي فإن مغفرتك لهم مصدر عن عزة هي كمال القدرة لا عن عجز وجهل ، وختم سبحانه وتعالى قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[الشعراء : ١٩١] فإن ما حكم به

لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة فوضع الرحمة في محلها وانتقم من أعدائه بعزته ونجى رسله وأتباعهم برحمته ا هـ .

رابعًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٥٥) ما حكم من يعتقد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق ؟ الفتوى ٨٨ .

الذي يعتقد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق ضال ، ذلك أن صفات الخالق لا تماثل صفات المخلوقين بنص القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ولا يلزم من تماثل الشيئين في الاسم أو الصفة أن يتماثلا في الحقيقة هذه قاعدة معلومة .

أليس للآدمي وجه وللبعير وجه ؟ اتفقا في الاسم لكن لم يتفقا في الحقيقة وللجمل يد ، وللآدمي يد ، فهل اليدان متماثلتان ؟

الجواب لا ، إذن لماذا لا تقول : لله ﷻ وجه ولا يماثل أوجه المخلوقين ، ولله يد ولا تماثل أيدي المخلوقين ؟ ! قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[الزمر : ٦٧] .

وقال : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] ، هل هناك يد من أيدي المخلوقين تكون كهذه اليد ؟ لا . إذا يجب أن نعلم أن الخالق لا يماثل المخلوق ، لا في ذاته ، ولا في صفاته : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى : ١١] ، ولذلك لا يجوز أبدا أن تتخيل كيفية صفة من صفات الله ، أو أن تظن أن صفات الله كمثل صفات المخلوق .

٥٦) ماذا عما أضافه الله تعالى إلى نفسه مثل وجه الله ونحو ذلك ؟ الفتوى ٧٧

أقسام ما أضافه الله إلى نفسه ثلاثة :

القسم الأول : العين القائمة بنفسها ، فإضافتها من باب إضافة المخلوق إلى خالقه ، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل العموم كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت :٥٦] ، وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفيته كقوله

تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج :٢٦] ، وقوله : ﴿ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ﴾[الشمس : ١٣] ، وهذا القسم مخلوق .

القسم الثاني : العين التي يقوم بها غيرها مثل قوله تعالى : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾[النساء : ٧١] ، فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفا فهي روح من الأرواح التي خلقها الله ، وليست جزءا من الله ، إذ إن هذه الروح حلت في عيسى ، عليه السلام ، وهو عين منفصلة عن الله وهذا القسم مخلوق .

القسم الثالث : أن يكون وصفا محضا يكون فيه المضاف صفة الله وهذا القسم غير مخلوق ؛ لأن جميع صفات الله غير مخلوقة ، ومثاله قدرة الله وعزة الله وهو في القرآن كثير .

٥٧) هل أهل السنة يئولون اليد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح :١٠] ؟ الفتوى (٧٩) .

ينبغي أن نعلم أن التأويل عند أهل السنة ليس مذموما كله ، بل المذموم منه ما لم يدل عليه دليل ، وما دل عليه الدليل يسمى تفسيرا ، سواء كان الدليل متصلا بالنص ، أو منفصلا عنه ، فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذموما على الإطلاق

وقوله تعالى : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح :١٠] المعلوم أن يد الله حقيقة ليست فوق أيديهم ، وأن التي فوق أيديهم عند المبايعة هي يد الرسول ﷺ لكن الرسول كان مُبَلِّغًا عن الله ، ويجوز أن نقول : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح :١٠] على سبيل العلو المطلق ، فالله سبحانه بذاته فوق كل شيء والله أعلم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الحادي والعشرون[صفات الله الذاتية]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، توحيد الأسماء والصفات ، هو التوحيد الذي ضلت فيه أكثر الأمّة ، من أهل الكلام من المعتزلة و الجهمية و القرامطة . . فقد ضلوا في هذا الباب ؛ لأنهم دخلوا بعقولهم الصغيرة ، وبأفئدتهم وألبابهم المحدودة في هذا المجال المقفل الذي لا يدخله إلا من عنده دليل من كتاب وسنّة صحيحة ، فعطلوا صفات الله ، وحول صفات الله الذاتية سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : صفتا السمع والبصر

أحبتي في الله ، القرآن الكريم مليئ بالآيات التى تثبت لله ﷻ صفة السمع المحيط بجميع المسموعات والبصر المحيط بجميع المبصرات وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٦١] ، وقال قتادة رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ [الكهف : ٢٦] ، فلا أحد أبصر من الله و لا أسمع وقال ابن زيد : يرى أعمالهم و يسمع ذلك منهم إنه كان سميعا بصيرا ، وقال البغوي رحمه الله تعالى : أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء ، وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أسمع دعاءكما فأجيبه و أرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما ، وقال تعالى ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾ [آل عمران : ١٨١] ، وغير ذلك من الآيات كثير .

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهِيَ تَقُولُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلَ شَبَابِي ، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّ ؛ اللهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] [(١)] .

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**» [(٢)] .

وقال أبو داود صاحب السنن : أن الجهمية لا يثبتون لله تعالى اسما ولا صفة مما سمى ووصف نفسه تعالى به وأثبته له رسول الله ﷺ ، فلا يثبتون أن الله هو السميع البصير ، ولا أنه يسمع و يرى ويبصر فرارا بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه وهو أعلم بنفسه و بغيره و شبهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام في دعوته أباه إلى الله عز وجل : ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً** ﴾[مريم : ٤٢] ، وقالت المعتزلة سميع بصير بلا سمع بلا بصر وأطردوا جميع أسمائه هكذا فأثبتوا أسماء ونفوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارة عن إثبات الألفاظ دون المعاني وقولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمية مخالف كل منهما للكتاب والسنة والعقول الصحيحة والفطر السليمة ، وهدى الله تعالى بفضله أهل السنة لفهم كتابه و آمنوا بما وصف به نفسه و أقروا به كما أخبر

---

(١) (صحيح لغيره) أخرجه ابن ماجه ٢٠٦٣وقال الألباني في الإرواء ٢٠٨٧ صحيح لغيره .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٣٨٤ .

و نفوا عنه التشبيه كما جمع تعالى بينهما في قوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] (٤٨) .

ثانيا : صفتا الحياة والقيومية

قال تعالى: ﴿ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

معنى الآية : الله الذي لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو ، الحيُّ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله ، القائم على كل شيء ، لا تأخذه سِنَة أي: نعاس ، ولا نوم ، وقال الشيخ محمد صالح العثيمين في فوائد هذه الآية :

١ – إثبات صفة الحياة لله ﷻ؛ وهي حياة كاملة: لم تسبق بعدم ، ولا يلحقها زوال ، ولا توصف بنقص ، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧] .

٢ – وإثبات القيومية لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ ؛ وهذا الوصف لا يكون لمخلوق ؛ لأنه ما من مخلوق إلا وهو محتاج إلى غيره: فنحن محتاجون إلى العمال ، والعمال محتاجون إلينا ؛ ونحن محتاجون إلى النساء ، والنساء محتاجة إلينا ؛ ونحن محتاجون إلى الأولاد ، والأولاد يحتاجون إلينا ؛ ونحن محتاجون إلى المال ، والمال محتاج إلينا من جهة حفظه ، وتنميته ؛ والكل محتاج إلى الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] ؛ وما من أحد يكون قائماً على غيره في جميع الأحوال ؛ بل في دائرة ضيقة ؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣] ؛ يعني الله ؛ فلا أحد سواه قائم على كل نفس بما كسبت .

٣ – تضمنت الآية لاسم الله الأعظم الثابت في قوله تعالى: ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ؛ وقد ذكر هذان الاسمان الكريمان في ثلاثة مواضع من القرآن: في البقرة ؛ وآل

عمران ؛ وطه ؛ ففي البقرة في قوله تعالى: ﴿ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ؛ وفي آل عمران في قوله تعالى: ﴿ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ؛ وفي طه في قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١] ؛ قال أهل العلم: وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين الإسمين ؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنى ؛ فصفة الكمال في ﴿ الْحَيُّ ﴾ ؛ وصفة الإحسان ، والسلطان في ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ .

٤ – امتناع السِّنَة والنوم لله ﷻ ؛ وذلك لكمال حياته ، وقيوميته ، بحيث لا يعتريهما أدنى نقص ؛ لقوله تعالى: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ ؛ وهذه من الصفات المنفية ؛ والإيمان بالصفات المنفية يتضمن شيئين ؛ أحدهما: الإيمان بانتفاء الصفة المذكورة ؛ والثاني: إثبات كمال ضدها ؛ لأن الكمال قد يطلق باعتبار الأغلب الأكثر ، وإن كان يرد عليه النقص من بعض الوجوه ؛ لكن إذا نفي النقص فمعناه أن الكمال كمال مطلق لا يرد عليه نقصٌ أبداً بوجه من الوجوه ؛ مثال ذلك: إذا قيل: فلان كريم فقد يراد به أنه كريم في الأغلب الأكثر ؛ فإذا قيل: فلان كريم لا يبخل ، عُلم أن المراد كمال كرمه ، بحيث لا يحصل منه بخل ؛ وهنا النفي حصل بقوله تعالى: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ ؛ فدل على كمال حياته ا هـ .

ثالثا : صفة العلم

أيها الأحبة في الله ، ومما أثبته الله عز و جل لنفسه و أثبته له رسوله ﷺ أنه عليم بعلم ، وإن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات وهو من صفاته الذاتية ، وعلمه أزلي بأزليته وذلك جميع صفاته فقد عَلِمَ تعالى في الأزل جميع ما هو خالق و عَلِمَ جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار ، وعلم عدد أنفاسهم و لحظاتهم وجميع حركاتهم و سكناتهم أين تقع ومتى تقع و كيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع لا تخفى عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب والشهادة و السر و الجهر ، والجليل والحقير لا يغرب عن علمه مثقال ذرة

في السموات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة قال تعالى : ﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[البقرة : ٢١٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٣٥] ، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ ﴾[البقرة : ٢٨٤] ، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾[آل عمران : ٥] ، وقال تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام : ٥٩] ، ، وقال تعالى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[يونس : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[هود : ٥] ، وقال تعالى : ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، وقال تعالى : ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ(٩) ﴾ [الرعد : ٨-٩] ، وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ [إبراهيم : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[طه : ٧] ، ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[الأنبياء : ٤] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج : ٧٠] ، وقال تعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٤] وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ(٧٥) ﴾ [النمل : ٧٤-٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ١٦] .

وأورد البخاري في صحيحه الأحاديث التالية :

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ - ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ » (١) .

٢- قصة موسى والخضر عليهما السلام ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « فَانْطَلَقَا - أي موسى والخضر عليهما السلام - يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ فَمَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ فَعُرِفَ الْخِضِرُ فَحَمَلُوهُمْ فِي سَفِينَتِهِمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ - يَقُولُ بِغَيْرِ أَجْرٍ - فَرَكِبَا السَّفِينَةَ ، قَالَ : وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ الْخِضِرُ لِمُوسَى : مَا عِلْمُكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ . . » (٢) .

٣- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ ، وَلَا يَعْلَمُ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٣٩٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٧٢٧ .

مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ» (1) إلى غير ذلك من الأحاديث .

وكما أخبر الله تعالى عن علمه بما كان وما سيكون كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات و المستحيلات لو كان كيف يكون فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ(٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ(٩) ﴾[الأنعام ٨-٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾[فصلت : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾ [الأنعام :١٠٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) ﴾[الشعراء : ١٩٨] ، إلى غير ذلك ، وقال تعالى في المستحيلات لو قدر إمكانها : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[المؤمنون : ٩١] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً(٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً (٤٣) ﴾[الإسراء : ٤٢-٤٣] ، إلى غير ذلك وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله علم أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى الموصوف فأنكروا أن يكون أنزل القرآن بعلمه وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه ، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيء علما و حاربوا نصوص الكتاب والسنة وجميع سلف الأمة فليس معبودهم هو العليم الخبير الذي هو بكل

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٣٧٩ .

شيء عليم و إنما يعبدون العدم المحض الذي لا حقيقة له ولا وجود فليصفوه بما شاءوا فبعدا للقوم الظالمين (٤٨) .

رابعًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٥٨) ما هي أقسام صفات الله تعالى باعتبار لزومها لذاته المقدسة وعدم لزومها؟

الفتوى(٥٣) .

تنقسم صفات الله تعالى باعتبار لزومها لذاته المقدسة وعدم لزومها إلى ثلاثة أقسام: صفات ذاتية ، صفات فعلية ، صفات ذاتية فعلية باعتبارين .

فأما الصفات الذاتية فيراد بها الصفات اللازمة لذاته تعالى ، التي لم يزل ولا يزال متصفا بها مثل الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والعزة ، والحكمة ، والعظمة ، والجلال ، والعلو ونحوها من صفات المعاني ، وسميت ذاتية للزومها للذات ، ومثل اليدين ، والعينين ، والوجه ، وقد تسمى هذه بالصفات الخبرية .

وأما الصفات الفعلية فهي التي تتعلق بمشيئته ، وليست لازمة لذاته لا باعتبار نوعها ، ولا باعتبار آحادها ، مثل الاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا ، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة ، فهذه الصفات صفات فعلية تتعلق بمشيئته ، إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، وهي صفات حادثة في نوعها وآحادها ، فالاستواء على العرش لم يكن إلا بعد خلق العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا لم يكن إلا بعد خلق السماء ، والمجيء يوم القيامة لم يكن قبل يوم القيامة .

وأما الصفات الذاتية الفعلية فهي التي إذا نظرت إلى نوعها وجدت أن الله تعالى لم يزل ولا يزال متصفا بها ، فهي لازمة لذاته ، وإذا نظرت إلى آحادها وجدت أنها تتعلق بمشيئته وليست لازمة لذاته ، ومثلوا لذلك بكلام الله تعالى ، فإنه باعتبار نوعه من الصفات الذاتية ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلما ، فكلامه من كماله الواجب له سبحانه ، وباعتبار آحاد الكلام أعني باعتبار الكلام المعين الذي يتكلم به سبحانه متى شاء ، من الصفات الفعلية ؛ لأنه كان بمشيئته سبحانه .

٥٩) ما الحكمة من إيجاد الكرام الكاتبين مع أن الله يعلم كل شيء ؟ الفتوى (٨٩).

نقول في مثل هذه الأمور : إننا قد ندرك حكمتها وقد لا ندرك ، فإن كثيرا من الأشياء لا نعلم حكمتها كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾ [الإسراء : ٨٥] ، فإن هذه المخلوقات لو سألنا سائل ما الحكمة أن الله جعل الإبل على هذا الوجه ، وجعل الخيل على هذا الوجه وجعل الحمير على هذا الوجه ، وجعل الآدمي على هذا الوجه ، وما أشبه ذلك . لو سألنا عن الحكمة في هذه الأمور ما علمناها ، ولو سئلنا ما الحكمة في أن الله ﷻ جعل صلاة الظهر أربعا ، وصلاة العصر أربعا ، والمغرب ثلاثا ، وصلاة العشاء أربعا وما أشبه ذلك ما استطعنا أن نعلم الحكمة في ذلك وبهذا علمنا أن كثيرا من الأمور الكونية ، وكثيرا من الأمور الشرعية تخفى علينا حكمتها ، وإذا كان كذلك فإنا نقول : إن التماسنا للحكمة في بعض الأشياء المخلوقة أو المشروعة ، إن من الله علينا بالوصول إليها فذاك زيادة فضل وخير وعلم ، وإن لم نصل إليها فإن ذلك لا ينقصنا شيئا ، ثم نعود إلى جواب السؤال وهو ما الحكمة في أن الله ﷻ وكل بنا كراما كاتبين يعلمون ما نفعل ؟

فالحكمة من ذلك بيان أن الله سبحانه وتعالى نظم الأشياء وقدرها ، وأحكمها إحكاما متقنا ، حتى إنه سبحانه وتعالى جعل على أفعال بني آدم وأقوالهم كراما كاتبين موكلين بهم يكتبون ما يفعلون ، مع أنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعلون قبل أن يفعلوه ، ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله ﷻ بالإنسان ، وكمال حفظه تبارك وتعالى وأن هذا الكون منظم أحسن نظام ومحكم أحسن إحكام والله عليم حكيم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس الثاني والعشرون[صفات العلو والإستواء على العرش والنزول]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، توحيد الأسماء والصفات ، هو التوحيد الذي ضلت فيه أكثر الأمّة ، من أهل الكلام من المعتزلة و الجهمية و القرامطة . . فقد ضلوا في هذا الباب ؛ لأنهم دخلوا بعقولهم الصغيرة ، وبأفئدتهم وألبابهم المحدودة في هذا المجال المقفل الذي لا يدخله إلا من عنده دليل من كتاب وسنّة صحيحة ، فعطلوا صفات الله ، وحول صفات العلو والإستواء على العرش والنزول لله تعالى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : صفة العلو لله تعالى

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى ما مختصره : مذهب السلف رضوان الله عليهم أن الله تعالى بذاته فوق عباده وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) ﴾ [النساء : ٥٩] .

فإذا تبين أن طريقة المؤمنين عند التنازع هي الرجوع إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ والسمع والطاعة لهما ، وعدم الخيار فيما سواهما ، وأن الإيمان لا يكون إلا بذلك ، مع انتفاء الحرج وتمام التسليم ، والخروج عن هذا الطريق موجب للعذاب لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ [النساء : ١١٥] .

وعلى هذا فإن المتأمل في هذه المسألة مسألة علو الله تعالى بذاته على خلقه بعد ردها إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ يتبين له أن الكتاب والسنة قد دلا دلالة صريحة على علو الله تعالى بذاته فوق خلقه ، بعبارات مختلفة منها :

١ – التصريح بأن الله تعالى في السماء كقوله تعالى : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) ﴾ [الملك : ١٦-١٧] ، وقوله ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا ، فَتَأْبَى عَلَيْهِ ، إِلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا» (١) .

٢ – التصريح بفوقيته جل وعلا ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام : ٨] ، وقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] ، وقوله ﷺ: « إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» (٢) .

٣ – التصريح بصعود الأشياء إليه ، ونزولها منه ، والصعود لا يكون إلا إلى أعلى ، والنزول لا يكون إلا من أعلى ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] ، وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] ، والقرآن الكريم كلامه وهو تنزيل منه دل ذلك على علوه بذاته تعالى .

٤ – التصريح بوصفه تعالى بالعلو ، كما في قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى :١] .

٥ – إشارة النبي ﷺ إلى السماء حين يشهد الله تعالى في موقف عرفة ذلك الموقف العظيم ، الذي شهد فيه النبي ﷺ أكبر جمع من أمته ، حين قال لهم : « . .وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ، كِتَابُ اللهِ ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ : بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ ، اللهُمَّ اشْهَدْ اللهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (٣)

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٤٣٦ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٢٢ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ١٢١٨ .

، ويتضح من إشارة رسول الله ﷺ بسبابته إلى السماء في أن الله تعالى في السماء وإلا لكان رفعه إياها عبثًا .

٦ – سؤال النبي ﷺ للجارية : فَعَنْ معاوية بْنِ الْحَكَمِ رضي الله عنه قَالَ:وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟** » قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» [(١)] .

وبين رَسُولُ اللهِ ﷺ أن هذا مقتضى الإيمان حين قال: «**أَعْتِقْهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» . فلا يؤمن العبد حتى يقر ويعتقد أن الله تعالى في السماء ، فهذه أنواع من الأدلة السمعية الخبرية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ تدل على علو الله تعالى بذاته فوق خلقه ، أما أفراد الأدلة فكثيرة لا يمكن حصرها في هذا الموضع ، وقد أجمع السلف الصالح رضوان الله عليهم على القول بمقتضى هذه النصوص وأثبتوا لله تعالى العلو الذاتي ، وهو أنه سبحانه عال بذاته فوق خلقه ، كما أنهم مجمعون على إثبات العلو المعنوي له وهو علو الصفات ، قال تعالى : ﴿ **وَلله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وقال : ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)** ﴾[البقرة : ٢٢] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كماله في ذاته وصفاته وأفعاله .

وكما أن علو الله تعالى الذاتي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف ، فقد دل عليه العقل والفطرة .

أما دلالة العقل : فيقال : لا ريب أن العلو صفة كمال ، وأن ضده صفة نقص

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٣٧ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٣٣٠٣ .

، والله تعالى قد ثبت له صفات الكمال فوجب ثبوت العلو له تعالى ، ولا يلزم على إثباته له شيء من النقص .

وأما دلالة الفطرة على علو الله تعالى بذاته : فإن كل داع لله تعالى دعاء عبادة أو دعاء مسألة لا يتجه قلبه حين دعائه إلا إلى السماء ، ولذلك تجده يرفع يديه إلى السماء بمقتضى فطرته .

ثانيا : صفة الإستواء لله تعالى على العرش

قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : الاستواء في اللغة يطلق على معان تدور على الكمال والانتهاء ، فاستواء الله على عرشه معناه علوه واستقراره عليه ، علوا واستقرارا يليق بجلاله وعظمته ، وهو من صفاته الفعلية التي دل عليها الكتاب ، والسنة والإجماع ، فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه :٥] ، ا هـ .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى ما ملخصه : السلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سمواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، فإن الله تبارك وتعالى ذكر استواءه على العرش في سبعة مواضع من القران:

الموضع الأول قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، الموضع الثاني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٣] ، الموضع الثالث قوله تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢] ، الموضع الرابع

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] ، الموضع الخامس قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٩] ، الموضع السادس قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة :٤] ، الموضع السابع قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد :٤] ا هـ .

ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سموات على عرشه ويثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ، ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ، ويمرونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله ، ويقولون: ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (٧) ﴾ [آل عمران:٧] كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ، ورضيه منهم ، فأثنى عليهم به (٢٨) .

وروى يحيى بن يحيى التميمي وجعفر بن عبد الله وطائفة قالوا جاء رجل إلى مالك فقال : يا أبا عبد الله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه :٥] كيف استوى ؟ قال : فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء يعني العرق وأطرق القوم فسري عن مالك وقال : الكيف غير معقول والإستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج (١) .

وقال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين : بأنه لا يصح تفسير استواء الله على عرشه باستيلائه عليه كما فسره به المعطلة ، لوجوه منها :

---

(١) (صحيح) صححه الألباني في مختصر العلو للذهبي للعلي العظيم .

١ – أن تفسيره بالاستيلاء يلزم عليه لوازم باطلة لا يمكن دفعها كمخالفة إجماع السلف ، وجواز أن يقال: إن الله مستو على الأرض ونحوها مما ينزه الله عنه ، وكون الله تعالى غير مستول على العرش حين خلق السموات والأرض .

٢ – أن تفسيره بالاستيلاء غير معروف في اللغة فهو كذب عليها والقرآن نزل بلغة العرب فلا يمكن أن نفسره بما لا يعرفونه في لغتهم .

٣ – أن الذين فسروه بالاستيلاء كانوا مقرين بأن هذا معنى مجازي والمعنى المجازي لا يقبل إلا بعد تمام أربعة أمور غير متوفرة .

ثالثا : صفة نزول الرب سبحانه ومجيئه

ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ ، وينتهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه إلى الله .

وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه ، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾[البقرة : ٢١٠] ، وقوله عز اسمه: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[الفجر :٢٢] ، ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل ، فانتهينا إلى ما أحكمه ، وكففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ (٧) ﴾ [آل عمران :٧] (٢٨) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » (١) .

قال شيخ الإسلام: قلت: فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقر به أهل السنة ، وقبلوا الخبر ، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه ، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا ، ولعنهم لعنا كثيرا] (٢٨) .

رابعًا :من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٦٠) هل معية الله تعالى في قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ معية ذاتية أو معية علم وإحاطة ؟ الفتوى ٦١

نحن نعلم أن الله فوق كل شيء ، وأنه استوى على العرش فإذا سمعنا قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[الحديد : ٤] ، فلا يمكن أن يفهم أحد أنه معنا على الأرض ، لا يتصور ذلك عاقل فضلا عن مؤمن ولكنه معنا سبحانه وهو فوق العرش فوق سماواته .

ولا يستغرب هذا فإن المخلوقات وهي لا تنسب للخالق تكون في السماء ونقول : إنها معنا . فيقول : شيخ الإسلام : تقول العرب : ما زلنا نسير والقمر معنا . ومع ذلك فالقمر مكانه في السماء . فالله مع خلقه ، ولكنه في السماء ، ومن زعم بأنه مع خلقه في الأرض كما تقول الجهمية فأرى أنه كافر يجب أن يتوب إلى الله ويقدر ربه حق قدره ، ويعظمه حق تعظيمه ، وأن يعلم أنه سبحانه وسع كرسيه السماوات والأرض فكيف تكون الأرض محلا له .

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١١٤٥ ، ومسلم ٧٥٨ واللفظ للبخاري .

وقد جاء في الحديث : «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي ، كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**»[1] ، والحلقة الصغيرة مع أن العرش مخلوق والكرسي مخلوق ، فما بالك بالخالق سبحانه . فكيف يقال : إن الأرض تسع الله سبحانه أو أنه في الأرض ، ومن مخلوقاته سبحانه ما وسع السماوات والأرض ، ولا يقول : عن رب العزة مثل هذه المقولات إلا من لا يقدر الله حق قدره ، ولم يعظمه حق تعظيمه . بل الرب ﷻ فوق كل شيء مستو على عرشه وهو سبحانه بكل شيء عليم .

٦١) ماذا عن قول بعض الناس إذا سئل : "أين الله" ؟ قال : "الله في كل مكان" ؟الفتوى (٥٥) .

هذه إجابة باطلة لا على إطلاقها ولا تقييدها فإذا سئل أين الله ؟ فليقل : "في السماء" ، كما أجابت بذلك المرأة التي سألها النبي ﷺ : «**أَيْنَ اللهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ**» وأما من قال :موجود فقط . فهذا حيدة عن الجواب ومراوغة منه .

وأما من قال : إن الله في كل مكان . وأراد بذاته فهذا كفر ؛ لأنه تكذيب لما دلت عليه النصوص ، بل الأدلة السمعية ، والعقلية ، والفطرية من أن الله - تعالى - عليٌّ على كل شيء وأنه فوق السماوات مستو على عرشه .

٦٢) ماذا عن تفسير استواء الله ﷻ على عرشه ؟الفتوى (٥٧) ، (٥٨) .

تفسير استواء الله تعالى على عرشه بأنه علوه تعالى على عرشه على ما يليق بجلاله هو تفسير السلف الصالح . قال ابن جرير إمام المفسرين في تفسيره : "**من معاني الاستواء : العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريره يعني علوه عليه**" . وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه : ٥] "**يقول : جل ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا**" . اهـ . ولم ينقل عن السلف ما يخالفه ، وذهب بعض السلف إلى أن الاستواء المقرون بإلى كالمقرون بعلى فيكون

---

(١) (صحيح) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٨٦٢ وصححه الألباني في الصحيحة ١٠٩ .

معناه الارتفاع والعلو ، كما ذهب بعضهم إلى أن الاستواء المقرون بعلى بمعنى الصعود والاستقرار إذا كان مقرونا بعلى .

إذن يجب علينا أن نفهم كلام الله تعالى على مقتضى اللسان العربي وقد علم من ذلك اللسان العربي أن الاستواء إذا تعدى بـ (على) كان معناه العلو والارتفاع ، لكن يجب أن نفهم فيما يتعلق باستواء الله تعالى على عرشه أمرين :

أحدهما : أن استواءه على عرشه ليس كاستواء الإنسان على الفلك والأنعام والسرر لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، ولأنه لا يمكن أن تكون صفات الخالق كصفات خلقه لتباين ما بين الخالق والمخلوق .

ثانيهما : أنا لا نعلم كيفية استوائه لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[طه : ١١٠] ، ولأن الله تعالى أخبرنا عن استوائه ولم يخبرنا عن كيفيته ، والغائب المخبر عنه لا تعلم كيفيته إلا بمشاهدته ، أو مشاهدة نظيره ، أو الخبر الصادق عنه . ولهذا لّما سئل مالك إمام دار الهجرة عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] قال : **" الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة"** . فبين – رحمه الله – أن الاستواء معلوم حيث نفى جهله وهو العلو والارتفاع . وأن الكيف لا يدرك بالعقل وإنما يدرك بالسمع ، ولم يرد به فيبقى مجهولا ، وأن الإيمان بالاستواء واجب على حسب مراد الله تعالى سواء فهمنا كيفيته أم لم نفهمها ، وأن السؤال عنه أي عن الكيف بدعة ، لأنه من سمات أهل البدع ، ولأنه لم يسبق السؤال عنه من الصحابة الذين هم أحرص الناس على سلامة العقيدة وتصحيحها وفهم كلام الله ورسوله .

وهذا هو القول الصحيح في استواء الله على عرشه وفي بقية صفاته أن تجري على ظاهر الخطاب المفهوم بمقتضى اللسان العربي لكن بدون تكييف ولا تمثيل .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثالث والعشرون[صفة الكلام ، وفتنة خلق القرآن]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، توحيد الأسماء والصفات ، هو التوحيد الذي ضلت فيه أكثر الأمّة ، من أهل الكلام من المعتزلة و الجهمية و القرامطة . . فقد ضلوا في هذا الباب ؛ لأنهم دخلوا بعقولهم الصغيرة ، وبأفئدتهم وألبابهم المحدودة في هذا المجال المقفل الذي لا يدخله إلا من عنده دليل من كتاب وسنّة صحيحة ، فعطلوا صفات الله ، وحول صفة الكلام وفتنة خلق القرآن سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : صفة الكلام

أحبتي في الله ، مما أثبته ربنا عز و جل لنفسه و أثبته له رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى بن عمران بدون واسطة بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد ، قال الله عز وجل في سورة البقرة : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال في سورة النساء : ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء : ١٦٤] ، فأكده بالمصدر مبالغة في البيان و التوضيح و قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ(١٤٤) ﴾[الأعراف : ١٤٣-١٤٤] ، وقال تعالى في سورة طه : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى(٩) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى(١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى(١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى(١٣) إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

لِذِكْرِي(١٤) إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى(١٥) فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى(١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى(١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى(١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى(١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى(٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى(٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى(٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى(٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي(٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي(٢٩) هَارُونَ أَخِي(٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً(٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً(٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً(٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى(٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى(٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى(٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى(٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي(٤١) اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي(٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى(٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى(٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى(٤٨) ﴾ [طه : ٩-٤٨] ، والقرآن ممتلىء بذلك .

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ

وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » [1] .

وكذلك ما جاء في حديث الشفاعة « فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ» [2] ، وفي رواية للبخاري «وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى ، عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا » [3] ، وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل ، وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[الأعراف : ٢٢] ، و أن الملائكة تسمع كلام الله بالوحي كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[سبأ : ٢٣] ، وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ» [4] ، وبذلك يتضح لنا أن الله عز وجل اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه و ناجاه وكلمه تكليما ، وأخبرنا تعالى بما كلمه به ، وبالموضع الذي كلمه فيه ، وبالميقات الذي كلمه فيه ، وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا و مما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلما بمشيئته وإرادته ، يتكلم بما شاء ، كيف شاء ، متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه ، وأن كلامه قول

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٥٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٥١٠ ، ومسلم ١٩٣ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤١٠ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٨٥ .

حقيقة كما أخبر وعلى ما يليق بعظمته ، وكلامه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته ، والصفة تابعة لموصوفها فصفات الباري تبارك وتعالى قائمة به أزليه باقية ببقائه لم يزل متصفا بها ، ولا يزال كذلك لم تجدد له صفة لم يكن متصفا بها ، ولا تنفد صفة كان متصفا بها ، فكلامه جل عن الإحصاء ، والحصر والنفاد والنفاء ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[لقمان :٢٧] ، وقال الحسن البصري : لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل البحر مدادا وقال الله تعالى إن من أمري كذا ومن أمري كذا لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام (٤٨) .

ثانيًا : أصل فتنة خلق القرآن

إخوتي في الله ، اقترنت مسألة خلق القرآن بالمعتزلة لأنهم هم الذين أثاروها في العصر العباسي ، فحاول الخلفاء العباسيون المأمون ، ثم المعتصم ، ثم الواثق حمل الفقهاء والمحدثين على القول بها .

ونزل ببعض أولئك الفقهاء ما نزل من الشدائد ولقد قال هذه المقالة قبل هؤلاء الخلفاء الثلاثة "**الجعد بن درهم**" وقتله "خالد بن **عبد الله القسري**" والي الكوفة لهذه المقالة . ثم قال هذه المقالة "**الجهم بن صفوان**" رأس الجهمية ، فلقد نفى صفة الكلام ، ولقد جاء المعتزلة بعد ذلك ونفوا عن الله تعالى صفات المعاني وهي القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات المذكورة في القرآن وأولوا ما ذُكِرَ في القرآن على أنه أسماء للذات العلية وليس وصفاً لها وعلى هذا بنوا قولهم إن الكلام مخلوق لله تعالى وأن القرآن مخلوق لله تعالى .

ولم يقف الحال عند هذا الحد بل شاركهم في ذلك قليل من الفقهاء مثل "**بشر بن غياث المريسي**" ولقد نهاه شيخه "**أبو يوسف**" تلميذ "**أبي حنيفة**" فلم ينته فطرده من مجلسه . وابتدأ الخوض في ذلك في عهد "**هارون الرشيد**" فقال : لئن أظفرني الله به لأقتلنه فظل "**بشر المريسي**" مختفيًا حتى جاء "**المأمون**" وأحاط به المعتزلة

فأكرمهم لأنه كان معتزلي فقد كان تلميذا "**لأبي الهزيل**" أحد أئمة المعتزلة ، وإختار خاصته منهم واختص قاضي المحنة : "**أحمد بن أبي دؤاد**" بالقربى ، وأوصى "**المأمون**" عند موته أخاه "**المعتصم**" "**بأحمد بن أبي دؤاد**" وحدثت الفتنة العظيمة للفقهاء وعلى رأسهم "**أحمد بن حنبل**" رحمه الله تعالى (٣٩) ، واستمرت هذه الفتنة في عهد "**الخليفة المأمون ثم المعتصم ثم الواثق**" وانتهت في عهد الخليفة "**المتوكل**" حتى ظهر الحق واقتنع الخليفة "**المتوكل**" بأن القرآن كلام الله وليس بمخلوق وأخرج الإمام "**أحمد بن حنبل**" من السجن .

ثالثًا : القرآن كلام الله وليس بمخلوق

أيها الأحبة في الله ، قال فضيلة الشيخ العثيمين : ويرى المعتزلة أن القرآن مخلوق ، وليس كلام الله! ويستدلون لذلك بقول الله تعالى : ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢] ، والقرآن شيء ، فيدخل في عموم قوله : كل شيء ، ولأنه ما ثم إلا خالق ومخلوق ، والله خالق ، وما سواه مخلوق .

والجواب من وجهين :

الأول : أن القرآن كلام الله تعالى ، وهو صفة من صفات الله ، وصفات الخالق غير مخلوقة .

الثاني : أن مثل هذا التعبير كل شيء عام قد يراد به الخاص ؛ مثل قوله تعالى عن ملكة سبأ : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل:٢٣] ، وقد خرج شيء كثير لم يدخل في ملكها منه شيء ؛ مثل ملك سليمان ا هـ .

وقال الصابوني رحمه الله : ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ، ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم ، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ، كما قال عز من قائل: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(١٩٤)

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ [الشعراء : ١٩٢-١٩٥] وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته ، كما أخبر به في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ [المائدة :٦٧] ، فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه ﷻ، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ فَقَالَ : « **أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي** » [(١)] . فهو الذي تحفظه الصدور ، وتتلوه الألسنة ، يكتب في المصاحف ، كيف ما تصرف بقراءة قارئ ؟ لفظ لافظ ، وحفظ حافظ ، وحيث تلي ، وفي أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام ، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله ، غير مخلوق فهو كافر بالله العظيم (٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ** ﴾[التوبة : ٦] .

معنى الآية : وإذا طلب أحد من المشركين الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك -أيها الرسول- ورغب في الأمان ، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم - فهو كلام الله- ويطَّلع على هدايته ، ثم أَعِدْه من حيث أتى آمنًا ؛ وذلك لإقامة الحجة عليه ؛ ذلك بسبب أن الكفار قوم جاهلون بحقائق الإسلام ، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم .

وقال حافظ حكمي رحمه الله : نحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذي أنزله بعلمه وشهد به ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك ، ونشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة ، ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله عز و جل وتنزيله وأنه تكلم به قولا وأنزله على رسوله وحيا ولا نقول إنه حكاية عن كلام الله عز و جل أو عبارة ، بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه نزل به من عنده الروح الأمين على محمد خاتم

---

(١) **(صحيح)** أخرجه أبو داود ٤٧٣٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٩٤٧ .

المرسلين ، وكل منهما مبلغ عن الله عز و جل والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾[المائدة: ٩٢] ، والآيات في هذا كثيرة جدا يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه مؤد لما أرسله به وهذا يعرفه كل أحد يعقل لفظة رسول فإن الرسول لا بد له من مرسل برسالاته فالمرسل الله عز وجل والرسالة هي القرآن والمرسل محمد ﷺ المبلغ رسالة ربه (٤٨) .

رابعًا : اللفظ بالقرآن مخلوق أم غير مخلوق

أيها الأحبة الكرام ، قال فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله : قد سبق أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، لكن اللفظ بالقرآن – أي لفظ كل من يقرأ القرآن - فهل يصح أن نقول: أنه مخلوق ، أو غير مخلوق ، أو يجب السكوت؟

فالجواب أن يقال: إن إطلاق القول في هذا نفيا أو إثباتا غير صحيح ، وأما عند التفصيل فيقال: إن أريد باللفظ التلفظ الذي هو فعل العبد فهو مخلوق ، لأن العبد وفعله مخلوقان ، وإن أريد باللفظ الملفوظ به فهو كلام الله غير مخلوق ، لأن كلام الله من صفاته ، وصفاته غير مخلوقة ، ويشير إلى هذا التفصيل قول الإمام أحمد رحمه الله: **" من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي "** فقوله : يريد به القرآن يدل على أنه إن أراد به غير القرآن وهو التلفظ الذي هو فعل فليس بجهمي . والله أعلم .

خامسًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى

٦٣) ماذا عن فتنة القول بخلق القرآن؟ الفتوى (١٢١) .

في عهد الإمام أحمد رحمه الله وقبله ظهرت فتنة خلق القرآن ، وكان يقوم بها المعتزلة ، فيقولون: إن كلام الله ﷻ مخلوق من جملة المخلوقات وليس وصفًا من أوصاف الله ﷻ فهو غير قائم بالله بل هو مخلوق منفصل عن الله ، فلا يفرقون بين السماء وبين كلام الله ولا بين الأرض وبين كلام الله ، فالكل كما يقولون مخلوق ،

وكذلك الأنعام والمطر ، فالكل منزل ، ولا شك أنه يلزم على قولهم لوازم باطلة ، فيلزم أن يصح قول من يقول: كلام الناس هو كلام الله لأن كلام الناس مخلوق ، ويلزم على ذلك إبطال التقسيم في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف : ٥٤] ، فإن الأمر إنما يكون عن طريق الكلام ، فإذا صار الكلام مخلوقًا فالكل مخلوق وليس هناك خلق وأمر بل ليس هناك إلا خلق ، ويؤدي كذلك إلى إبطال دلالة القرآن الكريم ، وله لوازم كثيرة ذكرها أهل العلم في الكتب المطولة .

وقد امتحن الإمام أحمد رحمه الله وغيره ؛ لأن المأمون وكان خليفة المسلمين تزعم قيادة هذا القول ودعا الناس إليه ، وكما هو معلوم إذا التزم الحاكم شيئًا يصعب على الناس الخروج عنه ، فلم يصبر على مخالفة هذا إلا أفذاذ قليلون من الرجال ، وكان هو الذي صمد صمودًا تامًّا كاملًا رحمه الله ولهذا انصب عليه العذاب والحبس واشتهر بهذا رحمه الله وحمى الله به عقيدة أهل السنة من القول بخلق القرآن ، فبقي الناس والحمد لله يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع والعشرون[رؤية الله تعالى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، توحيد الأسماء والصفات ، هو التوحيد الذي ضلت فيه أكثر الأمّة ، من أهل الكلام من المعتزلة و الجهمية و القرامطة . . فقد ضلوا في هذا الباب ؛ لأنهم دخلوا بعقولهم الصغيرة ، وبأفئدتهم وألبابهم المحدودة في هذا المجال المقفل الذي لا يدخله إلا من عنده دليل من كتاب وسنّة صحيحة ، فعطلوا صفات الله ، وحول رؤية الله تعالى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : نفي رؤية النبي لربه في رحلة الإسراء والمعراج

أحبتي في الله ، بخصوص رؤية النبي ﷺ لربه في رحلة الإسراء والمعراج اختلف فيها أهل العلم على أقوال :

القول الأول: من ينفي رؤية النبي ﷺ لربه جل وعلا ؛ يعني بعينيه .

القول الثاني: من يثبت الرؤية إما بالقلب أو بالعينين .

القول الثالث: التوقف .

والتوقف لا ينبغي أن يكون قولاً ؛ لكن هكذا قيل .

أما القول الأول: وهو أنَّ النبي ﷺ لم ير ربه ، فهذا هو القول الذي عليه الجماهير ، أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ مَسْرُوق قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي – يعني وقف شعري من الخوف من هيبة الله – مِمَّا قُلْتَ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ : مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**

وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] . . . . [١] .

وهذا مما يدل على: تعظيم الصحابة لربهم جل وعلا ، وأنهم قَدَرُوهُ سبحانه حق قدره ، وأنَّ منزلة النبي ﷺ في قلوبهم مهما علت وعظُمَتْ فإنه يعلمون عظمة الرب جل وعلا وعظيم صفاته .

وقولها لقد قَفّ شَعْرِي مما قلت ، من زعم أنّ مُحمداً ﷺ رَأَى رَبّهُ ، فَقَدْ أَعْظَمَ على الله الفِرْيَةَ ، ومن الأدلة على ذلك أيضا ما أورده مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ : لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَدْ سَأَلْتُ ، فَقَالَ : «رَأَيْتُ نُورًا» [٢] ، فقوله : رَأَيْتُ نُوراً ، يعني الحجاب ، فإنَّ الله عز وجل نور وحجابه نور ، يعني رأى الحجاب ، ولم ير الرب جل وعلا .

أمَّا القول الثاني: من قال إنَّ محمدا ﷺ رأى ربه بعينيه أو بقلبه وهو منسوب إلى ابن عباس وقاله طوائف قليلة من الناس ، فهذا بناء على آية سورة النجم قال تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) ﴾ [النجم : ١٧] ، والاستدلال بها فيه نظر .

أما القول الثالث: التوقف فلا يصلح ؛ لأنَّ الحديث دال على نفي الرؤية مع كلام عائشة رضي الله عنها (١) .

ثانيا : رؤية الله تعالى في الآخرة .

إخوتي في الله ، أجمع أهل السنة في أنَّ الرؤية حق لأهل الجنة وللمؤمنين في عرصات القيامة ، والرؤية التي للمؤمنين هي رؤية سرور وتلذذ وإكرام .

قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) ﴾ [يونس:٢٦] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري٤٨٥٥ ومسلم ١٧٧واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٧٨ .

وقال بعض العلماء : في هذه الآية أن رؤية رب العالمين في الجنة مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان ؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته فكان جزاء ذلك النظرَ إلى الله عياناً في الآخرة ، وعكس هذا ما أخبر به تعالى عن جزاء الكفار في الآخرة ﴿ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥] ، وجعل ذلك جزاءً لحالهم في الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا ؛ فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة .

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فوجوه أهل السعادة يوم القيامة مُشرِقة ، ترى خالقها ومالك أمرها ، فتتمتع بذلك .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لاَ ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا» (١) .

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ- فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لاَ تُضَامُّونَ – أي لا ينالكم ضيم أي تعب أو ظلم - فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا - يقصد صلاة الفجر والعصر -» (٢) .

وَعَنْ صُهَيْبَ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجُنَّةِ الْجُنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجُنَّةِ؛ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٧٣ ، مسلم ٢٩٦٨ واللفظ لمسلم .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٥٤و مسلم ٦٣٣ واللفظ للبخاري .

وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ اللهُ مَوَازِينَنَا ، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَيُنْجِنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ – يَعْنِي إِلَيْهِ – وَلاَ أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ» [(١)] .

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ » [(٢)] .

وجاء في إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل : ولقد اختلف أهل السنة في رؤية الله سبحانه وتعالى في الموقف: هل هي لمؤمنين وحدهم ، أم للمؤمنين والمنافقين ، أم للناس جميعا .

وكما قال الإمام تقي الدين ابن تيمية: إنَّ الخلاف في هذه المسألة – يعني هل يرى الكفار ربهم يوم القيامة أو لا يرونه؟ هل يراه المنافقون أو لا يرونه؟– لا ينبغي أن تكون من المسائل التي يُشَدَّدُ فيها الخلاف ؛ بل الأمر فيها خَفِي ، هذا نص عبارته .

وأهل السنة على ثلاثة أقوال :

الأول : فجمهور أهل السنة والحديث على أنَّ الرؤية للمؤمنين في عرصات القيامة ، رؤية إكرام ولذة ونعيم وإنعام وحبور وسرور ، فهذه للمؤمنين في الجنة وللمؤمنين في عرصات القيامة ، فهي من الطمأنينة لهم .

الثاني : وقال طائفة : بل للمؤمنين والمنافقين ، وممن ذهب إلى ذلك ابن خزيمة كما نصَّ عليه في كتاب التوحيد ، فتكون رؤية حساب وتقرير وتعريف ، فهذه هي التي يمكن أن يقال: إنها مرادة في حديث المنافقين فيما ثبت في الصحيح أنَّ الله

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ١٨٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢١ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨١ .

سبحانه وتعالى يأتي الأمة وفيه منافقوها ، ثم يأتيهم في غير الصورة التي رأوها من قبل ، ثم يأمرهم بالسجود فلا يسجدون ، فيقولون نحن هنا حتى يأتي ربنا ، ثم بعد ذلك يكشف الرب عن ساق ، فيعرفونه فيسجد المؤمنون ، ويبقى من لم يكن مخلصا في الدنيا يريد أن يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : « **هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا ؟** قُلْنَا : لَا قَالَ: **فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ثُمَّ قَالَ : يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا ، فَيُقَالُ : اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ؟ فَيَقُولُونَ فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ : فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ : السَّاقُ ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ** – أي الصراط – **فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ**

جَهَنَّمَ .. »[(١)] ، فهذا يدل على أنّ هذه الرؤية رؤية تعريف ورؤية حساب وهذا النوع من الرؤية لا ينبغي أن يكون الخلاف فيه ؛ لأنَّ الحديث دل عليه .

فإذاً الرؤية التي نقول: إنه أجمع أهل السنة على أنها للمؤمنين هي رؤية التنعم والتلذذ ، و في ضمن ذلك رؤية التعريف .

وأما رؤية الله للتعريف والحساب فهذه كُلٌ يراه بحسب حاله والله أعلم بكيفية ذلك وتفسيره .

الثالث : أنَّ الرؤية للجميع ، للمؤمنين والمنافقين والكفار ، لقول الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥] ، قالوا: فكونه حُجِبَ يومئذ دلَّ على أنَّه قبل ذلك لم يكن محجوباً ؛ لأنَّ الكلام في الآخرة ، وأما في الدنيا فالكل محجوب عن رؤية الرب سبحانه وتعالى ، وهذه الأقوال جَمَعَتْ النظر في الرؤية .

وعلماء أهل السنة إلا من شذ وقل يقولون إنَّ الكافر لا يرى الله ، لا رؤية تعريف ولا رؤية تلذذ من باب أولى ؛ لأنَّ الكافر محل العذاب والنكال .

وأجابوا عن استدلال من قال الرؤية للجميع بقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] ، بأَّن هذا استدلال بالمفهوم ، بمفهوم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ وهم محجوبون في الدنيا عن الرؤية وكذلك محجوبون في الآخرة عن الرؤية .

والمقصود من رد الاستدلال بكلمة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بأنه لا يفهم منه أنهم حُجِبُوا يومئذ فمعنى ذلك أنهم قبل ذلك يعني قبل الحجب يومئذ لم يكونوا محجوبين ، بل كانوا محجوبين ثم صاروا محجوبين لكن توعَّدَهُم ، بين حالهم بقوله ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ، فحُجِبوا ثم صاروا صالين للجحيم (١) .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٣٩ .

ثالثا : رؤية الله تعالى في الجنة عامة بالإنس والجن والرجال والنسياء

أيها الأحبة في الله ، كما أن رؤية المؤمنين في الجنة لـربهم ؟ عامـة بـالإنس والجـن ، للرجال وللنساء ، وللملائكة أيضاً ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَـابٍ(٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤] ، فالملائكـة في الجنـة يعـني طائفة منهم في الجنة ، وفي الجنة المؤمنون من الجن والإنس ومن الرجـال والنسـاء ، ولم يدلَّ دليل على اختصـاص الرؤيـة بالرجـال دون النسـاء ولا علـى اختصـاص الرؤية بالإنس دون الجن ، وهذه فيها أقوال :

القول الأول: من قال: إنَّ الرؤية للإنس دون الجن ، وهذا خلاف الصواب كما ذكرنا ؛ لأنَّ الآيات عامة في الرؤية في كل مؤمن فمن دخل الجنة رآه .

القول الثاني : إنَّ الرؤية للرجال دون النساء ، واستدلوا على ذلك بقوله تعـالى : ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] ، وأنَّ القصر في الخيام يدل علـى عـدم خروجهن من ذلك .

والصواب أنَّ الرجال والنساء من المكلفين من الجن والإنس يـرون ربهـم ﷻ إذ كانوا من أهل الجنة ، وأمَّا الاستدلال بالآية فعجيب :

فالآية أولاً في الحور ، والحور خلق ينشؤهن الله تعالى إنشاءً في الجنة وليسوا مـن المكلفين في الدنيا ، وأيضـا فـإنَّ الله تعـالى قـال : ﴿هُـمْ وَأَزْوَاجُهُـمْ فِي ظِـلَالٍ عَـلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:٥٦] ، وقال الله تعالى في الآيـة الأخـرى ﴿ عَـلَى الْأَرَائِـكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين : ٢٣] ، فمن نعيم أهل الجنة أنهـم يتمتعون هم وأزواجهـم علـى الأرائك يتكئـون وينظـرون ، وإخـراج النسـاء مـن الاتكـاء ضـده الآيـة وكـذلك إخراجهم من النظر ضده الآية .

لهذا نقول غلط من قال إنَّ الرؤية للرجال دون النساء ، فالنساء يرون ربهم جـل وعلا كما يراه الرجال ؛ لأنهم مكلفون متعبدون ، والنعيم عام للإنســــــان الذي يدخل الجنة من الرجال والنساء جميعاً ، نسأل الله الكريم من فضله(١) .

رابعا : فتاوى لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٦٤) عن مذهب السلف في رؤية الله ﷻ ؟ وعمن يزعم " أن الله لا يرى بالعين وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين " ؟ الفتوى (١٠٤) .

قال الله ﷻ في القرآن الكريم حين ذكر القيامة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة : ٣٢-٣٣] ، فأضاف النظر إلى الوجوه ، والذي يمكن به النظر في الوجوه العين ، ففي الآية دليل على أن الله سبحانه وتعالى يُرَى بالعين ، ولكن رؤيتنا لله ﷻ لا تقتضي الإحاطة به لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ﴾ [طه :١١٠] ، فإذا كنا لا يمكن أن نحيط بالله علما والإحاطة العلمية أوسع وأشمل من الإحاطة البصرية دل ذلك على أنه لا يمكن أن نحيط به إحاطة بصرية ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ (١٠٣) ﴾ [الأنعام :١٠٣] ، فالأبصار وإن رأته لا يمكن أن تدركه ، فالله ﷻ يرى بالعين رؤية حقيقية ، ولكنه لا يدرك بهذه الرؤية ، لأنه ﷻ أعظم من أن يحاط به ، وهذا هو الذي ذهب إليه السلف ، ويرون أن أكمل نعيم ينعم به الإنسان أن ينظر إلى وجه الله ﷻ ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ : « **وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ** »[(١)] ، قال :لذة النظر ؛ لأن لهذا النظر لذة عظيمة لا يدركها إلا من أدركها بنعمة من الله وفضل منه ، وأرجو الله تعالى أن يجعلني وإياكم منهم هذه هي حقيقة الرؤية التي أجمع عليها السلف .

أما من زعم أن الله لا يرى بالعين وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين فإن قوله هذا باطل مخالف للأدلة ويكذبه الواقع ؛ لأن كمال اليقين موجود في الدنيا أيضا قال النبي ﷺ في تفسير الإحسان : « **الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(٢)] ، وعبادتك لله كأنك تراه هذا هو كمال اليقين ، فدعوى أن

---

(١) (صحيح) أخرجه النسائي ١٣٠٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٠١ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٧٧٧ ، ومسلم ٨ .

النصوص الواردة في الرؤية تعني كمال اليقين ؛ لأن المتيقن يقينا كاملا كالذي يشاهد بالعين دعوى باطلة وتحريف للنصوص ، وليس بتأويل بل هو تحريف باطل يجب رده على من قال به ، والله المستعان .

٦٥) هل ثبت أن النبي ﷺ رأى الله ﷻ في اليقظة وفي المنام ؟الفتوى (١٠٥) .

رؤية الله ﷻ في اليقظة لم تثبت ، حتى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه ، ولا يمكن لأحد أن يرى الله تعالى في الدنيا بعينه يقظة ؛ لأن موسى لما قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾[الأعراف : ١٤٣] قال الله له : ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، أما في المنام فقد ورد حديث في السنن صححه كثير من الحفاظ أن النبي ﷺ رأى ربه في المنام .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس الخامس والعشرون[الفرق التى ضلت في توحيد الأسماء والصفات وثمار الإيمان بصفات الله العلى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، توحيد الأسماء والصفات ، هو التوحيد الذي ضلت فيه أكثر الأمّة من أهل الكلام من : المعتزلة ، والجهمية ، والقرامطة ، والأشاعرة ، . . فقد ضلوا في هذا الباب ؛ لأنهم دخلوا بعقولهم الصغيرة ، وبأفئدتهم وألبابهم المحدودة في هذا المجال المقفل الذي لا يدخله إلا من عنده دليل من كتاب وسنّة صحيحة ، فعطلوا صفات الله ، وحول الفرق التي ضلت في توحيد الأسماء والصفات ، وثمار الإيمان بصفات العلى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الفرق التي ضلت في باب توحيد الأسماء والصفات

أحبتي في الله ، قال فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر : هذا هو التوحيد الذي ضلت فيه أكثر الأمّة ، من أهل الكلام من الأشاعرة و المعتزلة و الجهمية والقرامطة فقد ضلوا في هذا الباب ؛ لأنهم دخلوا بعقولهم الصغيرة ، وبأفئدتهم وألبابهم المحدودة في هذا المجال المقفل الذي لا يدخله إلا من عنده دليل من الكتاب والسنّة ، فعطلوا صفات الله ، بل بعض غلاة الجهمية- أتباع الجهم بن صفوان- سلبوا عن الله النقيضين ، حتى قالوا: (إن الله لا موجود ولا معدوم) وقالوا: إن أثبتنا لله الوجود شبهناه بالموجودات ، وإن قلنا: إنه معدوم شبهناه بالمعدومات ، فوصفوه بالممتنعات ، لأن الذي ليس معدوماً ولا موجوداً هو الممتنع ، فهربوا من شيء ليقعوا في شر منه . بينما الأشاعرة - وهم أتباع أبي الحسن الأشعري – أثبتوا لله سبع صفات فقط: العلم ، والسمع ، والقدرة ، والإرادة ، والحياة ، والكلام ، والبصر ، سبع صفات فقط – وهي مجموعة في قول القائل:

حي عليم قدير والكلام له ::: إرادة وكذلك السمع والبصر

والباقي نفوها عن الله ، لماذا؟ قالوا: إذا أثبتناها شبهنا ، حسناً! كيف يكون محذوراً في الباقي ، ولا يكون محذوراً في السبع التي أثبتموها ، فإما أن تنفوا أو أن تثبتوا كل شيء .وجاءت المعتزلة - وهم أتباع واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد - لتنفي عن الله الصفات كلها وأثبتوا الأسماء فقط ، يقولون: إن الله عليم لكن بلا علم ، يقولون: هذه الأسماء مثل اسم سعيد ، لا يعني أنك سعيد؟ أو اسم محمود ، لا يعني أنك محمود؟ أو اسم عليّ ، لا يعني أنك عليّ ، فهذه الأسماء فقط لا تدل على معاني ، فيقولون: إن الله عليم بلا علم ، وسميع بلا سمع ، وحكيم بلا حكمة ، فلا إله إلا الله!! كيف هذا؟ قالوا: إذا أثبتنا الصفة لزم من إثبات الصفة التشبيه بالمخلوق ، فنحن ننفي الصفة عن الله حتى لا نشبه الله بالمخلوقين .

ومن قال لكم: إن صفة الله مثل صفة المخلوقين؟! يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة التدمرية : كما أن لله ذاتاً تختلف عن ذوات المخلوقين ، فإن لله صفات تختلف عن صفات المخلوقين ، ولذا السؤال عن الصفة بدعة وضلالة .

وجاء رجل إلى الإمام مالك فقال له: كيف الاستواء؟ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ا هـ .

ثانيًا : من ثمرات الإيمان بصفات الله تعالى

إخوتي في الله ، ما من صفة لله تعالى ؛ إلا وللإيمان بها ثمرات عظيمة وآثار كبيرة مترتبة على ذلك الإيمان . فما أعظم نعم الله على أهل السنة والجماعة الذين آمنوا بكل ذلك على الوجه الذي يليق بالله تعالى ، نذكر منها ما يلي :

١- من المعلوم عند أرباب العقول أن المحب يجب أن يتصف بصفات محبوبة ؛ فهذا يدعو العبد المحب لأن يتصف بصفات محبوبه ومعبوده ، فالله كريم يحب الكرماء ، رحيم يحب الرحماء ، رفيق يحب الرفق ، فإذا علم العبد ذلك ؛ سعى إلى التحلي بصفات الكرم والرحمة والرفق ، وهكذا في سائر الصفات التي يحب الله

أن يتحلى بها العبد على ما يليق بذات العبد .

٢- وأنه إذا آمن العبد بصفات " العلم ، والإحاطة ، والمعية " ؛ أورثه ذلك الخوف من الله عز وجل المطلع عليه الرقيب الشهيد ، فإذا آمن بصفة " السمع " ؛ علم أن الله يسمعه ؛ فلا يقول إلا خيراً ، فإذا آمن بصفات " البصر ، والرؤية ، والنظر ، والعين " ؛ علم أن الله يراه ؛ فلا يفعل إلا خيراً ، فما بالك بعبدٍ يعلم أن الله يسمعه ، ويراه ويعلم ما هو قائله وعامله ، أليس حرى بهذا العبد أن لا يجده الله حيث نهاه ، ولا يفتقده حيث أمره ؟! فإذا علم هذا العبد وآمن أن الله " يحب ويرضى " ؛ عمل ما يحبه معبوده ومحبوبه وما يرضيه . فإذا آمن أن من صفاته " الغضب ، والكره ، والسخط ، والمقت ، واللعن " ؛ عمل بما لا يغضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقته ثم يلعنه ويطرده من رحمته . فإذا آمن بصفات "الفرح ، والبشاشة ، والضحك " ؛ أنس لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويتبشبش لهم ويضحك لهم ؛ ما عدمنا خيراً من رب يضحك .

٣- وأنه إذا علم العبد وآمن بصفات الله من " الرحمة ، والرأفة ، والتوب ، واللطف ، والعفو ، والمغفرة ، والستر ، وإجابة الدعاء " ؛ فإنه كلما وقع في ذنب ؛ دعا الله أن يرحمه ويغفر له ويتوب عليه ، وطمع فيما عند الله من ستر ولطف بعباده المؤمنين ، فأكسبه هذا رجعة وأوبه إلى الله كلما أذنب ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً ؛ فكيف ييأس من يؤمن بصفات " الصبر ، والحلم " ؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أن الله يتصف بصفة " الكرم ، والجود ، والعطاء " ؟! .

٤- وأن العبد الذي يعلم أن الله متصف بصفات " القهر والغلبة ، والسلطان ، والقدرة والهيمنة ، والجبروت " ؛ يعلم أن الله لا يعجزه شيء ؛ فهو قادر على أن يخسف به الأرض ، وأن يعذبه في الدنيا قبل الآخرة ؛ فهو القاهر فوق عباده ، وهو المهيمن على عباده ، ذو الملكوت والجبروت والسلطان القديم . فسبحان ربي العظيم .

٥- ويظل العبد دائم السؤال لربه ، فإن أذنب ؛ سأله بصفات " الرحمـة ، والتوب ، والعفو ، والمغفرة " أن يرحمه ويتوب عليه ويعفو عنه ويغفر له ، وإن خشي على نفسه من عدو متجهم جبار ؛ سأل الله بصفات " القوة ، والغلبة ، والسلطان ، والقهر والجبروت " ؛ رافعاً يديه إلى السماء قائلاً : يا رب ! يا ذا القوة والسلطان والقهر والجبروت ! اكفنيه ، فإن آمن أن الله " كفيل ، حفيظ ، حسيب ، وكيل " ؛ قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وتوكل على " الواحد ، الأحد ، الصمد " ، وعلم أن الله ذو " العزة ، والشدة والمحال ، والقوة ، والمنعة " مانعه من أعدائه ، ولن يصلوا إليه بإذنه تعالى .فإذا ما أصيب بفقر ؛ دعا الله بصفات " الغني ، والكرم ، والجود ، والعطاء " فإذا أصيب بمرض ؛ دعاه لأنه هو " الطبيب ، الشافي ، الكافي " ، فإن منع الذرية ؛ سأل الله أن يرزقه ويهبه الذرية الصالحة ؛ لأنه هو (الرزاق الوهاب) . . . وهكذا ، فإن من ثمرات العلم بصفات الله دعاؤه بها .

٦- وإذا تدبر العبد صفات الله من " العظمة ، والجلال ، والقوة، والجبروت ، والهيمنة " ؛ استصغر نفسه ، وعلم حقارتها . وإذا علم أن الله مختص بصفة " الكبرياء" ؛ لم يتكبر على أحد ، ولم ينازع الله فيما خص نفسه من الصفات . وإذا علم أن الله متصف بصفة "الغني ، والملك والعطاء " ؛ استشعر افتقاره إلى مولاه الغني ، مالك الملك ، الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء . .

٧- وإذا علم العبد أن الله يتصف بصفة "القوة ، والعزة ، والغلبة " ، وآمن بها ؛ علم انه إنما يكتسب قوته من قوة الله ، وعزته من عزة الله ؛ فلا يذل ولا يخنع لكفار ، وعلم أنه إن كان مع الله ؛ كان الله معه ، ولا غالب لأمر الله .

٨- ولا ينازع العبد الله في صفة "الحكم ، والألوهية"؛ فلا يحكم إلا بما أنزل الله ، ولا يتحاكم إلا إلى ما أنزل الله .

٩- وإذ آمن العبد بهذه الصفات المقيدة " الكيد ، والمكر ، والاستهزاء ، والخداع " على ما يليق بذات الله وجلاله وعظمته ؛ علم أن لا أحد يستطيع أن يكيد لله أو

يمكر به ، وهو خير الماكرين سبحانه ، كما أنه لا أحد من خلقه قادر على أن يستهزئ به أو يخدعه ؛ لأن الله سيستهزئ به ويخادعه فيغضب عليه ويمقته ويعذبه ، فكان الإيمان بهذه الصفات وقاية للعبد من الوقوع في مقت الله وغضبه .

١٠- وأن العبد الذي يعلم أن الله متصف بصفة " السلام ، المؤمن ، والصدق " ؛ يشعر بالطمأنينة والهدوء النفسي ؛ فالله هو السلام ، ويحب السلام ، وينشر السلام بين المؤمنين ، وهو المؤمن الذي أمن الخلق من ظلمه .

وإذا اعتقد العبد أن الله متصف بصفة " الصدق " ، وأنه وعده إن هو عمل صالحاً جنات تجري من تحتها الأنهار ؛ علم أن الله صادق في وعده ، لن يخلقه ، فيدفعه هذا لمزيد من الطاعة ؛ طاعة من يثق أنه إن جد وجد ، وإن زرع حصد .

١١- وأن صفات الله الخبرية كـ"الوجه ، واليدين ، والأصابع ، والأنامل ، والقدمين، والساق ، وغيرها " تكون كالاختبار الصعب للعباد ، فمن آمن بها وصدق بها على الوجه الذي يليق بذات الله عز وجل بلا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف ، وقال : كل من عند ربنا ، ولا فرق بين إثبات صفة العلم والحياة والقدرة وبين هذه الصفات ؛ فقد فاز فوزاً عظيماً . ومن قدم عقله السقيم على النقل الصحيح ، وأول هذه الصفات ، وجعلها من المجاز ، وحرف فيها ، وعطلها ؛ فقد خسر خسراناً مبيناً ؛ إذ فرق بين صفة وصفة ، وكذب الله فيما وصف به نفسه ، وكذب رسوله ﷺ فلو لم يكن من ثمرة الإيمان بهذه الصفات إلا أن تدخل صاحبها في زمرة المؤمنين ؛ لكفى بها ثمرة ، ولو لم يكن من ثمراتها إلا أنها تميز المؤمن الحق الموحد المصدق لله ورسوله ﷺ وبين ذاك الذي تجرأ عليهما ، وحرف نصوصهما ، واستدرك عليهما ؛ فكيف إذا علمت أن هناك ثمرات أخرى عظيمة للإيمان بهذه الصفات الخبرية ؛ منها أنك إذا آمنت أن لله وجهاً يليق بجلاله وعظمته ، وأن النظر إليه من أعظم ما ينعم الله على عبده يوم القيامة ، وقد وعد به عباده الصالحين ؛ سألت الله النظر إلى وجهه الكريم ، فأعطاكه ، وأنك إذا آمنت أن لله يداً ملأى لا يغيضها نفقة ، وأن الخير بين يديه

سبحانه ؛ سألته مما بين يديه ، وإذا علمت أن قلبك بين أصبعين من أصابع الرحمن ؛ سألت الله أن يثبت قلبك على دينه . . . وهكذا .

١٢- وإذا علم العبد أن من صفات الله جل وعلا "القدوس، السبوح" ؛ نزه الله من كل عيب ونقص، وعلم أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

١٣- وأن العبد الذي يؤمن أن من صفات الله الخاصة به "المصور" ؛ فإنه لا يحاول مضاهاة الله في ذلك ، ولا منازعته فيه ، فيبتعد عن التصوير المحرم من ذوات الأرواح .

١٤- وأن من علم أن من صفات الله " الحياة، والبقاء " ؛ علم أنه يعبد إلهاً لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، أورثه ذلك محبة وتعظيماً وإجلالاً لهذا الرب الذي هذه صفته .

١٥- وأن الإيمان بصفة " العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، والنزول، والقرب، والدنو "؛ يجعل العبد يعلم أن الله تعالى فوق كل شيء ، بائن من خلقه ، مستو على عرشه وهو قريب من عبده بعلمه ، فإذا احتاج العبد إلى ربه ؛ وجده قريباً منه ، فيدعوه ، فيستحب دعاءه ، وينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل - كما يليق به سبحانه - فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، فيورث ذلك حرصاً عند العبد بتفقد هذه الأوقات التي يخلو فيها مع ربه القريب منه ، فهو سبحانه قريب في علوه ، عال في قربه .

١٦- وأن الإيمان بصفة "الكلام" وأن القرآن كلام الله يجعل العبد يستشعر وهو يقرأ القرآن أنه يقرأ كلام الله فإذا قرأ : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٦] ؛ أحس أن الله يكلمه ويتحدث إليه ، فيطير قلبه وجلا ، وأنه إذا آمن بهذه الصفة ، وقرأ في الحديث الصحيح أن الله سيكلمه يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ؛ استحى أن يعصي الله في الدنيا ، وأستعد لذلك (٣٦) .

ثالثًا : من فتاوي فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٦٦) ماذا عن صفة الهرولة ؟الفتوى (٩٢) .

صفة الهرولة ثابتة لله تعالى كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي »[(١)] ، فذكر الحديث ، وفيه : « أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » ، وهذه الهرولة صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل ؛ لأنه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه ، فوجب علينا قبولها بدون تكييف ؛ لأن التكييف قول على الله بغير علم وهو حرام ، وبدون تمثيل ؛ لأن الله يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

٦٧) هل يوصف الله بالمكر ؟ وهل يسمى به ؟الفتوى (٨٠)

لا يوصف الله تعالى بالمكر إلا مقيدا فلا يوصف به وصفا مطلقا ، قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ [الأعراف : ٩٩]

ففي هذه الآية دليل على أن لله مكرا ، والمكر هو التوصل إلى إيقاع الخصم من حيث لا يشعر ، فإن قيل : كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم ؟

قيل : إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر ، وأنه غالب على خصمه ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق ، فلا يجوز أن تقول : **"إن الله ماكر"**

وإنما تذكر هذه الصفة في مقام يكون مدحا مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[الأنفال :٣٠] ، وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) ﴾ [النمل:٥٠] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ [الأعراف : ٩٩] ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق ، بل إنها في المقام الذي تكون مدحا يوصف بها ، وفي

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٠٥ ، ومسلم ٢٦٧٥ .

المقام الذي لا تكون فيه مدحا لا يوصف بها ، وكذلك لا يسمى الله به فلا يقال : إن من أسماء الله الماكر ، والمكر من الصفات الفعلية ؛ لأنها تتعلق بالمشيئته .

٦٨) هل يوصف الله بالخيانة ؟ والخداع كما قال الله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء :١٤٢] ؟ الفتوى (٨١)

أما الخيانة فلا يوصف الله بها أبدا لأنها ذم بكل حال ، إذ إنها مكر في موضع الائتمان وهو مذموم قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأنفال :٧١] ، ولم يقل : فخانهم . وأما الخداع فهو كالمكر يوصف الله تعالى به حين يكون مدحا ولا يوصف به على سبيل الإطلاق قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء :١٤٢] .

٦٩) هل يوصف الله تعالى بالنسيان ؟الفتوى (٨٣) .

للنسيان معنيان: **الأول:** الذهول عن شيء معلوم مثل قوله تعالى: ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وهذا المعنى للنسيان منتف عن الله عز وجل ، فالنسيان نقص ، والله تعالى منزه عن النقص ، موصوف بالكمال ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[النحل : ٦٠] ، وعلى هذا فلا يجوز وصف الله بالنسيان بهذا المعنى على كل حال ، **الثاني:** الترك عن علم وعمد ، مثل قول الله تعالى في المنافقين : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) ﴾ [التوبة:٦٧] ، وهذا المعنى من النسيان ثابت لله تعالى عز وجل ، وفي صحيح مسلم في كتاب الزهد والرقائق عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فذكر الحديث ، وفيه : « **أن الله تعالى يلقى العبد فيقول : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي** » [1] .

وتركه سبحانه للشيء صفة من صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته التابعة لحكمته ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) ﴾ [البقرة:١٧] ، وقال تعالى

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٦٨ .

: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف:٩٩] ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً ﴾ [العنكبوت:٣٥] ، والنصوص في ثبوت الترك وغيره من أفعاله المتعلقة بمشيئته كثيرة معلومة ، وهي دالة على كمال قدرته وسلطانه . وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يماثل قيامها بالمخلوقين ، وإن شاركه في أصل المعنى ، كما هو معلوم عند أهل السنة .

٧٠) هل صفة (الحي) لله عز وجل مسبوقة بالعدم ؟ الفتوى(٨٢) .

حياة الله عز وجل حياة كاملة ، لم تسبق بعدم ، ولا يلحقها زوال ، فحياة الله عز وجل حياة كاملة ، متضمنة لجميع الصفات الكاملة ، فلم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال .

٧١) ما حكم إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله ؟الفتوى (٧٨) .

إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله بمعنى أنه من مقتضى هذه الصفة لا بأس به ، مثل أن نقول : اقتضت حكمة الله أن يعذب الظالم ، أو أوجب القضاء والقدر أن يشقى فلان أو يسعد فلان ويدل لذلك قول النبي ﷺ : « **الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ** » [(١)] ، أما إذا أضيفت الحوادث إلى صفة من صفات الله وكأن الصفة هي التي فعلت دون الموصوف فلا يجوز ؛ لأن المؤثر هو الله تعالى وهو الخالق المدبر لجميع الأمور .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٨٨ .

الدرس السادس والعشرون[الركن الثاني من أركان الإيمان : الإيمان بالملائكة]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، هل يستشعر كل منا وهو جالس الآن وأن معه ملكان عن اليمين وعن الشمال ، وعندما يقوم فإن هناك ملائكة أمامه وخلفه يحفظونه ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله ﴾ [الرعد:١١] ، وقال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] .

فمن أصول أهل السنة والجماعة : الإيمان بالملائكة ، والتصديق بوجودهم ، وأن الله عز وجل خلقهم لعبادته ، وأنهم موكلون ببعض الوظائف ، فنؤمن بهم على الإجمال والتفصيل ، فعلى الإجمال: نؤمن بأنهم من جنود الله: ﴿ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفتح:٤] ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] أما على التفصيل فنعرف بعضهم وبعض وظائفهم ، وحول الإيمان بالملائكة سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الإيمان بالملائكة

أحبتي في الله ، الملائكة هم عباد الله المكرمون السفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام الكرام ، وهم الكرام خَلْقًا وخُلُقًا والكرام على الله تعالى وهم البررة الطاهرين ذاتًا صفةً وأفعالًا ، المطيعين لله عز و جل وهم عباد من عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ليسوا بنات لله عز و جل ، ولا أولادًا ، ولا شركاءً معه ، ولا أندادا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوًا كبيرًا قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(٢٩) ﴾ [الأنبياء ٢٦ – ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ

شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ(١٩) ﴾[الزخرف : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً (١٧٢) ﴾[النساء : ١٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ(١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ(٢٠) ﴾ [الأنبياء ١٩ -٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١) ﴾ [فاطر : ١] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً(٢٦) ﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً (٦٤) ﴾ [مريم : ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوّاً لله وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ(٩٨) ﴾ [البقرة : ٩٨] ، والايات في ذكر الملائكة في القرآن كثيرة .

ثانيًا : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت عليهم السلام

إخوتي في الله ، جبريل عليه السلام هو الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وهو الروح الأمين قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ الله مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(٩٧) ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(١٩٥) ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى(٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى(١٠) ﴾ [النجم : ٤-٩] ، وهذا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلى له على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق ثم رآه ليلة المعراج أيضا في السماء كما قال تعالى : ﴿

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى(١٥) ﴾ [النجم :١٣-١٥] ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى النجم ١٣ ١٥ ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين وبقية الأوقات في صورة رجل وغالبا في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وقال تعالى فيه : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ(٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ(٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ(٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ(٢٣)** ﴾ [التكوير : ١٩-٢٣] ، أخرج أبو داود في سننه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا فَيُصْعَقُونَ فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ** – أي زال الفزع عن قلوبهم – **قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : الْحَقَّ فَيَقُولُونَ : الْحَقَّ الْحَقَّ** » [1] .

أما ميكائيل عليه السلام فهو الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز و جل ، وهو ذو مكانة علية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز و جل وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز و جل

وإسرافيل عليه السلام هو الموكل بالصور ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز و جل الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ** » ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُمْ : «**قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**» [2] ، وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه من صلاة الليل عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ ؟ قَالَتْ : كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٧٣٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٦ . .

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٤٣١وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٥٩٢ . .

افْتَتَحَ صَلَاتَهُ : « اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » [1] .

في حين أن ملك الموت عليه السلام هو الموكل بقبض الأرواح وأعوانه قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(١١) ﴾[السجدة : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ(٦١) ﴾[الأنعام : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ(٥٠) ﴾ وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٨) ﴾ [النحل : ٢٨] ، وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) ﴾ [فصلت : ٣٠] ، وغيرها من الآيات .

ثالثًا : باقي أقسام الملائكة

أيها الأحبة في الله ، ما زال هناك أصناف كثيرة من الملائكة على سبيل المثال :

١- منهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته وهم المعقبات قال الله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ [الرعد : ١٠] : قيل : المعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه .

٢- ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون ، قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴾ [الزخرف : ٨٠] ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(١٢) ﴾ [الإنفطار : ١٠-١٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٧٧٠ .

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ(١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(١٨) ﴾ [ق : ١٧-١٨] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات الذي عن الشمال يكتب السيئات ، والآيات في ذلك كثيرة ، وأورد مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً ، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا » [1] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » [2] .والاحاديث في ذكر الحفظة كثيرة .

٣- ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص في ذلك عند الكلام على اليوم الآخر .

٤- ومنهم خزنة الجنة قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) ﴾[الزمر : ٧٣] ، وقال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ(٢٣) ﴾ [الرعد : ٢٣] .

٥- ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم وفي يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) ﴾[فصلت : ٣٠] .

٦- ومنهم خزنة جهنم عياذا بالله منها وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليهم السلام قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٢٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٥٥ ، ومسلم ٦٣٢ واللفظ للبخاري . .

عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) ﴾[الزمر :٧١] ، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ(٥٠) ﴾[غافر: ٤٩-٥٠] ، وقال تعالى فليدع نادية سندع الزبانية العلق ١٧ ١٨ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾[التحريم : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(٣٠) ﴾ [المدثر : ٢٧-٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾[الزخرف : ٧٧] ، وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » [(١)] .

٧- ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم ، أخرج الشيخان في صحيحهما عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» [(٢)] . هذا فيما يبدو للناس ويظهر ، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٤٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٠٨ ، ومسلم ٢٦٤٣ واللفظ لمسلم .

النَّاسُ ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا » [(1)] .

٨- ومنهم حملة العرش قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[غافر : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ(١٧) ﴾ [الحاقة: ١٧]

٩- ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر ، أخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ لله مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ ، تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ، مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» [(2)] .

١٠- ومنهم الموكل بالجبال وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ الى بني عبد ياليل وفيه قول جبريل له ﷺ : « إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ ؟ » فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » [(3)] .

١١- ومنهم ملائكة قيام لا يركعون وركع وسجد لا يرفعون ومنهم غير ذلك ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾[المدثر :٣١] .

رابعًا : من ثمرات الإيمان بالملائكة

أيها الأحبه الكرام ، للإيمان بالملائكة ثمار نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤٩٣ من حديث سهل بن سعد الساعدي .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤٠٨ ، ومسلم ٢٦٨٩ واللفظ للبخاري .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٣١ ، ومسلم ١٧٩٥ واللفظ للبخاري .

١- عظمة المخلوقات مثل الملائكة تدل على عظمة الخالق الكريم جل وعلا .

٢- شكر نعمة الله علينا لعنايته ببني آدم حيث أوكل بهم ملائكة يحفظونهم ويكتبون أعمالهم ويسعون في مصالحهم ويدعون لهم ، وغير ذلك من مصالحهم .

٣- محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين ، والتخلق بأخلاقهم من كرم وحياء وبر وإحسان وعبادة .

٤- تجنب إيذاء الملائكة قال ﷺ: «فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ »[(١)] .

٥- المحافظة على صلاة الجماعة لجوائزها العظيمة التي تشهدها الملائكة ، قال النبي ﷺ: « فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ – أي: أرض قفر خالية -، فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتَيَمَّمْ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللهِ مَا لا يُرَى طَرَفَاهُ»"[(٢)] ، وقال النبي ﷺ : «وإِذَا أَمَّنَ الْقَارِئُ فَأَمِّنُوا ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ ؛ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[(٣)] ، وقال ﷺ: «وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، يَقُولُونَ : اللهُمَّ ارْحَمْهُ ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»[(٤)] .

٦- الدعاء لأخيك بظهر الغيب ، قال النبي ﷺ : « فَدَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ »[(٥)] إلى غير ذلك من الثمرات التى لا يتسع المقام لذكرها .

خامسًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٧٢) أيهما أفضل الملائكة أم الصالحون من البشر ؟الفتوى (١٠٧)

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٦٤ ، من حديث جابر بن عبد الله .
(٢) (صحيح) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٩٥٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٤٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه النسائي ٩٢٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٩٦ من حديث أبي هريرة .
(٤) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٥٩ من حديث أبي هريرة .
(٥) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٧٣٣ من حديث أبي الدرداء .

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، ولكن القول الراجح أن يقال : إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية فإن الله سبحانه وتعالى يعد لهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم ، بل إن الملائكة في مقرهم أي في مقر الصالحين وهو الجنة يدخلون عليهم من كل باب ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٤] ، أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل لأنهم خلقوا من نور وجبلوا على طاعة الله تعالى والقوة عليها كما قال تعالى في ملائكة النار: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) ﴾ [النحل : ٥٠] ، وقال عز وجل: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩-٢٠] .

٧٣) هل إبليس من الملائكة؟الفتوى (١٠٩) .

إبليس ليس من الملائكة لأن إبليس خلق من نار والملائكة خلقت من نور ، ولأن طبيعة إبليس غير طبيعة الملائكة ، فالملائكة وصفهم الله تعالى بأنهم: بقوله: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩] ، أما الشيطان فإنه على العكس من ذلك فإنه كان مستكبرًا كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ [البقرة : ٣٤] ، ولكن لما وجه الخطاب إلى الملائكة بالسجود لآدم وكان إبليس من بينهم أي معهم مشاركًا لهم في العبادة وإن كان قلبه والعياذ بالله منطويًا على الكفر والاستكبار صار الخطاب متوجهًا إلى الجميع فلهذا صح استثناؤه منهم فقال تعالى: ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ٥٠] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السابع والعشرون[الركن الثالث من أركان الإيمان:الإيمان بالكتب السماوية]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، إن من نعمة الله تعالى لا أقول علينا فحسب ، بل على الناس أجمعين أن يوجد بين أظهرهم كلام الله ، كتاب محفوظ ، قرآن يحتكمون إليه فيما يقع بينهم من خلاف أو شجار ، وذلك بعد أن حرفت الكتب السماوية كلها ، التوراة ، والإنجيل ، وغيرها ، وضاع أكثرها ، ولعبت بها أيدي التغيير والتبديل ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩] ، وحول الإيمان بالكتب السماوية سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الركن الثالث من أركان الإيمان : الإيمان بالكتب السماوية

أحبتي في الله ، من أركان الإيمان ، وأصول الاعتقاد : الإيمان بجميع كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله ، حيث يجيء ذكر الإيمان بالكتب السماوية فى القرآن فى صيغة الأمر تارة ، مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء:١٣٦] ، وتارة يوصف المؤمنون بأنهم هم الذين يؤمنون بالكتب المنزلة كلها مثل قوله تعالى : ﴿ الم(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣) والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤) ﴾ [البقرة:١-٤] ، كما يجيء عدم الإيمان بالكتب المنزلة أو الإيمان ببعضها دون البعض الآخر علامة على الكفر تارة ثالثة مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً(٣٦) ﴾ [النساء : ١٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) ﴾[البقرة :٨٥] ، ومفهوم هذه الآيات وأمثالها ، سواء كانت أمراً

مباشراً أو وصفاً للمؤمنين أو وصفاً للكافرين ، هـو أن الإيمـان بالكتـب السـماوية كلها أمر واجب لا يتم إيمان المرء إلا به ، فالواجب أن يؤمن بهـذه الكتـب المنزلـة ويعتقد يقيناً أنها منزلة من عند الله ، ولو شك أو كذب بهـا ، أو قـال إنـه يـؤمن ببعض الكتب أنها منزلة من عند الله حقاً وشك أو كذب ببعضها فقـد أخـل بهـذا الركن ، ولقد اختلفت الكتب المنزلة فى اللغات التي نزلت بها ، لأن الله يقـول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤] .

وهذه الكتب نزلت على أقوام مختلفين فاختلفت من ثم لغاتها ، كذلك اختلفت هذه الكتب فيما تحتويه من شرائع ، فالله يخبرنـا أنـه أنـزل شـرائع مختلفـة للأقـوام المختلفين: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَـةً وَمِنْهَاجـاً وَلَـوْ شَـاء اللهُ لَجَعَلَكُـمْ أُمَّـةً وَاحِـدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم ﴾ [المائدة:٤٨] ، كما اتفقت جميع الكتب السماوية على حقيقة واحدة ، وهى الأمر بعبادة الله وحده ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّـةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] .

كذلك نزلت الكتب كلها لتنـذر النـاس بيـوم الحسـاب: ﴿ رَفِيـعُ الـدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَـوْمَ الـتَّلَاقِ (١٥) يَـوْمَ هُـم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ(١٦) الْيَـوْمَ تُجْـزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) ﴾ [غافر : ١٥-١٧]

وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى(١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَـلَّى(١٥) بَـلْ تُـؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى(١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى(١٩) ﴾ [الأعلى : ١٥-١٩] ، فينبغي علـى المـؤمنين الإيمـان بجميـع هذه الكتب السماوية قال تعالى : ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّـونَ مِـن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(١٣٦) ﴾[البقرة :١٣٦] ، وقال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَـلَى رَسُـولِهِ وَالْكِتَـابِ

الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً(١٣٦) ﴾ [النساء :١٣٦] ، والإيمان بكل ما فيها من الشرائع كما إن جميعها يصدق بعضها بعضا لا يكذبه ، فلقد كان واجبا على الأمم الذين نزلت اليهم الصحف الاولى الانقياد لها والحكم بما فيها .

ثانيًا: تحريف الكتب السماوية السابقة

إخوتي في الله ، أخبرنا الله فى كتابه المنزل أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم ، فلم تعد فى صورتها التى أنزلها الله فقد جاء عن اليهود : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً(٤٦) ﴾ [النساء:٤٦] .

وجاء عن النصارى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧٨) ﴾ [آل عمران:٧٨] .

وإذا تدبرنا هذا الأمر وجدنا أن هناك ثلاثة أنواع من التحريف على الأقل قد وقعت فى كتب أهل الكتاب ، وكلها وردت الإشارة إليه فى القرآن :

١- تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران :٧٥] فمن أهل الكتاب مَن إنْ تأمنه على كثير من المال يؤدِّه إليك من غير خيانة ، ومنهم مَن إنْ تأمنه على دينار واحد لا يؤدِّه اليك ، إلا إذا بذلت غاية الجهد في مطالبته ، وسبب ذلك عقيدة فاسدة يقولون: ليس علينا في أكل أموالهم إثم ولا حرج ؛ لأن الله أحلَّها لنا . وهذا كذب على الله ، يقولونه بألسنتهم ، وهم يعلمون أنهم كاذبون .

٢- التحريف بالتغيير والإضافة ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) ﴾ [التوبة : ٣٠] .

٣- التحريف بالكتمان وهو على نوعين كتمان أحكام الشريعة قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٤] ، وكتمان الإشارة إلى بعثة محمد والقرآن يسجل عليهم أنهم أُمروا بعدم الكتمان فعصوا الله قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ(٦) ﴾ [الصف : ٦] ، وعلى الرغم من ذلك فإن أهل الكتاب قد عصوا أمر ربهم وكتموا الحق الذى أمروا بإعلانه على الناس

ثالثًا: الكتب السماوية ينسخ بعضها بعضا والناسخ والمنسوخ في القرآن

أيها الأحبة في الله ، قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : من حيث قبول ما جاء في الكتب السماوية من خبر ، يجب أن نقبل كل ما جاء في هذه الكتب من الخبر ، ولكن لا يعني أن نقبل كل خبر فيها الآن ، لأنها دخلها التحريف والتغيير والتبديل ، لكن نقول : إننا نؤمن بكل خبر جاء في التوراة ، أو في الإنجيل ، أو في الزبور ، أو في صحف إبراهيم ، مثال ذلك : في صحف إبراهيم : قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) ﴾ [النجم : ٣٦-٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦)وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨)صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى(١٩) ﴾[الأعلى :١٦-١٩] ، فما صح من هذه الكتب فإنه يجب علينا أن نقبل خبرة بدون تفصيل هذا بالنسبة للأخبار ، أما بالنسبة للأحكام أي ما في الكتب المنزلة من الأحكام ففيه تفصيل : فما كان في

القرآن فإنه يلزمنا التعبد به ، وما كان في الكتب السابقة نظرنا إن كان مخالفًا لشريعتنا فإننا لا نعمل به ، لا لأنه باطل ، بل هو حق في زمنه ، ولكننا لا يلزمنا العمل به ؛ لأنه نُسخ بشريعتنا ، وإن وافق شريعتنا فإننا نعمل به ؛ لأن شريعتنا أقرته وشرعته ، وما لم يكن في شرعنا خلافه ولا وفاقه فإن العلماء قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال : هو شرع لنا . ومنهم من قال : ليس بشرع لنا ، فالذين قالوا : إنه شرع لنا استدلوا بمثل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾[الأنعام : ٩٠] ، واستدلوا كذلك بأن ما سبق من الشرائع لولا أن فيه فائدة لكان ذكره نوعًا من العبث ، والراجح : أننا نعمل به .

مثال ما يخالف شريعتنا كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) ﴾[الأنعام :١٤٦] .

فاليهود حرم الله عليهم كل ذي ظفر مثل الإبل ، وكذلك كل ذي رجل غير مشقوقة أي ما لها أصابع ولا فرق بعضها من بعض فهو حرام عليهم ، ومن البقر والغنم حرم الله عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما ، أو الحوايا أو ما اختلط بعظم . فهذا منسوخ بشريعتنا ، فإن الله تعالى قد أحل لنا ذلك .

وأما مثال ما وافق شريعتنا فكثير مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) ﴾ [البقرة :١٨٣] ، وأمثلة ذلك كثيرة ، وأما ما لم يرد شرعنا بخلافه فمثاله الأخذ بقرينة الحال : كحكم سليمان بين المرأتين المتنازعتين ، حيث دعا بالسكين ليشقه بينهما فوافقت إحداهما وامتنعت الأخرى فحكم به للتي امتنعت مع أنها هي الصغرى ؛ لأن امتناعها دليل على أنها أمه ، وهذا لم يرد مثله في شرعنا بعينه ، وإن كان قد ورد ما يدل على اعتبار القرائن من حيث الجملة ولكن القول الراجح فيه : أنه شرع لنا ، وأننا نعمل به لما ذكرنا من الدليل من القرآن ا هـ .

كما أن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخت بعض شرائح التوراة بالإنجيل قال الله تعالى عن قول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل : ﴿ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ(٥٠) ﴾ [آل عمران : ٤٨-٥٠] ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن ينسخ الكتب السابقة كلها وينزل كتابه الأخير ليبقى فى الأرض إلى قيام الساعة قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ(٥٢) ﴾ [القلم :٥٢] ، ولم يعد يقبل من أحد أن يستمسك بما سبق من الكتب ويرفض القرآن: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة : ٦٨] ، وإقامة التوراة والإنجيل بالنسبة لأهل الكتاب المخاطبين بهذه الآية معناها: الإقرار بوحدانية الله ، ذلك أن التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله يقرران هذه الوحدانية تقريراً جازماً ، ولكن أهل الكتاب حرفوهما فالمطلوب منهم هو إقامتهما مرة أخرى ، أى الرجوع إلى أصل التوحيد ثم إن التوراة والإنجيل قد ذكرا محمداً وأمرا باتباعه عند ظهوره ، فإقامتهما معناها الإيمان برسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾[آل عمران:١٩] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران : ٨٥] .

وكذلك نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال الله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٠٦) ﴾ [البقرة : ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾[النحل : ١٠١] والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها ، وأنه لا يأتي كتاب بعد القرآن الكريم ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

أجمعين قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾[المائدة :٤٨] ، لذلك يجب الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالاً ، والإيمان بهذا الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن وذلك بامتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه ، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته آناء الليل والنهار والذنب عنه والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها .

رابعًا : من ثمرات الإيمان بالكتب السماوية (٥١)

أولا: العلم برحمة الله تعالى بخلقه ، حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به .

ثانيا : ظهور حكمة الله تعالى ، حيث شرع لكل أمة ما يناسبها من الكتب .

ثالثا : كان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم ، مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ، ومكان إلى يوم القيامة .

رابعا: شكر نعمة الله تعالى على ذلك .

خامسًا: من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٧٤)هل يجوز للمسلم أن يقتني الإنجيل ؟ الفتوى ٥

لا يجوز اقتناء شيء من الكتب السابقة على القرآن من إنجيل أو توراة أو غيرهما لسببين: الأول : أن كل ما كان نافعا فيها فقد بينه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، والثاني : أن في القرآن ما يغني عن كل هذه الكتب لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾[المائدة :٤٨] ، فإن ما في الكتب السابقة من خير موجود في القرآن ، فالنافع من الإنجيل قد قصه الله في القرآن فلا حاجة للبحث في غيره ، وأيضا فالإنجيل الموجود الآن محرف ، والدليل على ذلك أنها أربعة أناجيل يخالف بعضها بعضا وليست إنجيلا واحدا ، إذن فلا يعتمد عليه أما طالب العلم الذي لديه علم يتمكن به من معرفة الحق من الباطل فلا مانع من معرفته لها لرد ما فيها من

الباطل وإقامة الحجة على معتنقيها .

٧٥) ماذا عن عقيدة السلف في القرآن الكريم؟الفتوى (١٢٠)

عقيدة السلف في القرآن الكريم كعقيدتهم في سائر أسماء الله وصفاته وهي عقيدة مبنية على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ﷺ ، وكلنا يعلم أن الله سبحانه وتعالى وصف القرآن الكريم بأنه كلامه ، وأنه منزل من عنده قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[التوبة :٦] ، والمراد بلا ريب بكلام الله هنا القرآن الكريم وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾[النحل :١٠٢] ، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(٧٦) ﴾ [النمل : ٧٦] ، فالقرآن كلام الله تعالى لفظًا ومعنى ، تكلم الله به حقيقة وألقاه إلى جبريل الأمين ، ثم نزل به جبريل على قلب النبي ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين . ويعتقد السلف أن القرآن نزل على محمد ﷺ منجمًا أي مفرقًا في ثلاث عشرين سنة حسب ما تقتضيه حكمة الله عز وجل ، ثم إن النزول يكون ابتدائيًا ، ويكون سببيًا بمعنى أن بعضه ينزل لسبب معين اقتضى نزوله ، وبعضه ينزل بغير سبب ، وبعضه ينزل في حكاية حال مضت للنبي ﷺ وأصحابه ، وبعضه ينزل في أحكام شرعية ابتدائية على حسب ما ذكره أهل العلم في هذا الباب . وأن القرآن من عند الله ابتداء وإليه يعود في آخر الزمان هذا قول السلف في القرآن الكريم .ولا يخفى علينا أن الله تعالى وصف القرآن الكريم بأوصاف عظيمة ، وصفه بأنه حكيم ، وبأنه كريم ، وبأنه عظيم ، وبأنه مجيد ، وهذه الأوصاف التي وصف الله بها كلامه تكون لمن تمسك بهذا الكتاب وعمل به ظاهرًا وباطنًا فإن الله تعالى يجعل له من المجد ، والعظمة ، والحكمة ، والعزة ، والسلطان ، ما لا يكون لمن لم يتمسك بكتاب الله عز وجل .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❋ ❋ ❋

الدرس الثامن والعشرون[الركن الرابع من أركان الإيمان: الإيمان برسل الله تعالى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، من أصول الإيمان الإيمان برسل الله ، فرسل الله هم أفضل المنعم عليهم الذين أنعم عليهم بولايته المطلقة ، فلم يجعل للشيطان عليهم أي سبيل ، هؤلاء هم أشرف البشر ، وانتفاعنا بالإيمان بهم مثل انتفاعنا بالإيمان بالملائكة ؛ لأننا نريد الاقتداء بهم ، ومعرفة أن ما سلكوه هو طريق الحق الذي يعصم من الشيطان ، ثم انتبه إلى ﷺ: « **نحن أحق بموسى منهم**» ، لأنا نؤمن بموسى عليه السلام ، ونؤمن بمن جاء بعده وهو عيسى عليه السلام ، ونؤمن برسل الله وأنبيائه لا نفرق بين أحد منهم ، وحول الإيمان برسل الله سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا: الفرق بين النبي والرسول

أحبتي في الله ، إختلف أهل العلم كثيراً في الفرق بين النبي والرسول وجمهور العلماء على أنَّ : النبي هو من أَوْحَى الله إليه بشرعٍ لنفسه أو أَمرَه بالتبليغ إلى قوم موافقين له في التوحيد ، والرسول هو من أَوْحى الله إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه إلى قوم مخالفين ، ولهذا جاء في الحديث « **وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ** » (1) ، ولم يجعلهم ورثة الرسل ، وذلك لأنّ العالم في قومه يقوم مقام النبي في إيضاح الشريعة التي معه ، فيكون إذاً في إيضاح شريعته ، في إيضاح الشريعة يكون ثَمَّ شَبَه ما بين العالم والنبي ، ولكن النبي يُوحى إليه فتكون أحكامه صواباً ؛ لأنها من عند الله تعالى ، والعالم يوضِحُ الشريعة ويعرض لحُكْمِهِ الغلط .

كما أَنَّ الرسول يكون ذكراً وكذلك الأنبياء ذكوراً ، فليس في النساء رسولة

---

(1) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٦٤١وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٩٧ من حديث أبي الدرداء .

ولا نبية ، وإنما هم ذكور ، وأنهم من أهل القرى ، وليسوا من أهل البادية ، وأنَّ الرسول لابد أن يُكَذَّب ، فلم يأتِ رسول إلا وكُذِّب كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف : ١١٠] (٥٠) .

ثانيًا: الأدلة والبراهين على النبوة والرسالة

إخوتي في الله ، أن النبوة والرسالة دليلها وبرهانها متنوع ، ولا يُحصرُ القول بأنها من جهة المعجزات الحسية التي تُرى أو تجري على يدي النبي ، نذكر من الأدلة والبراهين مايلي :

١- الآيات والبراهين ، قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً ﴾[الإسراء: ١٠١] ، وقال الله تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ الله وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:٤٩] ، وقال الله تعالى عن القرآن الذي أرسل به رسول الله ﷺ : ﴿ قُل لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨] فما آتاه الله تعالى لرسول الله ﷺ يكون مُعْجِزاً للجن والإنس جميعا ، ونحو ذلك من الآيات التي تدل على أنَّ ما يؤتاه الأنبياء والرسل إنما هو آيات وبراهين .

٢- ما يجري من أحوال النبي يكون دالاًّ على صدقه بالقطع : فالنبي يأتي بأخبار عن الله تعالى وهذه الأخبار منها ما يتعلق بالماضي ، ومنها ما يتعلق بالحاضر ، ومنها ما يتعلق بالمستقبل ، ويأتي بأمر ونهي وهو ما يدخل في الشريعة ، والأوامر متنوعة والنواهي متنوعة ، وكل هذه بمجموعها تدل للناظر على أنَّ قائل هذا الكلام نبي مرسل من عند الله تعالى بخلاف مدعي النبوة فلابد أن يظهر لكل أحد كذبه فيما ادعاه وتناقضه في أقواله وأفعاله وضَعْفُ أمْرِهِ . . إلخ .

٣- **بقاء شريعة الأنبياء والمرسلين** : ولهذا تجد أنَّ الرسالات هي الباقية في الناس: رسالة موسى ، وإبراهيم ، وعيسى عليهم السلام ، ورسالة محمد ﷺ ، وجميعهم دخلهم التحريف إلا شريعة الإسلام فهي الشريعة التى حفظها الله تعالى من التحريف وجعل منهم طائفة ظاهرين بالحق يقومون به إلى قيام الساعة .

٤- **بشرية الأنبياء والمرسلين** : فيجوز في حقهم ما يجوز في حق البشر مما هو من الجِبِلَّةْ والطبيعة ، فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ويتناسلون ويمرضون ، ومن جهة الذنوب ، فالذنوب قسمان كبائر فالكبائر جائزة فيما قبل النبوة ، ممنوعة فيما بعد النبوة والرسالة ؛ وأما صغائر الذنوب المؤثرة في صدق الحديث وفي تبليغ الرسالة وفي الأمانة ، فهذه لا يجوز أن تكون في الأنبياء ، وأما ما يكون من طبائع البشر ، فهذه جائزة ، ولا نقول واقعة ؛ بل نقول جائزة ، والله تعالى أنزل على نبيه ﷺ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:١-٢] فالنبي ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر(١) .

ثالثًا: الركن الرابع من أركان الإيمان : الإيمان بالرسل

أيها الأحبة ، الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا منه حرفا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) ﴾ [النور: ٥٤]، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا ، واتخذ محمد خليلا ، وكلم موسى تكليما ، ورفع إدريس مكانا عليا ، وأن عيسى عبدالله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض درجات ، وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز و جل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، ونفى ما يضاد ذلك أو

ينافي كماله كما تقدم ذلك ، وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا عز و جل ليبلوكم فيما آتاكم ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم : آدم ونوحا وإدريس وهودا وصالحا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطا وشعيبا ويونس وموسى وهارون والياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب وذكر الأسباط جملة - والأسباط هم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الإثنتي عشرة ، من ولد يعقوب - وعيسى ومحمدا وقص علينا من أنبائهم ونبأنا من أخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وموعظة و إجمالا وتفصيلا ثم قال : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [النساء : ١٦٤] ، فنؤمن بجميعهم تفصيلا فيما فصل وإجمالا فيما أجمل ، وأول الرسل عليهم السلام نوح بلا شك قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ [النساء :٦٣] ، وآدم قبله كان نبيا مكلمًا وكان الناس أمة واحدة على دينه كما قال عدد من أهل العلم في قوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة ٢١٣] كما أن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده كما قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الاحزاب ٤٠] ، وهؤلاء الرسل عليهم هداية الدعوة والدلالة والارشاد الى سبيل الهدى كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللهِ ﴾ [الشورى : ٥٢، ٥٣] ، واما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست الا بيد الله عز و جل

ولذا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ

﴿ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، والإيمان برسل الله عز و جل متلازم فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة ٢٨٥:٢٨٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ﴾ [النساء ١٥٠ ، ١٥١] إلى غير ذلك من الآيات ، وأولو العزم من الرسل أي الجزم والجد والصبر وكمال العقل خمسة وهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام جميعًا ، ولم يرسل الله تعالى من رسول الا وهذه الصفات فيه مجتمعة غير ان هؤلاء الخمسة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم (٤٨) .

رابعًا : من ثمرات الإيمان بالرسل (٥١)

أولاً:العلم برحمة الله تعالى بخلقه ، حيث أرسل لهم رسله لهدايتهم وإرشادهم .

ثانيا : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .

ثالثا : محبة الرسل ، وتوقيرهم ، والثناء عليهم بما يليق بهم ، لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده ، قاموا لله بعبادته ، وتبليغ رسالته ، والصبر والنصح لعباده .

خامسًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٧٦) ماذا عن عقيدة المسلمين في عيسى عليه الصلاة والسلام؟الفتوى (١٢٨) .

عقيدة المسلمين في عيسى ابن مريم ، عليه الصلاة والسلام ، أنه أحد الرسل الكرام ، بل أحد الخمسة الذين هو أولو العزم وهم: محمد ﷺ ، وإبراهيم ، ونوح ، وموسى ، وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام ، ذكرهم الله في موضعين من كتابه ، في سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا(٧) ﴾[الأحزاب :٧] ، وفي سورة

الشورى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[الشورى :١٣] ، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام ، بشر من بني آدم مخلوق من أم بلا أب ، وأنه عبد الله ورسوله فهو عبد لا يُعبد ، ورسول لا يكذب ، وأنه ليس له من خصائص الربوبية شيء بل هو كما قال الله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾[الزخرف:٥٩] وأنه لم يأمر قومه بأن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، وإنما قال لهم ما أمره الله به : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾[المائدة : ١١٧] ، وأنه عليه السلام خلق بكلمة الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) ﴾ [آل عمران :٥٩] ، وأنه ليس بينه وبين محمد ﷺ رسول كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(١١٤) ﴾[الصف:٦] ، ولا يتم إيمان أحد حتى يؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله ، وأنه مبرأ ومنزه عما وصفه به اليهود الذين قالوا: "إنه ابن بغي وإنه نشأ من الزنا" والعياذ بالله وقد برأه الله تعالى من ذلك ، كما أن المسلمين يتبرؤون من طريق النصارى الذين ضلوا في فهم الحقيقة بالنسبة لعيسى ابن مريم حيث اتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، وقال بعضهم: إنه ابن الله ، وقال بعضهم: إنه ثالث ثلاثة .

أما فيما يتعلق بقتله وصلبه فالله سبحانه وتعالى قد نفى أن يكون قد قتل أو صلب نفيًا صريحًا قاطعًا فقال عز وجل: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) ﴾ [النساء : ١٥٧-١٥٩] ، فمن اعتقد أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، قتل وصلب فقد كذب القرآن ، ومن كذب القرآن فقد كفر ، فنحن نؤمن بأن عيسى ، عليه الصلاة والسلام لم يقتل

ولم يصلب ، ولكننا نقول : إن اليهود باءوا بإثم القتل والصلب حيث زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وهم لم يقتلوه حقيقة بل قتلوا من شبه لهم ، حيث ألقى الله شبهه على واحد منهم فقتلوه وصلبوه ، وقالوا: إننا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، فاليهود باءوا بإثم القتل والصلب بإقرارهم على أنفسهم ، والمسيح عيسى ابن مريم برأه الله من ذلك وحفظه ورفعه سبحانه وتعالى عنده إلى السماء وسوف ينزل في آخر الزمان إلى الأرض فيحكم بشريعة النبي ﷺ ثم يموت في الأرض ويدفن فيها ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم لقول الله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) ﴾ [طه : ٥٥] .

٧٧) ماذا عن وصف النبي ﷺ بحبيب الله ؟الفتوى (١٢٩) .

النبي ﷺ حبيب الله لا شك فهو حاب لله ومحبوب لله ، ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل لله ، فالرسول ، عليه الصلاة والسلام ، خليل الله كما قال ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» [(١)] ، ولهذا من وصفه بالمحبة فقط فإنه نزله عن مرتبته ، فالخلة أعظم من المحبة وأعلى ، فكل المؤمنين أحباء الله ، ولكن الرسولﷺ في مقام أعلى من ذلك وهي الخلة فقد اتخذه الله خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، لذلك نقول : إن محمدًا ﷺ خليل الله ، وهذا أعلى من قولنا : حبيب الله لأنه متضمن للمحبة ، وزيادة لأنه غاية المحبة .

٧٨) ماذا عن حكم جعل مدح النبي ﷺ تجارة ؟الفتوى (١٣٠)

حكم هذا محرم ، ويجب أن يعلم بأن المديح للنبي ﷺ ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يكون مدحًا فيما يستحقه ﷺ بدون أن يصل إلى درجة الغلو فهذا لا بأس به أي لا بأس أن يمدح رسول الله ﷺ بما هو أهله من الأوصاف الحميدة الكاملة في خلقه وهديه ﷺ .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٣٢ ، من حديث جندب .

والقسم الثاني: من مديح الرسول ﷺ قسم يخرج بالمادح إلى الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ وَقَال النَّبِيَّ ﷺ : «**لَا تُطْرُونِي** – أي لا تبالغوا وتفرطوا في مدحي – **كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ،فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ ، وَرَسُولُهُ** »[(١)] ، فمن مدح النبي ﷺ بأنه غياث المستغيثين ، ومجيب دعوة المضطرين ، وأنه مالك الدنيا والآخرة ، وأنه يعلم الغيب وما شابه ذلك من ألفاظ المديح فإن هذا القسم محرم بل قد يصل إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة ، فلا يجوز أن يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام بما يصل إلى درجة الغلو لنهي النبي ﷺ عن ذلك .

ثم نرجع إلى اتخاذ المديح الجائز حرفة يكتسب بها الإنسان فنقول أيضًا : إن هذا حرام ولا يجوز ؛ لأن مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، بما يستحق وبما هو أهل له ﷺ من مكارم الأخلاق والصفات الحميدة ، والهدي المستقيم مدحه بذلك من العبادة التي يتقرب بها إلى الله ، وما كان عبادة فإنه لا يجوز أن يتخذ وسيلة إلى الدنيا لقول الله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (٥٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٦٠)** ﴾ [هود : ٥٩، ٦٠] .

٧٩) لماذا وجه الله الخطاب إلى الرسول ﷺ في قوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، مع أنه معصوم من الشرك؟ الفتوى (١٣٢) .

الخطاب إما خاص بالرسول ﷺ والحكم له ولغيره ، وإما عام لكل من يصح خطابه ويدخل فيه الرسول ﷺ وكونه يوجه إليه مثل هذا الخطاب لا يقتضي أن يكون ذلك ممكنًا منه قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٦٥)** ﴾ [الزمر :٦٥] ، فالخطاب له ولجميع الرسل ولا يمكن أن يقع ، فلا يمكن أن يقع منه ﷺ باعتبار حاله شركٌ أبدًا ، والحكمة من النهي أن يكون غيره متأسيًا به فإذا كان النهي موجهًا إلى

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٤٤٥ من حديث عمر بن الخطاب .

من لا يمكن أن يقع منه باعتبار حاله فهو إلى من يمكن منه من باب أولى .

٨٠)كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة :٢٥٣] ، وقوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾[البقرة : ١٣٦] ؟الفتوى (١٣٤)

الأنبياء والرسل لا شك أن بعضهم أفضل من بعض فالرسل أفضل من الأنبياء ، وأولو العزم من الرسل أفضل ممن سواهم ، وهم محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، فهؤلاء خمسة وهم أفضل ممن سواهم .

وأما قوله تعالى عن المؤمنين: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة :٢٨٥] ، فالمعنى لا نفرق بينهم في الإيمان بل نؤمن أن كلهم رسل من عند الله حقًّا وأنهم ما كذبوا فهم صادقون مصدقون وهذا معنى قوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ أي في الإيمان بل نؤمن أن كلهم ، عليهم الصلاة والسلام ، رسل من عند الله حقًّا .

لكن في الإيمان المتضمن للاتباع هذا يكون لمن بعد الرسول ﷺ خاص بالرسول ﷺ لأنه ﷺ هو المتبع ؛ لأن شريعته نسخت ما سواها من الشرائع وبهذا نعلم أن الإيمان يكون للجميع كلهم نؤمن بهم وأنهم رسل الله حقاً وأن شريعته التي جاء بها حق ، وأما بعد أن بعث الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فإن جميع الأديان السابقة نسخت بشريعته ﷺ وصار الواجب على جميع الناس أن ينصروا محمدًا ﷺ وحده ، ولقد نسخ الله تعالى بحكمته جميع الإديان سوى دين الرسول ﷺ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨) ﴾[الأعراف : ١٥٨] ، فكانت الأديان سوى دين الإسلام ، منسوخة لكن الإيمان بالرسل وأنهم حق هذا أمر لا بد منه .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس التاسع والعشرون[الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، من أركان الإيمان ، الإيمان بالبعث وباليوم الآخر ، وأن الله قد ضرب موعداً يعلمه هو ولا يعلمه أحد غيره ، علم الساعة عند الله ، وهذا الموعد يبعث الله فيه الأولين والآخرين ، ويحضرهم إلى ميقات يوم معلوم ، ثم ينزل فيهم لفصل القضاء ، ثم تنشأ الدواوين ، ثم يضرب الجسر على متن جهنم ، ثم تقرب الجنان وتزلف ، وتقرب النيران وتُعد ، ثم يفصل بين الناس وينقسمون يوم القيامة إلى فريقين ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧] بحسب الأعمال التي عملوها في الدنيا ، من استقام على دين الله في الدنيا نجاه الله هناك وأدخله الجنة ، ومن ضل هنا أضله الله هناك: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَـى فَهُـوَ فِي الْآخِـرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء:٧٢] ، وحول الإيمان باليوم الآخر سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا: الإيمان باليوم الآخر

أحبتي في الله ، الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام ، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية أن الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه كل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه ومن البعث ومن العرض والحساب والميزان وتطاير الصحف والجنة والنار ، ومن أنكر شيئاً منها فإنه لا يكون مؤمناً باليوم الآخر ا هـ .

قال تعالى : ﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْـكَ وَمَـا أُنـزِلَ مِـن قَبْلِـكَ وَبِـالآخِرَةِ هُـمْ يُوقِنُونَ(٤) ﴾ [البقرة : ٤] .

المعنى : الكلام في سياق سرد صفات المتقين وهم : الذين يُصَدِّقون بما أُنـــزل

إليك أيها الرسول من القرآن ، وبما أنزل إليك من الحكمة ، وهي السنة ، وبكل ما أُنزل مِن قبلك على الرسل من كتب ، كالتوراة والإنجيل وغيرهما ، ويُصَدِّقون بدار الحياة بعد الموت وما فيها من الحساب والجزاء ، تصديقا بقلوبهم يظهر على ألسنتهم وجوارحهم وخص يوم الآخرة ؛ لأن الإيمان به من أعظم البواعث على فعل الطاعات ، واجتناب المحرمات ، ومحاسبة النفس .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

المعنى : يسألك – أيها الرسول- كفار "مكة" عن الساعة متى قيامها؟ قل لهم: عِلْمُ قيامها عند الله لا يظهرها إلا هو ، ثَقُلَ علمها ، وخفي على أهل السموات والأرض ، فلا يعلم وقت قيامها ملَك مقرَّب ولا نبي مرسل ، لا تجيء الساعة إلا فجأة ، يسألك هؤلاء القوم عنها كأنك حريص على العلم بها ، مستقص بالسؤال عنها ، قل لهم: إنما علمها عند الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله .

فاليوم الآخر وما فيه من أمور الغيب التي لا ندخل فيها بعقولنا وأفكارنا ، إنما نعتمد على ما جاء في الكتاب والسنة ، ولا نتدخل في هذه الأمور ، ولا نقول فيها إلا بالدليل .

ثانيًا: أدلة اليوم الآخر لمنكرى البعث

إخوتي في الله : نذكر ما ساقة فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين مجموعة من الأدلة لليوم لمنكري اليوم الآخر والبعث :

أ- أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية ، والشرائع السماوية ، وتلقته أممهم بالقبول ، فكيف تنكرونه ، وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف ، أو صاحب مبدأ أو فكرة ، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر

عن البعث ، لا في وسيلة النقل ، ولا في شهادة الواقع ؟ !!

ب- أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه ، وذلك من وجوه :

١ - كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقا بعد العدم ، وأنه حادث بعد أن لم يكن ، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن ، قادر على إعادته بالأولى ، كما قال الله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) ﴾ [الأنبياء :١٠٤] .

٢ - كل أحد لا ينكر عظمة خلق السماوات والأرض لكبرهما ، وبديع صنعتهما ، فالذي خلقهم قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى ؛ قال الله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾[غافر : ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) ﴾[الأحقاف : ٣٣] .

٣ - كل ذي بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات ، فإذا نزل المطر عليها أخصبت ، وحيي نباتها بعد الموت ، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [فصلت : ٣٩] .

ج - أن أمر البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه ، فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى ، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث ، منها قوله : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً

لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

د- أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت ؛ لتجازى كل نفس بما كسبت ، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثا لا قيمة له ، ولا حكمة منه ، ولم يكن بين الإنسان ، وبين البهائم فرق في هذه الحياة ، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴾ [المؤمنون : ١١٥-١١٦] ، وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٧) ﴾ [التغابن : ٧] ، فإذا بينت هذه البراهين لمنكري البعث ، وأصروا على إنكارهم ، فهم مكابرون معاندون ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾[الشعراء : ٢٢٧] .

ثالثًا : الإيمان بأشراط الساعة

أيها الأحبة في الله ، نحن نؤمن من غير شك بأن هناك أمارات وعلامات لمجيء الساعة وقربها دنوها منها الصغرى ومنها الكبرى ، أشار إليها الله تعالى في كتابه في عدة مواضع منها :قال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) ﴾[محمد : ١٨]

المعنى : ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا الساعة التي وُعدوا بها أن تجيئهم فجأةً ، فقد ظهرت علاماتها ولم ينتفعوا بذلك ، فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة ؟

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا ، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ [١] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري٦٦٠٤ ، ومسلم ٢٨٩١ واللفظ لمسلم .

ولقد ذكر الله تعالى بعض هذه الأمارات ، فذكر أن بعثة رسول الله من أشراط الساعة فقال تعالى : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى (٥٦) أَزِفَتْ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ(٥٨) ﴾ [النجم : ٥٦-٥٨] ، وإنشقاق القمر وهذه من معجزات رسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة ،فقال تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[القمر : ١] ، وذكر الله تعالى من أشراط الساعة الكبرى خروج الدخان قال تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) ﴾[الدخان :١٠] ، ونزول عيسى عليه السلام لقتل الدجال وقال تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً(١٥٩) ﴾ [النساء: ١٥٨-١٥٩] ، وخروج يأجوج ومأجوج في سورة الكهف وماورد عن ذي القرنين قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً(٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً(٩٩) ﴾ [الكهف : ٩٣-٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) ﴾ [الأنبياء : ٩٦-٩٧] . وخروج دابة الأرض قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) ﴾[النمل : ٨٢] .

رابعًا : أشراط الساعة الصغرى (١٦)

أيها الأحبة في الله ، ثبت في السنة الصحيحة العديد من أشـــراط الساعـــة

الصغرى التي تحدث شيئا فشيئا ، كما أخبر النبي ﷺ ، وهذه من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك بعثة النبي ﷺ وموته ، وفتح بيت المقدس ، وطاعون عمواس ، واستفاضة المال وكثرته ، وظهور الفتن ، وظهور مدعي النبوة ، وظهور نار الحجاز ، وقتال الترك والعجم ، وضياع الأمانة ، وقبض العلم وظهور الجهل ، وانتشار الزنا والربا ، وظهور المعازف وشرب الخمر ، والتطاول في البنيان ، وكثرة القتل ، وتقارب الزمان ، وتقارب الأسواق ، وظهور الفحش وقطيعة الرحم وكثرة الشح ، وكثرة الزلازل ، وأن تكون التحية للمعرفة ، وظهور الكاسيات العاريات ، وكثرة الكذب ، وعدم التثبت في نقل الأخبار ، وكلام الجماد والسباع للإنس .إلخ ، نذكرها تباعًا إن شاء الله تعالى .

١- موت رسول الله وفتح بيت المقدس وإنتشار الوباء وإستفاضة المال ، فَعَنْ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ : مَوْتِي ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** – وهذا الشرط قد حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هـ ، علي يد أبي عبيدة بن الجراح – ، **ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ** – هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر ، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس ، وكان ذلك عام ١٨هـ وبلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين – ، **ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا**» [(١)] .

٢- ظهور مدعو النبوة فلقد ثبت في السُّنَّةِ ظهور ثلاثين مدعي للنبوة كلهم يزعم أنه رسول الله ، وظهر من هؤلاء الثلاثين مُسيلِمَة الكذاب ، والأسود العَنْسي في اليمن وقتله الصحابة ، وظهرت سِجَاح ، فادَّعت النبوة ، ثم رَجعت إلى الإسلام ، وظهر طُليحة ابن خويلد الأسدي ، ثم رجع إلى الإسلام ، ثم ظهر المُختار ، ومنهم الحارث الكذَّاب ، ظهر في خلافة عبد الملك بن مروان ، وخرج في

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣١٧٦ .

خلافة بني العباس جماعة ، وظهر في العصر الحديث ميرزا أحمد القادياني بالهند ، ولا يزال يظهر هؤلاء الكذابون حتى يظهر آخرهم الأعور الدجال ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»[1] .

٣- تكون البنت سيدة لأمها ، وإرتفاع بنيان رعاة الغنم ، وهذا قد ورد في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب حين سأل جبريل رسول الله وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : « **يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» [2] .

وقال ابن حجر في «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**» معناه: اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك ، فإذا ملك الرجل الجارية ، واستولدها ؛ كان الولد منها بمنزلة رَبِّهَا ، وهذا القول قول أكثر أهل العلم ، وقيل: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد لأمته ، من الإهانة والسب ، وقال ابن حجر: وهذا أوجه الأوجه عندي ، وجاء في رواية للإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ : **وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ** ؟ قَالَ : «**الْعَرَبُ**» وقال الحافظ ابن حجر: ومعنى التطاول في البنيان: أن كُلاًّ ممن كان يبني بيتًا يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر ، ويحتمل أن يكون المراد المباهاة به في الزينة والزخرفة ، أو أعم من ذلك ، وقد وُجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد .

٤- مقتلة عظيمة بين فئتين من المسلمين ، فالفئتان هما طائفة علي ﷺ ومن معه ، وطائفة معاوية ﷺ ومن معه ، على ما ذكر الحافظ ابن حجر ، وقد وقعت

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٦٠٩ و مسلم ١٥٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٠ ، ومسلم ٨ واللفظ لمسلم .

حرب صِفِّين سنة ست وثلاثين من الهجرة ، وقتل فيها أكثر من سبعين ألفا من المسلمين ، وقد خرج الأمر من يد عليّ ومعاوية لتحكم أهل الأهواء في الجيشين ، يُحرِّضون على القتال ، وقد قال ابن تيمية رحمه الله: وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون عليًا ولا معاوية ، وكان عليٌّ ومعاوية أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غُلِبَا فيما وقع ، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله**» (١) .

٥- ظهور الفتن ، وقد حدث كثير من الفتن في عهد الصحابة ﷺ وما زالت تحدث حتى الآن ، وأعظم الفتن جاءت من الشرق ، ومنها: مقتل عثمان ﷺ ، وموقعة الجمل وصفين ، وظهور الخوارج ، وموقعة الحرة ، وفتنة القول بخلق القرآن ، ومازلت الفتن تحدث بل وتفاقمت في عصرنا الحالى ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** » (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ**- أي : يا ليتني أكون ميتًا مثله لكثرة الفتن والخوف من ذهاب الدين لغلبة أهل الباطل وظهور المعاصي والمنكرات-» (٣) .

٦- قبض العلم وكثرة الزلازل وتقارب الزمان وكثرة الفتن وكثرة الهرج أي القتل بدون سبب وكثرة المال ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٣٦٠٩ ، ومسلم ١٥٧ واللفظ للبخاري .
(٢) **(صحيح)** أخرجه مسلم ١١٨ .
(٣) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٧١١٥ ، ومسلم ١٥٧ .

الْهَرْجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ» [1] .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ الْهَرْجَ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»، قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ إِنَّا لَنَقْتُلُ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمْ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا»، قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنْ النَّاسِ يَحْسَبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ» [2] .

خامسًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٨١) ماذا عن حكم من أنكر حياة الآخرة ، وزعم أنها خرافات ؟ الفتوى (١٥٠)

من أنكر حياة الآخرة ، وزعم أن ذلك من خرافات القرون الوسطى فهو كافر ، لقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(٣٠) ﴾ [الأنعام : ٢٩،٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ(١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ(١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ(١٧) ﴾ [المطففين : ١٠-١٧] ، وقال تعالى : { بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) ﴾ [الفرقان : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) ﴾ [العنكبوت : ٢٣] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٠٣٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٧١٧ وصححه الألباني في ص . ج ٢٠٤٧ .

الدرس الثلاثون[من أشراط الساعة الصغرى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، لقد أخبرنا رسول الله ﷺ ببعض العلامات التي تدل على قرب الساعة لكي يستعد المسلم لذلك اليوم ، والأشراط الصغرى تنقسم إلى قسمين: أشراطٌ مضت وانقضت ، وأشراط نحن الآن فيها ، وأشراط ننتظرها ، ولقد كان السلف رحمهم الله تعالى يعلمون أطفالهم ويربونهم على تعليمهم لأشراط الساعة ؛ لأن أشراط الساعة تحث الناس إلى ما بعد أشراط الساعة ، ولهذا فإن من الواجب أن توقن أن الأسرة يجب أن تربى على الإيمان باليوم الآخر ، وحول أشراط الساعة الصغرى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : من أشراط الساعة الصغرى (١٦)

أحبتي في الله ، ما زال الحديث عن أشراط الساعة الصغرى متصلًا ، ذكرنا في اللقاء السابق ستًا من هذه الأشراط واليوم إن شاء الله نكمل هذه الأشراط :

٧- ظهور نار بالحجاز هذه النار ليست هي النار التي تحشر الناس إلى محشرهم ، والتي هي من الأشراط الكبرى ، وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام ٦٥٤ هـ ، وكانت ناراً عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم بوصفها ، قال النووي: "خرجت في زماننا نارًا في المدينة سنة أربع وخمسين وست مائة ، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة ، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة"، أفاض العلماء في وصفها ، ونقل ابن كثير أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز ، وذكر القرطبي في التذكرة أن هذه النار رئيت من مكة ومن جبال بصرى ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ**

مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى» [1] .

٨- قتال التتار ، ولقد قدم هؤلاء الترك – أي التتار – في القرن السادس الهجري لبلاد المسلمين فكان خراب بغداد وقتل الخليفة المعتصم ، يقول النووي رحمه الله: قد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبيﷺ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ ، صِغَارَ الأَعْيُنِ ، حُمْرَ الْوُجُوهِ ، ذُلْفَ الأُنُوفِ** – أي في أنوفهم فطس وقصر- **كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ** – أي: المقصود عرض وجوهم وبروز وجناتهم – ، **وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ** » [2] .

٩- ضياع الأمانة ، ومن مظاهر تضييع الأمانة ؛ إسناد أمور الناس من إمارة وخلافة وقضاء ووظائف إلى غير أهلها القادرين على تسييرها ، وأيضا عدم رد الأمانات إلى أصحابها ، فقليل ممن يقترضون قرضًا حسنًا لا يرد ما عليه من دين ، حتى عند توفر المال لديه ، نسأل الله تعالى العفو والعافية ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**» [3] .

١٠- ضياع العلم ، وكثرة الجهل ، وشرب الخمر وظهور الزنا ، وليس المقصود بالعلم هو علم الدنيا ، ولكن علم الآخرة ، فبالرغم من أن كثيراً من الناس عندهم علم كثير من علوم الدنيا كالهندسة والطب والزراعة والتجارة . . إلخ ولكنهم لا يعلمون شيئا عن التوحيد ، ولا عن أركان الإسلام ، ولا عن فقه العبادات ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : أَنْ يُرْفَعَ**

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧١١٨ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩٢٨ ، مسلم ٢٩١٢ واللفظ للبخاري .
(٣) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٤٠٣٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٥٠ .

الْعِلْمُ – أي يفقد لموت حملته– ، **وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا»** [(١)] .

١١– إمارة السفهاء ، وكثرة الشرط أي الشرطة الذين يظلمون الناس ، وكثرة الرشوة ، وضياع حق المقتول ، وقطيعة الرحم ، وظهور الذين يتجرون في قراءة القرآن ، وجماع الرجال النساء بحضرة الرجال كما يفعل الحمر ، فَعَنْ عَابِسٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: إِمَارَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ** – أي: الشرطة – ، **وَبَيْعَ الْحُكْمِ** – أي: بالرشوة – ، **واسْتِخْفَافٌ بِالدَّمِ** – أي: ضياع حق المقتول – ، **وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَنَشْوٌ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ أَحَدُهُمْ لِيُغَنِّيَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَقَلُّهُمْ فِقْهًا»** [(٢)] .

وَعَنْ اِبْنِ عَمْرو ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَتَسَافَدُوا فِي الطُّرُقِ تَسَافُدَ الْحُمِيرِ** – أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك – » [(٣)] .

١٢– انتشار الربا ، ويستحل كثير من الناس الربا بأنه كالبيع والشراء كما قالت بنو إسرائيل ، وكذا يستحل كثير من الناس الخمر ويسمونها بغير مسمياتها كالمشروبات الروحية ، وتظهر المعازف ، ولقد استحلت المعازف وعلا شأنها ، وارتفعت قيمتها ، حتى أصبح المغنون والمغنيات – عند كثير من الناس – أعظم شأناً ، وأرفع قدراً من الدعاة والمصلحين ، وهذه الأمور تكون سببًا في خسف الأرض بمن عليها من العصاة وقذف من السماء ومسخ للعصاة ، ليكونوا قردة وخنازير ، فينبغي ألا يفرح العصاة بانفتاح الدنيا عليهم ، فإنما ذلك استدراج ، فانفتاح أبواب الخير مع كثرة المعاصي هو استدراج بعده الدمار والخراب . فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ : يَظْهَرُ الرِّبَا ، وَالزِّنَا ، وَالْخَمْرُ»**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٨٠ و مسلم ٢٦٧١ .
(٢) **(صحيح)** أخرجه الطبراني ٦٠ في المعجم الكبير وصححه الألباني في ص . ج ٢٨١٢ .
(٣) **(صحيح)** البزار في مسنده٢٣٥٣ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٨١ .

[(١)] . وهذا الحديث ينطبق على كثير من المسلمين في هذا الزمن .

١٣- زخرفة المساجد والتباهي بها ، وقال البخاري في المعلقات قال أنس: يتباهون بها ، ثم لايعمرونها إلا قليلا ، فالتباهي بها: العناية بزخرفتها ، قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى ، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ**» [(٢)] .

١٤- كثرة الزلازل ، أي اهتزاز الأرض بعنف فيتهدم ما عليها ، وخسف أي غوص ما على سطح الأرض لباطن الأرض ، ومسخ وهي تغير خلقة الناس ليكونوا قردًا أو خنازير أو غير ذلك ، وقذف بالحجارة من السماء إلى الأرض ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةُ : خَسْفٌ ، وَمَسْخٌ ، وقَذْفُ**»قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلَكُ وفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قال: «**نَعَم إِذَا ظَهَرَ الخَبَثُ**» [(٣)] .

١٥- ظهور الفحش والتفحش وقطيعة الرحم ، ولقد كثرت الآن الكلمات القبيحة الدنيئة - سامحوني - إن قلت في كثير من البيوت ، وفي وسائل الإعلام: في المسلسلات والفضائيات ، بل خُصِّصت قنوات كاملة لتصوير الفاحشة ، وخصصت مجلات لهذا الغرض ، فَعَنْ أَنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ : « **مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : الْفُحْشُ ، وَالتَّفَحُّشُ ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ ، وَتَخْوِينُ الأمينِ ، وائتِمَانُ الخائنِ**» [(٤)] .

١٦- لم تكد رؤيا المسلم تكذب ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ** » [(٥)] .

١٧- أن يسلم المسلم على من يعرفه فقط ، وتكثر التجارة حتى تعين المرأة زوجها في التجارة ، وتقطع الأرحام لانشغال الناس بدنياهم عن دينهم ، وتكثر

---

(١) (صحيح لغيره) أخرجه الطبراني في الأوسط ٧٦٩٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٨٦١
(٢) (صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٦١٤وصححه الألباني في ص . ج ٧٤٢١ .
(٣) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢١٨٥ وصححه الألباني في ص . ج ٨١٥٦ .
(٤) (صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١٣٥٦ وصححه الألباني في ص . ج ٥٨٩٤ .
(٥) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٢٦٣ .

شهادة الزور حتى أن الشاهد يبيع دينه بعرض قليل من الدنيا ، وشهادة الزور هي الكذب مُتعمدًا في الشهادة ، فكما أن شهادة الزور سبب لإبطال الحق ، فكذلك كتمان الشهادة سبب لإبطال الحق ، وتنتشر الكتابة والكتب لا سيما بعد انتشار آلات الطباعة الحديثة فعلم الدنيا في ازدياد وعلم الآخرة في نقصان ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ** - أي لا يلقى السلام إلا للمعارف فقط -، **وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ ، وَقَطْعَ الأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ**» [(١)] .

١٨- كثرة الدجالين الكذابين الذين يحدثون الناس بما لم يسمعوا ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « **سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي ، أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**» [(٢)] .

١٩- انتفاخ الأهلة وهو أن يرى الهلال لليلة فيقال لليلتين وكثرة موت الفجأة ، وأن تتخذ المساجد طرقا للسير ، وظهور موت الفجأة فيموت الرجل بدون سبب فجأة ، فَعَنْ أَنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعةِ : أَنْ يُرى الهِلاَلُ قبلا فَيُقَالُ: لِلَيلتينِ، وأَنَّ تُتَّخَذَ المَسَاجِدَ طُرُقاً ، وأَنْ يَظْهَرُ مَوتُ الفَجْأَةِ**» [(٣)] ، حيث كثر الموت الفجاءة بين الأصحاء والشباب بدون مقدمات .

٢٠- عودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا ، وَأَنْهَارًا**» [(٤)] .

٢١- كثرة المطر وقلة الإنبات ، فَعَنْ أَنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا ، وَلاَ تَنْبُتَ الأَرْضُ شَيْئًا**» [(٥)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ٣٨٧٠ وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ٦٤٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٦ .
(٣) (حسن) أخرجه الطبراني في الأوسط ٩٣٧٦ وحسنه الألباني في ص . ج ٥٨٩٩ .
(٤) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥٧ .
(٥) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١٢٤٢٩ وصححه الألباني في س . ص ٢٧٧٣ .

٢٢- حسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه الناس مقتلة عظيمة فينجو من ألف واحد كل واحد يقول لعلي أنجو وأفوز بهذا الذهب ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ : لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو**» [(١)] .

٢٣- كلام السباع والجمادات للإنس ، وهذا قد حدث في عهد رسول الله ﷺ . ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً ، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتزعَهَا مِنْهُ ، قَالَ: فَصَعَدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ ، فَقَالَ: عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللهُ عز وجل انْتزَعْتَهُ مِنِّي ، فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبًا يَتَكَلَّمُ! قَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلاَتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ! وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ وَخَبَّرَهُ فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ . «**إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلاَ يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلاَهُ وَسَوْطُهُ ، مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ**» [(٢)] .

٢٤- خروج رجل من قحطان يسمى القحطاني يسوق الناس بعصاه لطاعة الناس له ، والراجح أنه رجل صالح ، وهذا ما أشار إليه القرطبي ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**» [(٣)] .

٢٥- ارتفاع الأسافل وذهاب الصالحين ، فذهاب الصالحين يكون عند كثرة المعاصي ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وارتفاع أسافل الناس عن خيارهم ، واستئثارهم بالأمور دونهم ، فيكون أمر الناس بيد سفهائهم وأراذلهم ،

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٩٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ٨٠٦٣ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٥٩٢٧ .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٧١١٧ و مسلم ٢٩١٠

ومن لا خير فيهم ، وهذا أمر مُشاهد في هذا الزمن ، فترى أن كثيرا من رؤوس الناس وأهل العقد والحَل هم أقل الناس صلاحًا وعلمًا ، فَعَنْ مِرْدَاس الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ** – أي: رديء – **الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ لاَ يُبَالِيهِمْ اللهُ بَالَةً**» [(١)] .

٢٦- التفريط في السُّنَّةِ ومتابعة الروم والفرس والشرك بالله عز وجل ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم ، شِبْرًا بِشِبرٍ ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُم دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍ لَدَخلتُم ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُم جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطريقِ لَفَعَلْتُمُوه**» [(٢)] .

٢٧- ظهور المهدي وقتال الروم واليهود : قال الشيخ سيد سابق رحمه الله ما مختصره عن المهدي المنتظر أنه سيظهر في آخر الزمان ، وأن اسمه محمد بن عبد الله ، أو أحمد بن عبد الله ، وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها ، وأنه يملأ الأرض قِسطًا وعدلاً كما مُلِئت ظُلمًا ، ويُقيم شريعة الإسلام ، ويُحيي ما اندثر من سنة رسول الله ، يصلحه الله تعالى في ليلة ، ويملك سبع سنين ، وقال السفاريني رحمه الله : إنه ليس كما زعم الشيعة أن اسمه محمد بن الحسن العسكري .

وجاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي وهذه الاحاديث منها ماجاء فيه بالنص على المهدي ومنها ماجاء فيه ذكر صفته فقط وسأذكر بعض الأحاديث وهي كافية في اثبات ظهوره آخر الزمان .

١- فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ** » [(٣)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤٣٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٤٠٤ وصححه الألباني في ص . ج ٥٠٦٧ .
(٣) (صحيح) أخرجه (خ)٣٤٤٩ ، ومسلم ١٥٥ .

٢- وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ » [(١)] .

٣- وَعَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ المهدي: تَعَالَ صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُم أمير بعض تَكْرِمَةَ الله لِهَذِهِ الْأُمَّةَ » [(٢)] .

٤- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يخرج من أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطى المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعًا أو ثمانيًا** (يعني حججًا) » [(٣)] .

٥- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**» [(٤)] .

٦- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ** - أي: الخفيف الشعر مابين النزعتين من الصدغين -، **أَقْنَى الْأَنْفِ**- أي: محدب الأنف- ، **يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ** » [(٥)]

٧- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ** » [(٦)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه بن القيم في المنار المنيف عن الحارث ابن أبي أسامة في مسنده ٣٣٨ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٢٢٣٦ .

(٣) (صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٦٧٣ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٧١١ .

(٤) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٢٣٠ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٥٤٥٢ .

(٥) (حسن) أخرجه أبو داود ٤٢٨٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع٦٧٣٦ .

(٦) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٢٨٤ وحسنه الألباني في صحيح الجامع٦٧٣٤ .

٨- عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ» (١) .

ويحدث قتال مع الروم واليهود ، فَعَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى – أي: ليس شيء يشغله الا ذلك فقال – أَلا يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتْ السَّاعَةُ؟ قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ: « إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى : لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ، قُلْتُ الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ لاَ يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلاَ يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ» (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ

---

(١) (حسن) أخرجه ابن ماجه ٤٠٨٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع٦٧٣٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٩٩ .

الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» [(١)] .

ثانيًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٨٢) ماذا عن أحاديث خروج المهدي ، هل هي صحيحة أو لا ؟ الفتوى (١٣٨) .

أحاديث المهدي تنقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : أحاديث مكذوبة ، **القسم الثاني** : أحاديث ضعيفة ، **القسم الثالث**: أحاديث حسنة ، لكنها بمجموعها تصل إلى درجة الصحة ، على أنها صحيح لغيره ،**القسم الرابع** : صحيح لذاته .

ولكنه ليس المهدي المزعوم ، الذي يقال : إنه في سرداب في العراق ، فإن هذا لا أصل له ، وهو خرافة ، ولا حقيقة له .

ولكن المهدي الذي جاءت الأحاديث بإثباته رجل كغيره من بني آدم ، يخلق ويولد في وقته ، ويخرج إلى الناس في وقته ، فهذه هي قصة المهدي .

فإثبات المهدي المنتظر على إنه في السرداب هذا خطأ ؛ لأن اعتقاد هذا المهدي المختفي خبل في العقل ، وضلال في الشرع ، وليس له أصل .

وإثبات المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ وتكاثرت فيه الأحاديث ، والذي سيولد في وقته ، ويخرج في وقته ، فهذا حق .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩٢٦ ، ومسلم ٢٩٢٢ واللفظ لمسلم .

الدرس الحادي والثلاثون[أشراط الساعة الكبرى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، لقد كان السلف رحمهم الله تعالى يعلمون أطفالهم أشراط الساعة الكبرى ، فهلا جلست مع أولادك وقصصت عليهم ما أخبر عنه النبي ﷺ مما سيأتي في آخر الزمان من أشراط الساعة الكبرى ، قص عليهم قصة الدجال ، وقصة نزول عيسى بن مريم ، وقصة الدابة ، وقصة يأجوج ومأجوج ، قص عليهم ما بعد ذلك من القيامة والحساب والجزاء ، ذكرهم بالله ، فإذا استيقظت الأسرة وتيقظت في هذا المعنى العظيم تحولت موازينها ، وانقلبت من موازين مادية جاهلية إلى موازين أسمى يرجون فيها ما عند الله سبحانه وتعالى ، وحول أشراط الساعة الكبرى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولا : من أشراط الساعة الكبرى (١٦)

أحبتي في الله ، نحن نؤمن بأن هناك أمارات كبرى للساعة وقد أشار القرآن على دنوها وقربها فقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨) ﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

وجاءت أمارات الساعة الكبرى مفصلة في السنة المطهرة ، فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ» [(١)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٠١ .

ولقد ذكر رسول الله ﷺ هذه العلامات بغير هذا الترتيب في روايات صحيحة ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعْ السِّلْكُ، يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا**» [(١)] .

أولًا : خروج الدجال وفساده بالأرض : عرفنا في الدرس السابق في آخر الأشراط الصغرى أنه عقب إنتصار المسلمين على الروم يخرج الدجال ، فيأتي القوم ويدعوهم للإيمان بأنه ربهم ، فمن استجاب له أمر له السماء أن تمطر والأرض أن تنبت ، ومن رد عليه قوله ولم يؤمن به يصبحون ليس بأيديهم شيء ، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ** – أي: المقصود عرض وجوهم وبروز وجناتهم –» [(٢)] . ومن علامات خروج الدجال كثرة الفتن ، وقلة العرب ، وأن نخل بيسان لا يثمر ، وبحيرة طبرية يجف مائها ، وعين زغر تجف ، فَعَنْ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ « **حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ ، فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لاَ نِفَاقَ فِيهِ ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لاَ إِيمَانَ فِيهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ** » [(٣)] .

وَعَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ**» [(٤)] . ويتبع الدجال سبعون ألفًا من يهود أصبهان عليهم ثياب سوداء ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ** – أي: ثياب في لونها غبرة تميل إلى السواد –» [(٥)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد ٧٠٤٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٧٥٥ .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٢٣٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٠٧ . .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٢٤٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤١٩٤ .
(٤) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٠٠ .
(٥) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٤٤ .

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ – أي: محاجه ومدافعه ومبطل أمره من غير افتقار إلى معين – ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ – أي: شديد جعودة الشعر – ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا – أي: اثبتو اعلى الإسلام يحذرهم من الفتنة –» ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ – أي: ترجع آخر النهار – سَارِحَتُهُمْ – أي: ماشيتهم – أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا – أي: أطوله من كثرة اللبن – وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ – أي: جمع خاصرة وهي تحت الجنب لكثرة امتلائها من الشبع – ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ – أي: مجدبين – لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ – أي: الأرض الخربة – فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ – أي: كذكور النحل عندما تتبع ملكة النحل – ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ..» (١) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلاَّ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٣٧ .

الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[(١)] .

ثانيًا : نزول عيسى عليه السلام متبعًا شريعة الإسلام ويقتل الدجال: فَعَنْ جَابِرَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقُولُ : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ – أي المهدي – : تَعَالَ صَلِّ لَنَا ، فَيَقُولُ : لَا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ »[(٢)] .

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنَ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَبْعَثُ اللهُ ﷻ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ – أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران- ، وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، فَيَتْبَعُهُ فَيُدْرِكُهُ فَيَقْتُلُهُ عِنْدَ بَابِ لُدِّ الشَّرْقِيِّ» [(٣)] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ، حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ – أي: يرفع حكمها ويلغيها – ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» [(٤)] .

ثالثًا : خروج يأجوج ومأجوج : وهم من ذرية آدم ، فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنَ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: « . .ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ اللهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ – أي: ضم – عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ! وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمْ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٨٨١ و مسلم ٢٩٤٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥٦ .

(٣) (صحيح) أخرجه (حم م ت) وصححه الألباني في ص . ج ٤١٦٦ .

(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٣٤٤و مسلم ١٥٥ واللفظ للبخاري .

الْيَوْمَ! فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ- أي: إلى الله - ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ - أي: دود يكون في أنوف الإبل - فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى - أي: قتلى - كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ - أي: الإبل - فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ»[(١)]

وبعد هلاك يأجوج ومأجوج تخرج الأرض بركتها فتأكل العصابة من الناس من الرمانة ويستظلون بقشرها ، فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ - أي : كالمرآة - ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ - أي: الجماعة - مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا - أي: بقشرها - وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ - أي: اللبن - حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الإِبِلِ - أي: الناقة التي تدر اللبن - لَتَكْفِي الْفِئَامَ - أي: الجماعة الكثيرة - مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ - أي: البقرة التي تدر اللبن - لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ - أي: الشاة التي تدر اللبن - لَتَكْفِي الْفَخِذَ - أي:الجماعة من الأقارب دون البطن والبطن دون القبيلة - مِنْ النَّاسِ»[(٢)]

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ ، وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ » ، تَابَعَهُ أَبَانُ وَعِمْرَانُ عَنْ قَتَادَةَ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ »[(٣)] .

رابعًا : خروج الشمس من مغربها :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ ،

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٣٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٣٧ .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ١٥٩٣ .

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى ، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا » [1] .

قَالَ اِبْن كَثِير : الْمُرَاد فِي الْحَدِيث بَيَان أَوَّل الْآيَات الْغَيْر الْمَأْلُوفَة . . فَأَمَّا خُرُوج الدَّابَّة عَلَى شَكْل غَرِيب غَيْر مَأْلُوف ، وَمُخَاطَبَتهَا النَّاس وَوَسْمهَا إِيَّاهُمْ بِالْإِيمَان وَالْكُفْر فَأَمْر خَارِج مِنْ مَجَارِي الْعَادَات ، وَذَلِكَ أَوَّل الْآيَات الْأَرْضِيَّة كَمَا أَنَّ طُلُوع الشَّمْس مِنْ مَغْرِبهَا عَلَى خِلَاف عَادَتهَا الْمَأْلُوفَة أَوَّل الْآيَات السَّمَاوِيَّة .

وَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ:** ﴿ **لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً** ﴾ [الأنعام: ١٥٨] » [2] .

خامسًا : خروج الدابة : قال الشيخ سعيد بن مسفر :خروج الدابة آية من آيات الله تخرج في آخر الزمان ؛ حين يكثر الشر ويعم الفساد ، ويكون الخير قليلاً في ذلك الزمان ، وهذه الدابة ذكرها الله عز وجل في القرآن ، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)** ﴾ [النمل: ٨٢] .

وهذه الدابة هي مغايرة لما تعارف عليه الناس وعرفوه من دواب الأرض ؛ لأنها تخاطب الناس وتكلمهم ، ومعها ختم ، تختم في جبين المؤمن يا مؤمن ، وتختم في جبين الكافر يا كافر ، حتى يتبايع الرجلان في السوق بكم يا كافر؟ قال : ذاك بخمسين يا مؤمن ، ما عاد محمد ولا علي ولا زيد ؛ إلا كافر ومؤمن فقط ، ثم إنها مكتوبة في جبينه لا يستطيع أحد أن يمسحها ، أو يجري عملية ليزيلها ، مختومة في جبينه إلى أن يدخل النار ، وذاك مؤمن إلى أن يدخل الجنة بإذن الله عز وجل .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٤١ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٦٣٥ ، ومسلم ١٥٧ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَعْمُرُونَ – أي يعني يعش الناس وعليهم هذه العلامة– فِيكُمْ، حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ – أي: الذي فيه العلامة كافر أو مؤمن –» [1] .

قال المفسرون تخرج من صدعٍ تحت الصفا من جبل في مكة ، وهو غار تخرج منه فتحشر الناس وتسوقهم وتتركهم لا يفوتها هارب ، ولا يدركها طالب ، فتأتي بــه وتضع في جبينه ذلك الأمر ، ونعوذ بالله من أن يكتب في جبين أحدنا كافر .

سادسًا : الدخان

قال تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ(١٠) ﴾ [الدخان : ١٠] .

قال فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى : أما آية الدخان : فإن آية الدخان اختلف العلماء فيها هل هي آيةٌ مضت ؟ أو هي آيةٌ مقبلة ؟

١ – فمنهم من قال : إنها آيةٌ مضت ، وأن المراد بذلك ما أصاب قريشاً من الجدب والقحط حتى أُصيبوا بالجَهْدِ العظيم وكان الإنسان منهم ينظر إلى السماء فيظن أنها دخان من شدة تأثير الجوع عليهم .

٢ – ومنهم من قال : بل هو أمرٌ مستقبل ، وهو أن الله سبحانه وتعالى يبعث عند قيام الساعة دخاناً عظيماً يملأ الأجواء ويغشى الناس كلهم ، وهذا هو الأقرب : أنه دخانٌ يرسله الله عز وجل عند قيام الساعة فيغشى الناس كلهم والله أعلم بكيفية هذا الدخان إنما نعرف أنه دخان لكن كيف يأتي الناس وكيف يأتي ، هذا أمره إلى الله عز وجل والمقصود من هذه الأشراط إنذار الناس بقرب قيام الساعة حتى يستعدوا لها ويعملوا لها أ . هـ

الريح الطيبة التي تقبض المؤمنين : وبعد ذلك تظهر ريحٍ طيبة تقبض

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٣٠٨ وصححه الألباني في ص . ج ٢٩٢٧ .

المؤمنين ويبقى شرار الناس ، فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : . . . . – بعد فناء يأجوج ومأجوج ، وتطهير الأرض من نتنهم ، وإخراج بركة الأرض «**فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ** ، – أي: يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك – **فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»[1] .

تخريب الكعبة : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ** – أي رجل له ساقان ضعيفتان – **مِنْ الْحَبَشَةِ** »[2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ** » ، تَابَعَهُ أَبَانُ وَعِمْرَانُ عَنْ قَتَادَةَ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ** »[3] .

قال ابن حجر في فتح الباري : ويمكن الجمع بين هذين الحديثين أن الحبشة إذا خربت البيت خرج عليهم القحطاني فأهلكهم ، وأن المؤمنين قبل ذلك يحجون في زمن عيسى بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم ، وأن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين تبدأ بمن بقي بعد عيسى ويتأخر أهل اليمن بعدها ويمكن أن يكون هذا مما يفسر به قوله الإيمان يمان .

سابعًا ، وثامنًا ، وتاسعًا : ثلاثة خسوف : قال الشيخ محمد صالح المنجد :

ثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بـ جزيرة العرب وهذه الخسوف الثلاثة خسوف عظيمة أكثر مما يقع ويعاين ويشاهد من جهة المكان ومن جهة القدر ، يكون خسف على نطاق واسع ، وإلا فقد حدثت خسوف

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٣٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ١٥٩١ و مسلم ٢٩٠٩ .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري١٥٩٣ .

وانهيارات أرضية وزلازل، ولكن ليست كهذه الثلاثة التي ستكون أعظم وأكبر وأفظع في القدر والنتائج ا هـ .

عاشرًا : خروج النار التى تخرج من اليمن وتحشر الناس إلى محشرهم :

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﵁ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَتَحَدَّثُ فِي ظِلِّ غُرْفَةٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنَا السَّاعَةَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ** - أي: من قعر عدن ، والعدن هي المدينة المعروفة باليمن- **تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** - أي: قِيلَ: الْمُرَادُ مِنَ الْمَحْشَرِ أَرْضُ الشَّامِ ، إِذْ صَحَّ فِي الْخَبَرِ: إِنَّ الْحَشْرَ يَكُونُ فِي أَرْضِ الشَّامِ -» [1] .

ثانيًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٨٣) من هم يأجوج ومأجوج ؟الفتوى (١٣٩) .

يأجوج ومأجوج أمتان من بني آدم موجودتان ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، ﴿ **وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ (٢)** ﴾[الحج:٢] ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ ؟ قَالَ : أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا [2] ، وخروجهم الذي هو من أشراط الساعة وجدت بوادره في عهد النبي ﷺ ، فَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﵂ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيْلٌ**

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٠١ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٣٤٨ ، ومسلم ٢٢٢ ، واللفظ للبخاري

لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ؛ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا ، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ الله أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ » قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ» [(١)] .

٨٤) مَنْ الدجال ؟ ولماذا حذر الأنبياء أقوامهم منه ؟الفتوى (١٤٠) .

أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة هي فتنة الدجال ، كما قال النبي ﷺ ، ولهذا ما من نبي من إلا أنذر قومه به تنويهًا بشأنه ، وتعظيمًا له ، وتحذيرا منه ، وإلا فإن الله يعلم أنه لن يخرج إلا في آخر الزمان ، ولكن أمر الرسل أن ينذروا قومهم إياه من أجل أن تتبين عظمته وفداحته .

وقد صح ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام وقال : **إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ** - أي: أكفيكم إياه - ، **وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** - أي: نعم الخليفة ربنا- . .» [(٢)] .

٨٥) ماذا عن دعوة الدجال وما يدعو إليه ؟الفتوى (١٤٣) .

ذكر أنه أول ما يخرج يدعو إلى الإسلام ، ويقول : إنه مسلم ، وينافح عن الإسلام ، ثم بعد ذلك يدعي النبوة ، وأنه نبي ، ثم بعد ذلك يدعي أنه إله ، فهذه دعوته نهايتها بداية فرعون ، وهي ادعاء الربوبية .

٨٦) هل الدجال من بني آدم ؟ الفتوى(١٤٦) .

الذي يظهر : أن الدجال من بني آدم ، وأنه يحتاج إلى الأكل والشرب ، وغير ذلك ، ولهذا يقتله عيسى قتلًا عاديًا كما يقتل البشر .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١)(صحيح) أخرجه البخاري ٣٣٤٦ و مسلم ٢٨٨٠واللفظ للبخاري .

(٢)(صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٣٧ .

الدرس الثاني والثلاثون[خروج الروح وعذاب القبر ونعيمه]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، فبعد خروج الروح من الجسد ، تعود الروح إلى البدن مرة أخرى ، ليقع العذاب أو النعيم على هذه الروح في القبر ، كما دلت الأحاديث والنصوص على ذلك ، فكل من مات وهو يستحق عذاباً ناله نصيبه من العذاب ، وكل من مات وهو يستحق نعيماً ناله نصيبه من النعيم قُبِر أو لم يُقْبَر ، سواء أكلته السباع أو أُحرق حرقاً بالنار ، وذر رماداً في يومٍ عاصفٍ عند البحر . . . ، لجمعه الله وأوقع العذاب أو النعيم على روحه وبدنه ، وذلك في القبر ويسمى هذا بعالم البرزخ ، ولا يعرف حقيقته إلا الله جل وعلا ، ولكن يجب علينا الإيمان بما جاء فيه في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وحول خروج الروح وعذاب القبر ونعيمه سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الإيمان بالموت

أحبتي في الله ، الإيمان بالموت يتناول أموراً :

١- منها أن الله كتب والفناء على من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] .

٢- ومنها أن كلاً له أجل محدود لا يتجاوزه ولا يقصر عنه ، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته ، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه ، ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه يأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة ، وأن كل إنسان مات أو قتل أو حرق أو غرق أو بأي حتف هلك بأجله ، لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفة عين ، وأن ذلك السبب الذي كان فيه حتفه هو الذي قدره الله تعالى

عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه ولم يكن له بد منه ولا محيص عنه ولا مفر له ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص . قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

٣ – ومنها الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم لانتهاء كل عمر لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به وأن ذلك من مفاتح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هو . قال تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[لقمان : ٣٤] ، وأن هذا الموت هو ساعة كل إنسان بخصوصه إذ هو المفضي بالعبد إلى منازل الآخرة .

٤– ومنها ذكر العبد للموت وجعله على باله ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ** – أي: الْمَوْتَ –» [(١)] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ [(٢)] (٤٨) .

ثانيًا : إحتضار المؤمن والكافر (١٦)

إخوتي في الله ، دخول عالم الآخرة يبدأ بخروج الروح وعند ذلك :

١ – يكون الله تعالى أقرب للعبد ممن حوله من المحبين والأقربين:

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) ﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٨٧] .

المعنى الإجمالي للآيات: فهل تستطيعون إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٣٠٧ وصححه الألباني في ص . ج١٢١٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤١٦ .

النزع ، وأنتم حضور تنظرون إليه ، أن تمسكوا روحه في جسده؟ ونحن أقرب إليه منكم بملائكتنا ، ولكنكم لا ترونهم . وهل تستطيعون إن كنتم غير محاسبين بأعمالكم أن تعيدوا الروح إلى الجسد ، إن كنتم صادقين؟ لن ترجعوها .

٢- تتنزل ملائكة الرحمة تطمئن العبد المؤمن وتبشره بالجنة عند الموت

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١)﴾[فصلت٣١، ٣٠] .

٣- تنزل ملائكة العذاب لتضرب الكفار على وجوهم ودبرهم :

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ﴾ [الأنفال: ٥٠] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا حُضِرَ – أي: احتضر – الْمُؤْمِنُ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللهِ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنْ الْأَرْضِ! فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ : أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ عز وجل، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ : مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ! حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ» [(١)] .

ثالثًا : أحوال الجنازة (١٦)

---

(١) (صحيح) أخرجه النسائي ١٨٣٣ صححه الألباني في صحيح الجامع ٤٩٠ .

أيها الأحبة ، من رحمة الله بنا أن حجب علينا صوت أصحاب الجنائز ، فلو أن الله ﷻ خلى بيننا وبين صوت كل صاحب جنازة لفسدت الحياة ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**» (١) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : «**وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ**» ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : «**وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ**» ، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي ، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ: «**وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**» (٢) ، وعنه أيضًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**» (٣) .

رابعًا : دخول القبر وسؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه (١٦)

أيها الأحبة في الله ، القبر هو أول منازل الآخرة فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، فَعَنْ الْبَرَاءِ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**» فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم: ٢٧] (٤) .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣١٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٦٧ ، ومسلم ٩٤٩ واللفظ لمسلم .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥١٤ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٦٩٩ ، ومسلم ٢٨٧١ واللفظ للبخاري .

وَعَنْ الْبَرَاءِ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا وَقَالَ – وَإِنَّهُ قال عن العبد الصالح إذا أُقْبِرَ – يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَقُولاَنِ وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ قَالَ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ.. – وقال عن العبد الكافر إذا أُقْبِرَ – يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنْ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا قَالَ ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ» [(١)]

خامسًا : الرد على شبهات المعتزلة

أيها الأحبة الكرام ، أنكر بشر المريسي وأتباعه من المعتزلة لفهمهم الفاسد لقول الله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) ﴾[الدخان : ٥٦] ، وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) ﴾[فاطر :٢٢] عذاب القبر ونعيمه .

فقالوا في الآية الأولى لو صاروا أحياءً في القبور ، لذاقوا الموت مرتين لا موته واحدة ، وقالوا في الآية الثانية أنَّ الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم الإسماع ، ولو كان الميت حيًا في قبره او حاسًا لم يستقم التشبيه قالوا ، وأما من جهة العقل فإنا نرى شخصًا يصلب ويبقى مصلوبًا الى أن تذهب اجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياءً . . وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٧٥٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٧٦ .

اجزاؤه في بطونها وحواصلها وأبلغ منه من احرق حتى يفتت وذرى اجزاؤه المتفتته في الرياح العاصفة شمالًا وجنوبًا وقبولًا ودبورًا فإنا نعلم عدم إحيائه ومسألته وعذابه ضرورة هذه خلاصة شبههم الداحضة . .

والجواب عن الشبهة الاولى : أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه فإنها في صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم وأنهم لا يذوقون فيها الموت بل ينعمون ولا يباسون ويخلدون فلا يموتون وأين هذا من نفي عذاب القبر الذي إدعوه وقوله ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾[الدخان : ٥٦] تأكيد لنفي الموت عنهم في الجنة وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد في البرزخ اتصالا خاصا ليتألم الجسد بما يتألم به من دون ان تكون حياته كالحياة الدنيوية بل ما المانع من كونها حياة مستقرة لا تشبه الحياة الدنيا وهي أعظم منها فحجب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمه منه بهم كما يدل عليه ما اخبر به ﷺ في الأحاديث الصحيحة ، فعَنْ كَعْبِ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1] .

وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤) ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، فهل شعرتم بذلك يا معاشر الزنادقة دونهم ويقول تعالى فيهم : ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) ﴾[آل عمران :١٦٩] ، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال الله تعالى فيهم : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (١١) ﴾[غافر : ١١] ، والموته الثانية على أحد التفسيرين هي موتتهم بعد فتنة القبر وتفسير الجمهور لا ينافي ذلك فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودهم ، والثانية على الخروج من الدنيا ، ولم يعدوا نومتهم بعد الفتنة في القبر موته مستقلة لأن حال البرزخ من الموته الثانية ،

---

(١) (صحيح) أخرجه النسائي ٢٠٧٣وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٧٣ .

وليس هو من دار الدنيا ولا دار الاخرة والتفسير أول محمول على موتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل ايجادهم .

وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين :

الوجه الأول : أن قوله ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢)** ﴾ [فاطر :٢٢] نفي لإستطاعة الرسول ﷺ أن يسمعهم وليس ذلك بمحال في قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القليب تبكيته ﷺ بقوله ﷺ هل وجدتم ما وعد ربكم حقا الحديث سيأتي ان شاء الله وهذا اذا حمل على نفي مطلق السماع بالكلية

الوجه الثاني : أنه لم ينف مطلق السماع وإنما نفي سماع الإستجابة كما يدل عليه قوله ﷺ في حديث القليب قَالَ : « **مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا** » [(١)] ، وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع إستجابة ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم في قوله تعالى : ﴿**يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)**﴾[الجاثية :٨] .

وأما شبهتهم العقلية فهي لا تليق إلا بعقولهم السخيفة ، فإن الروح التي عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدرك في الدنيا ولا يعلمه إلا الله فمن كان لا يدرك روح من يمشي معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله فكيف يدركه إذا صار عن عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا وأيضا فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى ورحمته بهم وَعَنْ أنس أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» [(٢)] .

وأيضا فأكثر أمور الإيمان غيبيات وهي أعلى صفات أهل الايمان ، قال تعالى :

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٩٧٦ ، ومسلم ٢٨٧٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٦٧ .

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْـبِ ﴾[البقرة : ٢،٣] ، وذلك غائب عنا في الحياة الـدنيا ونحـن نعلمـة عـن الله علـم الـيقين فـإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة ورأينا ذلك عين اليقين ﴿ بَلْ كَـذَّبُواْ بِـمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَـانظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الظَّالِمِينَ(٣٩) ﴾ [يونس : ٣٩] ، والذي أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجـزاؤه يجمعـه الذي أبدأه من لا أجزاء ولا أعضاء (٤٨) .

خامسًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

٨٧) ما المراد بالقبر ، هل هو مدفن الميت أو البرزخ ؟ الفتوى(١٥٢) .

أصل القبر مدفن الميت ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ [عبس :٢١] ، قال ابن عباس : أي أكرمه بدفنه ، وقد يراد بـه الـبرزخ الـذي بـين مـوت الإنسـان وقيـام الساعة ، وإن لم يدفن ، كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَـدَهُمُ الْمَـوْتُ قَـالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِـمْ بَـرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٠٠) ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] يعني من وراء الذين ماتوا لأن أول الآية يدل على هذا ، ولكن هل الداعي إذا دعا أعوذ بالله مـن عـذاب القـبر ، يريـد عـذاب مدفن الموتى ، أو من عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام الساعة ؟ .

الجواب : يريد الثاني ؛ لأن الإنسان في الحقيقة لا يدري هل يموت ويـدفن ، أو يموت وتأكله السباع ، أو يحترق ، ويكون رمادا ما يدري ! ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ(٣٤) ﴾ [لقمان : ٣٤] ، فاستحضر أنك إذا قلت : من عـذاب القـبر ، أي من العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام الساعة .

٨٨) هل عذاب القبر ثابت ؟الفتوى (١٥٣)

عذاب القبر ثابت بصريح السنة ، وظاهر القرآن ، وإجماع المسلمين هـذه ثلاثـة أدلة : أما صريح السنة ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « تَعَـــوَّذُوا بِاللهِ

مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ »[1] ، وأما إجماع المسلمين ، فجميع المسلمين يقولون في صلاتهم : **" أعوذ بالله من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر"** .

٨٩) هل عذاب القبر على البدن ، أو على الروح ؟ الفتوى (١٥١) .

الأصل أنه على الروح ؛ لأن الحكم بعد الموت للروح ، والبدن جثة هامدة ، ولهذا لا يحتاج البدن إلى إمداد لبقائه ، فلا يأكل ولا يشرب ، بل تأكله الهوام ، فالأصل أنه على الروح ، لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن الروح قد تتصل بالبدن فيعذب أو ينعم معها ، وأن لأهل السنة قولا آخر بأن العذاب ، أو النعيم يكون للبدن دون الروح ، واعتمدوا في ذلك على أن هذا قد رئي حسّا في القبر ، فقد فتحت بعض القبور ورئي أثر العذاب على الجسم ، وفتحت بعض القبور ورئي أثر النعيم على الجسم ، وقد حدثني بعض الناس أنهم في هذا البلد هنا في عنيزة كانوا يحفرون لسور البلد الخارجي ، فمروا على قبر فانفتح اللحد فوجد فيه ميت أكلت كفنه الأرض ، وبقي جسمه يابسا لكن لم تأكل منه شيئا حتى إنهم قالوا : إنهم رأوا لحيته ، وفيها الحنا وفاح عليهم رائحة كأطيب ما يكون من المسك ، فتوقفوا ، وذهبوا إلى الشيخ وسألوه ، فقال : دعوه على ما هو عليه واجنبوا عنه ، احفروا من يمين أو من يسار ، فبناء على ذلك قال العلماء : إن الروح قد تتصل في البدن ، فيكون العذاب على هذا وهذا ، وربما يستأنس لذلك بالحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ عن الكافر : «**يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ**»[2] ، فهذا يدل على أن العذاب يكون على الجسم ؛ والله أعلم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٦٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١٢٢٧١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٧٦ .

الدرس الثالث والثلاثون[البعث والنشور وبدء الحساب]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أيها الأحبة في الله ، البعث والنشور حقيقة حتمية لا مفر منها ، ومستقبل متحقق لا محالة ، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ [عبس:٢٢] أي: بعثه وأحياه ، فإذا شاء الله تبارك وتعالى إعادة العباد وإحياءهم أَمَرَ إسرافيل ؛ وإسرافيل ملك من حملة العرش موكل بنفخ الصور ، ينفخ فيه نفختين ، النفخة الأولى للصعق والإهلاك والإبادة ، والنفخة الثانية: للإحياء والإعادة ، فهاتان نفختان ، وهما اللتان قال الله فيهما: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ [الزمر:٦٨] هذه النفخة الثانية ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨] ، ليبدء يوم حساب الناس على ما قدموه في الدنيا ، وحول البعث والنشور وبدء الحساب سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : نفختا الصعق والنشور

أحبتي في الله ، نحن نؤمن بأن الله ﷻ سيأمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور نفخة الصعق فيصعق من في السماوات والأرض إلا ما شاء الله ، ثم ينفخ في الصور نفخة البعث ، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) ﴾ [الزمر: ٦٨].

معنى الآية: ونُفِخ في "القرن" فمات كلُّ مَن في السموات والأرض، إلا مَن شاء الله عدم موته ، ثم نفخ المَلَك فيه نفخة ثانية مؤذنًا بإحياء جميع الخلائق للحساب أمام ربهم ، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم؟ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ ، قَال: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ:

أَبَيْتُ « وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الإِنْسَانِ ، إِلاَّ عَجْبَ ذَنَبِهِ ، فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ» [(١)] .

قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً (٩٥) ﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥] .

ثانيًا : صفة أرض المحشر

إخوتي في الله ، ويحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كرغيف من دقيق خالص من النخالة مستوية ليس بها معالم .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) ﴾ [إبراهيم: ٤٨] .

معنى الآية: يوم تُبَدَّل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقيَّة كالدقيق الأبيض ليس فيها معلم لأحد أي ليس فيها شجر ولانهر . . إلخ فهي تختلف عن الأرض التي كان يعيش فيها الناس . وكذلك تُبَدَّل السموات بغيرها ، وتخرج الخلائق من قبورها للقاء الله الواحد القهار .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ** – أي كرغيف مصنوع من دقيق خالص من النخالة – » ، قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ : « **لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ** » [(٢)] .

ثالثًا : أحوال الناس عند حشرهم لأرض المحشر

أيها الأحبة ، يحشر الناس حفاة عراة غير مختونين بالصورة التي خلقوا بها فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً** – أي: غير مختونين –» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! فَقَالَ: « **الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**» [(٣)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٨١٤ ، ومسلم ٢٩٥٥ واللفظ للبخاري . .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٢١ ، ومسلم٢٧٩٠ واللفظ للبخاري . .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٢٧ ، ومسلم ٢٨٥٩ واللفظ للبخاري .

كما تقترب الشمس من رؤوس الخلائق حتى يصبح الناس في عرقهم على قدر أعمالهم ، فَعَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» ، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ ، قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ [(١)] .

ويحشر الكفار على وجوهم ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [(٢)] .

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٣٤) ﴾ [الفرقان: ٣٤] .

ويترك الناس في أرض المحشر خمسين ألف سنة لا يكلمهم ربهم فيكونون في غم وكرب عظيم ، فَعَنْ اِبْنِ عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**كَيْفَ بِكُم إِذَا جَمَعَكُمُ اللهُ كَمَا يَجمعُ النبلَ فِي الكنانةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سنةٍ، ثُمَ لَا يَنْظرُ اللهُ إِلَيكُم؟!**» [(٣)] .

وفي يوم القيامة يظل الله تعالى أصنافا من البشر منها بظله يوم لا ظل إلا ظله ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**» [(٤)] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ**

---

(١)(صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٦٤ .
(٢)(صحيح) أخرجه البخاري ٤٧٦٠ ، ومسلم ٢٨٠٦واللفظ لمسلم .
(٣)(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٧٠٧ وصححه الألباني السلسة الصحيحة٢٨١٧ .
(٤)(صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٦٦ .

ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِربِ العَالِمِينَ ، مِقْدَارُ نِصْفِ يَوم مِنْ خَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ ، فَيُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ للغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ» (٣) .

رابعًا : اجتماع أمة محمد ﷺ على حوض الكوثر

أيها الأحبة في الله ، يخرج الناس عطاشا من قبورهم فيأتون حوض الكوثر وهو حوض رسول الله ﷺ وهو مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في المحشر يرده هو وأمته جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحا من المسك ، وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر ، يمد ماؤه من الجنة ، فيه ميزابان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من فضة ، وآنيته كعدد نجوم السماء ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] .

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاَنًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً – أي

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٦٠ ، ومسلم ١٠٣١واللفظ لمسلم .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ١٣٠٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٠٧ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبي يعلى في مسنده ٦٠٢٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٣٥٨٩ .

استئثار الأمراء والكبراء بالأموال- فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» [(١)] .

وَعَنْ ابْنِ عَمْرو رضي الله عنهما :قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا» [(٢)] .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنِّي فَرَطُكُمْ – أي: سابقكم – عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا – أي : بعدًا بعدًا – لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» [(٣)] .

خامسًا : الشفاعة العظمى لرسول الله حتى يبدأ الحساب

أيها الأحبة الكرام ، في يوم القيامة يبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقونه ولا يحتملون ويبحثون عمن يشفع لهم عند رب العالمين لبدأ الحساب .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.. فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : ائْتُوا آدَمَ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ

---

(١)(صحيح) أخرجه البخاري ٣٧٩٢ ، ومسلم ١٨٤٥ واللفظ للبخاري .

(٢)(صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٧٩ ، ومسلم ٢٢٩٢ واللفظ للبخاري .

(٣)(صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٨٣ ، ٦٥٨٤ و مسلم ٢٢٩٧ واللفظ للبخاري .

غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ ، نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ: مُوسَى ﷺ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنْ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى » (١) .

---

(١)(صحيح) أخرجه البخاري ٤٧١٢ ، ومسلم ١٩٤ واللفظ لمسلم .

سادسًا : مجيء الله تعالى والملائكة والنار إلى أرض المحشر

معاشر الأخوة ، قال تعالى: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(٢٤) ﴾ [الفجر: ٢٢-٢٤] .

ومعنى الآيات : وجاء ربُّك لفصل القضاء بين خلقه ، والملائكة صفوفًا ، وجيء في ذلك اليوم العظيم بجهنم ، يومئذ يتعظ الكافر ويتوب ، يوم لا ينفعه التوبة ، يقول: يا ليتني قدَّمتُ في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياتي في الآخرة .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**» [(١)] .

سابعًا : خطاب الله عز وجل مع الأنبياء

عباد الله ، أخرج البخاري في صحيحه ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟فَيَقُولُ : نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ :مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ** ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (١٤٣) ﴾ [البقرة:١٤٣] والوسط – أي العدل – »[(٢)] .

وروى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ؟ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فَمَاذَا يَبْقَى

---

(١)(صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٤٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٤٨٧ .

مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»[1] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١١٨)﴾ [المائدة:١١٦-١١٨] .

المعنى الإجمالي للآيات: واذكر إذ قال الله تعالى يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اجعلوني وأمي معبودين من دون الله؟ فأجاب عيسى - منزِّهًا الله تعالى-: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق . إن كنتُ قلتُ هذا فقد علمتَه ؛ لأنه لا يخفى عليك شيء ، تعلم ما تضمره نفسي ، ولا أعلم أنا ما في نفسك . إنك أنت عالمٌ بكل شيء مما ظهر أو خفي . قال عيسى عليه السلام: يا ربِّ ما قلتُ لهم إلا ما أوحيته إليَّ ، وأمرتني بتبليغه من إفرادك بالتوحيد والعبادة ، وكنتُ على ما يفعلونه -وأنا بين أظهرهم- شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم ، فلما وفيتني أجلي على الأرض ، ورفعتني إلى السماء حيًّا ، كنت أنت المطَّلِع على سرائرهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء . إنك يا ألله إن تعذبهم فإنهم عبادك وأنت أعلم بأحوالهم ، تفعل بهم ما تشاء بعدلك ، وإن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة ، فإنك العزيز الذي لا يغالَبُ ، الحكيم في تدبيره وأمره وهذه الآية ثناء على الله تعالى بحكمته وعدله وكمال علمه .

ثامنًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٩٠) كيف تدنو الشمس من الخلائق مقدار ميل ولا تحرقهم ؟ الفتوى(١٦١) .

القاعدة التي يجب أن تبنى عليها عقيدتنا فيما ورد من أخبار الغيب القبول

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٢٩ ، ومسلم ٢٢١ واللفظ للبخاري .

والتسليم ، وأن لا يسأل عن كيف ؟ ولم ؟ ؛ لأن هذا أمر فوق ما تتصوره أنت ، فالواجب عليك أن تقبل وتسلم وتقول : آمنا وصدقنا ، آمنا بأن الشمس تدنو من الخلائق يوم القيامة بمقدار ميل ، وما زاد على ذلك من الإيرادات فهو من البدع ، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن استواء الله كيف استوى ؟ قال : " السؤال عنه بدعة " . هكذا أيضا كل أمور الغيب السؤال عنها بدعة ، وموقف الإنسان منها القبول والتسليم . وبالنسبة لدنو الشمس من الخلائق يوم القيامة فإننا نقول :إن الأجسام تبعث يوم القيامة لا على الصفة التي عليها في الدنيا من النقص ، وعدم التحمل ، بل هي تبعث بعثًا كاملًا تامًا ، ولهذا يقف الناس يوم القيامة يومًا مقداره خمسون ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون ، وهذا أمر لا يحتمل في الدنيا ، فتدنو الشمس منهم وأجسامهم قد أعطيت من القوة ما يتحمل دنوها ، ومن ذلك ما ذكرناه من الوقوف خمسين ألف سنة ، لا يحتاجون إلى طعام ، ولا شراب ، فالأجسام يوم القيامة لها شأن آخر غير شأنها في هذه الدنيا .

٩١) ما هي الشفاعة وما أقسامها ؟ الفتوى (١٧٠) .

الشفاعة اصطلاحًا : هي **" التوسط للغير بجلب منفعة ، أو دفع مضرة "** ؛ يعني أن يكون الشافع بين المشفوع إليه ، والمشفوع له واسطة لجلب منفعة إلى المشفوع له ، أو يدفع عنه مضرة ، والشفاعة نوعان :

النوع الأول : شفاعة ثابتة صحيحة ، وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه ، أو أثبتها رسوله ﷺ ، ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ ، أَوْ نَفْسِهِ** »[1] . وهذه الشفاعة لها شروط ثلاثة : رضا الله عن الشافع ، رضا الله عن المشفوع له ، إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ، وهذه الشروط مجملة

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٩٩ .

في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى(٢٦) ﴾ [النجم : ٢٦] .

ثم إن الشفاعة الثابتة ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أنها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الشفاعة العامة ، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ ولغيره من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وهي أن يشفع في أهل النار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا من النار .

القسم الثاني : الشفاعة الخاصة : التي تختص بالنبي ﷺ ، وأعظمها الشفاعة العظمى التي تكون يوم القيامة – وذلك لبدء الحساب كما سبق بيانه – ، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به في قوله : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا(٧٩) ﴾[الإسراء:٧٩] .

ومن الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ ، شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط أوقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فتمحص قلوب بعضهم من بعض حتى يهذبوا وينقوا ، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة ، فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ .

النوع الثاني : الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها ، وهي ما يدعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عز وجل ، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(٤٨) ﴾ [المدثر :٤٨] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع والثلاثون[نشر الصحف ونصب الميزان ومشاهد من يوم الحساب]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
عباد الله ، إن يوم القيامة هو الامتحان الأكبر ، وعندها يتبين الصادق من غيره ، فهل صليت وصمت لله يا عبد الله؟ هل أطعت الله ورسوله؟ هل تحب الخير وأهله؟ هل تبغض الشر وأهله؟ هل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ هل تحب للناس ما تحب لنفسك؟ هل سلمت أعراض المسلمين من لسانك؟ هل يطمئن قلبك بذكر الله؟ هل استسلمت لأمره فحجبت أهل بيتك ؟ . . . . هذه أسئلة تتردد على مسامعكم ، فعُدْ إلى الله ما دمت في زمن الإمهال ، واندم وأقلع وردّ المظالم لأهلها قبل وضع الميزان ، وتطاير الصحف ، وعبور الصراط يوم ينسى الخليل خليله ، والصاحب صاحبه ، وكلٌ يقول: نفسي نفسي ، والرسل تقول : اللهم سلِّم سلِّم ، وحول نشر الصحف ونصب الميزان وأحداث يوم القيامة سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : سقوط الكافرين في النار ونشر الصحف

أحبتي في الله ، أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله مِنْ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله، فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ الله، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ**

وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ» [(١)] .

وتنشر صحائف كتب الأعمال من حسنات وسيئات قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ(١٠) ﴾[التكوير :١٠] ، فأمَّا من أُعطي كتاب أعماله بيمينه ، فيقول ابتهاجًا وسرورًا: خذوا اقرؤوا كتابي ، إني أيقنت في الدنيا بأني سألقى جزائي يوم القيامة ، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح ، قال تعالى مبينًا ذلك: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ (٢٠) ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٠] ، وَأمَّا من أعطي كتاب أعماله بشماله ، فيقول نادمًا متحسرًا: يا ليتني لم أُعط كتابي ، ولم أعلم ما جزائي؟ يا ليت الموتة التي متُّها في الدنيا كانت القاطعة لأمري ، ولم أُبعث بعدها ، ما نفعني مالي الذي جمعته في الدنيا ، ذهبت عني حجتي ، ولم يَعُدْ لي حجة أحتج بها قال تعالى مبيننًا ذلك: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ(٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ (٢٩) ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٧] .

ثانيًا : العرض على الميزان

إخوتي في الله ، قال الإمام القرطبي ما مختصره: توهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب ، ونصبت الموازين ، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان ابن فلان؟ هلم إلى العرض على الله تعالى ، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك على الله ﷻ لا يمنعها اشتباه باسمك واسم أبيك ، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه ، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم ، وفي يدك صحيفة عملك ، وأنت تقرأ كتابك بقلب منكسر ، وكم من سيئة قد نسيتها ذكرك الله بها ، فيا حسرة قلبك ، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك .

وتوزن أعمال الناس يوم القيامة بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم

---

(١)(صحيح) أخرجه البخاري ٤٥٨١ ، ومسلم ١٨٣ واللفظ للبخاري .

فيه ، فمن ثقلت موازين أعماله لكثرة حسناته فأولئك هم الفائزون ، قال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨] .

ومن قَلَّتْ حسناته في الميزان ، ورجحت سيئاته ، وأعظمها الشرك ، فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم ، في نار جهنم خالدون .قال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(١٠٣) ﴾ [المؤمنون : ١٠٢-١٠٣] ، والدليل على ذلك من السنة ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ رَجُلاً قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ» ، قَالَ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧] » ، قَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ [(١)] ، وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ : عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ [الكهف: ١٠٥] » [(٢)] .

وروى الترمذي في سننه وغيره عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣١٦٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٢٩٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٧٢٩ ومسلم٢٧٨٥ واللفظ للبخاري .

رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[(1)]، وجاء في مسند الإمام أحمد وغيره عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنْ الْأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ » قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فَقَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ »[(2)] .فهذه شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ لعبد الله بن مسعود ، فموازين الدنيا بالوزن المادي ، وموازين الآخرة من الحسنات والسيئات .

ثالثًا : أحوال الناس عند الحساب

أيها الأحبة ، عند الحساب يختلف أحوال الناس فمنهم أصناف يدخلون الجنة بغير حساب ، وهناك أصناف لا يكلمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، وهناك أصناف يسترهم الله تعالى بعد أن يعرفهم بذنوبهم فيما بينهم وبينه ويدخلهم الجنة ، وهناك أصناف يختم الله على جوارحهم لتشهد جوارحهم عليهم ، وأما أهل الفترة والأصم فإن الله يختبره يوم القيامة ، وسوف نتناول هذه الأصناف إن شاء الله تعالى ، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ» فَقُلْتُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً (٨) ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨] فَقَالَ: « لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٦٣٩ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٥٥٥٩ .
(٢) (حسن) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٩١ وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة ٢٧٥٠ .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ» [(١)] .

وجاء في صحيح مسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**، وعَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ ، **وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»** [(٢)] .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ »** [(٣)] ، ولقد قال عمر بن الخطاب ﷺ إِنَّ اللهَ ﷻ إِنْ شَاءَ أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدٍ فَقَالَ النَبِيُّ: **«صَدَقَ عُمَرُ»** [(٤)] . وجاء في حديث ابن عباس الذي أخرجه الشيخان عن صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : **«هُمْ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ**- أي: لا يتشاءمون- ، **وَلاَ يَسْتَرْقُونَ** – أي: لا يسالون أحدا أن يرقيهم لتمام توكلهم على الله – ، **وَلاَ يَكْتَوُونَ** – أي : لا يتداوى بالكي بالنار- ، **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»** [(٥)] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنْ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيكَ مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»** [(٦)] . وعنه أيضًا قَالَ: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟**

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٧٦ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري٧٥١٢ ، و مسلم ١٠١٦ .
(٣) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٤٣٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧١١١
(٤) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١٢٦٩٥ وصححه الألباني في ظلال الجنة
(٥) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٧٥٢ ، ومسلم ٢١٨ واللفظ للبخاري .
(٦) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣٣٥٨ وصححه الألباني ص . ج ٢٠٢٢ .

فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ» [(١)] ، وفي رواية في سنن النسائي: «وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ» .

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» [(٢)] .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عز وجل، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ» [(٣)] .

وهناك أصناف كثير من الناس لا ينظر الله تعالى إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم مثل : الشيخ الزان ، والملك الكذاب ، والفقير المستكبر ، والمسبل إزاره خيلاء ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكذب ، والذي يمنع فضل الماء عن الناس ، والعاق لوالدية ، والمرأة المترجلة ، والديوث ، . .أخرج مسلم في

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٤١٣ وصححه الألباني في ص . ج ٢٠٢٠

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٩٠٥ .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٦٨٥ و مسلم ٢٧٦٨واللفظ لمسلم .

صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ – أي: فقير – مُسْتَكْبِرٌ» [1] .

وروى مسلم في صحيحه أيضًا عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ – أي: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم –، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ – أي: المرخي إزاره الجار طرفه خيلاء –، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» [2] .

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» [3] .

وأخرج النسائي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ عز وجل إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ ، وَالدَّيُّوثُ » [4] .

وأخرج مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ : «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟ » قَالَ : قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ : بَلَى قَالَ :فَيَقُولُ : فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ : فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ : انْطِقِي قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠٦ .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٣٦٩ .

(٤) (صحيح) أخرجه النسائي ٢٥٦٢ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٧٤ .

وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ : فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ » [(١)] .

أما بخصوص حساب الأصم الذي لم يسمع شيء عن الإسلام ، وكذلك المجنون الذي لم يعقل شيء عن الإسلام ، وكذا من مات عند الفترة ولم يبلغه شيء عن الإسلام فإن الله تعالى يختبرهم في أرض المحشر ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمُّ لاَ يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلاَمًا وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا» [(٢)] .

رابعًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

٩٢) كيف يحاسب الكافر يوم القيامة ؟ الفتوى (١٦٤) .

الكافر مطالب بما يطالب به المؤمن ، لكنه غير ملزم به في الدنيا ، ويدل على أنه مطالب قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ(٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) ﴾ [المدثر : ٣٩-٤٦] .فلولا أنهم عوقبوا بترك الصلاة ، وترك إطعام المساكين ما ذكروه ؛ لأن ذكره في هذه الحال لا فائدة منه ، وذلك دليل على أنهم يعاقبون على فروع الإسلام ، بل إني أزيدك أن الكافر يعاقب على كل ما أنعم الله به عليه من طعام وشراب وغيره ، إذ كيف يحق لهذا الكافر العاصي لله الذي لا يؤمن به كيف يحق له عقلا أن يستمتع بما خلقه الله عز وجل وما أنعم الله به على عباده .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٦٩

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٣٠١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٨١ .

٩٣) هل يوم الحساب يوم واحد ؟ الفتوى (١٦٥) .

يوم الحساب يوم واحد ، ولكنه يوم مقداره خمسون ألف سنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ(٢) مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) ﴾ [المعارج : ١-٤] ، وأنه عسير على الكافرين ، ويسير على المؤمنين ، وأن ما ورد فيه من أنواع الثواب والعقاب أمر لا يدرك كنهه في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان أصل المعنى فيه معلوما لنا في هذه الحياة الدنيا .

٩٤) هل الميزان واحد أو متعدد ؟ الفتوى (١٦٨) .

اختلف العلماء في الميزان ، هل هو واحد ، أو متعدد على قولين ؛ وذلك لأن النصوص جاءت بالنسبة للميزان مرة بالإفراد ، ومرة بالجمع ، مثال الجمع قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ [الأنبياء :٤٧] ، ومثال الإفراد قوله ﷺ : «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَان ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ » ، والذي يظهر والله أعلم أن الميزان واحد ، لكنه متعدد باعتبار الموزون .

٩٥) كيف توزن الأعمال ، وهي أوصاف للعاملين ؟ الفتوى (١٦٩) .

القاعدة في ذلك ، كما أسلفنا : أن علينا أن نسلم ونقبل ، ولا حاجة لأن نقول : كيف ؟ ولم ؟ ومع ذلك فإن العلماء رحمهم الله قالوا في جواب هذا السؤال : إن الأعمال تقلب أعيانا ، فيكون لها جسم يوضع في الكفة فيرجح أو يخف .

٩٦) إذا كانت المرأة لها زوجان في الدنيا فمع من تكون منهما ؟ الفتوى (١٧٨) .

إذا كانت المرأة لها زوجان في الدنيا فإنها تخير بينهما يوم القيامة في الجنة ، وإذا لم تتزوج في الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر به عينها في الجنة .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الخامس والثلاثون[الصراط والأعراف والجنة والنار]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أحبتي في الله ، يأتي بعد الميزان الصراط ، والصراط: جسر ممدود على متن جهنم ، بعيد المدى ، يعبر عليه الناس بقدر أعمالهم ، ويعطى كل واحد منهم نوراً يسير به على هذا الصراط ، فيؤمرون بالعبور على هذا الصراط ، والعبور على الصراط معناه التنقية ، أي: تمييز أهل النار من أهل الجنة ، فمن وقع في النار فهو من أهل النار ، ومن سلم حتى عبر هذا الصراط فهو من أهل الجنة ، إلا إذا كان من أهل الأعراف ، وأهل الأعراف أيضاً مصيرهم إلى الجنة ، كما تدل على ذلك الآيات ؛ لكن بعد دخول أهل الجنة الجنة ، يقفون على الأعراف وهو مكان بين الجنة والنار ، وتصرف وجوههم قبل أصحاب الجنة وأصحاب النار ، وتحدث المحاورة التي ذكرها الله تعالى في كتابه في سورة الأعراف ، لأن كل من عبر على الصراط لا يمكن أن يرجع إلى النار أبداً ، وحول الصراط ، والأعراف ، وأهل الجنة وأهل النار سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا: عبور الموحدين الصراط

أحبتي في الله ، مما يجب الإيمان به من أمور يوم القيامة الإيمان بالصراط فلن يسمح للمرور بالصراط المنصوب على متن جهنم إلا للموحدين ، فيمر المؤمنون ويسقط العصاة في نار جهنم ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (٧٢) ﴾ [مريم :٧١،٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ

وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ (١٤) ﴾ [الحديد : ١٢ ، ١٣] .

و أخرج الشيخان في صحيحيهما ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « . .وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . . » (١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (٢) .

ثانيًا : وقوف المؤمنين في القنطرة للتمحيص ثم دخولهم الجنة

إخوتي في الله ، إذا عبر أهل الجنة الصراط ، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فتُمحص قلوبُهم من بعض ، حتى يُهذَّبوا ويُنَقُّوا ، ثم يُأذن لهم بدخول الجنة ، ولكن بعد شفاعة النبي ﷺ إلى الله عز وجل فتُفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ .

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه : عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا -أي: يصل لمسكنه في الجنة بسهولة ويسر عن مسكنه في الدنيا -» (٣) .

وبعد أن ساق أبو هريرة حديث الشفاعة بطُولِهِ ، قَالَ فِي آخِرِهِ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٣٧ ، ومسلم ٢٩٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٣٩ ، ومسلم ١٨٣ واللفظ لمسلم .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤٤٠ .

شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الأَبْوَابِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» [1] .

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(٧٣) ﴾ [الزمر: ٧٣] .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ» [2] .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة في سننهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ» [3] .

ثالثًا: أهل الأعراف

أيها الأحبة ، أهل الأعراف هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم يقفون على حاجز عظيم بين الجنة والنار يسمى الأعراف ، ويحدث حوار بين أهل الأعراف وأهل النار وأهل الجنة كما تبين هذه الآيات ، قال تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ(٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ(٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ(٤٦) وَإِذَا

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٧١٢ و مسلم ١٩٤ واللفظ لمسلم .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٥٧ .
(٣) (صحيح) اخرجه أحمد في مسنده ٨٥٢١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٠٧٦ .

صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٧) ﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ(٤٨) أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ(٤٩) ﴾ [الأعراف: ٤٨ - ٤٩] .

المعنى الإجمالى للآيتين الأخيرتين: ونادى أهل الأعراف رجالا من قادة الكفار الذين في النار يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم ، قالوا لهم : ما نفعكم ما كنتم تجمعون في الدنيا ، وما نفعكم استعلاؤكم على أهل الحق وعن الإيمان بالله وقَبول الحق ، أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة ولن يدخلهم الجنة؟ فينادي مناد يقول : يا أصحاب الأعراف ، أدخلوا الجنة فقد غُفِرَ لكم لا خوف عليكم من عذاب الله ، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا .

رابعًا: إخراج عصاة الموحدين من النار

أيها الأحبة في الله ، بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأذن الله تعالى للملائكة والأنبياء والمؤمنين بأن يشفعوا لمن في النار من أمة التوحيد فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ ﷺ : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ قَدْ – أي: يكفيني هذا يكفيني هذا – بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلاَ تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ – أي: تزيد وتتسع لغيرهم – حَتَّى يُنْشِئَ- أي: يخلق – اللهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ» [(١)] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لله، فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٣٨٤ .

الْمُؤْمِنِينَ لله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ: لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، فَيَقُولُ اللهُ عز وجل : شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ،.. قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الله الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١) .

خامسًا : صفة أهل الجنة ومنازلهم ورؤيتهم لربهم جل وعلا

أيها الأحبة الكرام ، جاء في سورة الواقعة بيان حال صنفين من أهل الجنة وهم السابقون وأصحاب اليمين ، قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٣٩ ، ومسلم ١٨٣ واللفظ لمسلم

(١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ(٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ(٢١) وَحُورٌ عِينٌ(٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ(٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاء مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء(٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (٣٦) عُرُباً أَتْرَاباً (٣٧) ﴾ [الواقعة : ٢٧-٣٧] .

المعنى الإجمالي للآيات : والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة ، أولئك هم المقربون عند الله ، يُدْخلهم ربهم في جنات النعيم . يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة ، وغيرهم من الأمم الأخرى ، وقليل من آخر هذه الأمة على سرر منسوجة بالذهب ، متكئين عليها يقابل بعضهم بعضًا . يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون ، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة ، لا تُصَدَّعُ منها رؤوسهم ، ولا تذهب بعقولهم . ويطوف عليهم الغلمان بما يتخيرون من الفواكه ، وبلحم طير ممَّا ترغب فيه نفوسهم . ولهم نساء ذوات عيون واسعة ، كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالا ؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا . لا يسمعون في الجنة باطلا ولا ما يتأثمون بسماعه ، إلا قولا سالمًا من هذه العيوب ، وتسليم بعضهم على بعض وأصحاب اليمين ، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! هم في سِدْرٍ لا شوك فيه ، وموز متراكب بعضه على بعض ، وظلٍّ دائم لا يزول ، وماء جار لا ينقطع ، وفاكهة كثيرة لا تنفَد ولا تنقطع عنهم ، ولا يمنعهم منها مانع ، وفرش مرفوعة على السرر . إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا ، نشأة كاملة لا تقبل الفناء ، فجعلناهن أبكارًا ، متحببات إلى أزواجهن ، في سنٍّ واحدة . وروى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ**

دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ الْأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمْ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»[1] .

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾»[2] .

وجاء أيضًا في صحيح مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل »[3] .

سادسًا :أحوال أهل النار وذبح الموت (١٦)

معاشر الأخوة ، قال محمد بن كعب رحمه الله لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة ، فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعد أبدا . ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ(١١) ﴾ [غافر: ١١] ، فيقول

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٣٢٧ و مسلم ٢٨٣٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨٩ .

(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨١ .

الله تعالى لهم: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ(١٢) ﴾ [غافر: ١٢] ، ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] ، فيجيبهم الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] ، فيقولون ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧] ، فيجيبهم الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧] ، ثم: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ(١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ(١٠٧) ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٧] اهـ ، فيكون الرد من الله: ﴿ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وهناك خطاب آخر بين أهل النار مع خزنة جهنم ، ثم مع مالك خازن النار قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ(٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ(٥٠) ﴾ [غافر: ٤٩ - ٥٠] ، وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(٧٨) ﴾ [الزخرف: ٧٧ - ٧٨] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ: فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ [مريم: ٣٩] [1] .

سابعًا :من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١١٠٦٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢٢ .

٩٧) هل الجنة والنار موجودتان الآن ؟ الفتوى (١٨٠)

الجنة والنار موجودتان الآن ، ودليل ذلك من الكتاب والسنة ، أما الكتاب : فقال الله تعالى في النار : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران :١٣١] ، والإعداد بمعنى التهيئة ، وفي الجنة قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) ﴾[آل عمران : ١٣٣] ، والإعداد أيضا التهيئة .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاس ﭬ قَالَ: انْخَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُول اللهِ ﷺ فَصلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ – أي: تأخرت للوراء -؟ قَالَ ﷺ : «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**» [(١)] . ، فدل ذلك على أن الجنة والنار موجودتان الآن .

٩٨) هل النار مؤبدة أو تفنى ؟ الفتوى(١٨١) .

المتعين قطعا أنها مؤبدة ، ولا يكاد يعرف عند السلف سوى هذا القول ، ولهذا جعله العلماء من عقائدهم ، بأن نؤمن ونعتقد بأن النار مؤبدة أبد الآبدين ، وهذا الأمر لا شك فيه ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨)إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[النساء :١٦٨-١٦٩] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٦٤) ﴾[الأحزاب :٦٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا(٢٣) ﴾ [الجن: ٢٣] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٠٥٢ .

الدرس السادس والثلاثون [الركن السادس من أركان الإيمان : الإيمان بالقدر خيره وشره]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أحبتي في الله ، القدر خيره وشره من الله عز وجل لا يكون إلا ما أراد الله وقضاه وقدره ، وللشافعي أربعة أبيات يقول عنها ابن عبد البر إنها من أثبت ما نسب إليه ، ومن أحسن ما قيل في القدر نظماً وهي :

ما شئت كان وإن لـم أشـأ *** وما شئت إن لم تشأ لم يكـن

خلقتَ العباد على ما علمتَ *** وفي العلم يجرى الفتى والمسن

على ذا مننتَ وهذا خـذلتَ *** وهذا أعنتَ وذا لـم تُعِـن

فمنهم شقى ومنهم سعيـد *** ومنهم قبيح ومنهم حسن

وحول الإيمان بالقدر خيره وشره سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الإيمان بالقدر خيره وشره

أحبتي في الله ، الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة ، التي بينها رسول الله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان ، قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر: أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار أجمعوا أن السُّنَّةَ التي توفي عليها النبي ﷺ : الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله ، والنهي عما نهى ، وإخلاص العمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك الجدال في الدين ، وجاء في كتاب الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الأجري ، عن الحسن البصري قال : من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام ، ثم قال : إن الله عز وجل خلق خلقاً ، فخلقهم بقدر ، وقسم الآجال بقدر ، وقسم أرزاقهم بقدر ، والبلاء والعافية بقدر .

وقال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : وقد تنازع الناس في

القدر من زمن بعيد حتى في عهد النبي ﷺ ، كان الناس يتنازعون فيه ويتمارون فيه ، وإلى يومنا هذا والناس يتنازعون فيه ، ولكن الحق فيه ولله الحمد واضح بين ، لا يحتاج إلى نزاع ومراء ، فالإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد قدر كل شيء كما قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) ﴾[الفرقان :٢] ، وهذا التقدير الذي قدره الله عز وجل تابع لحكمته ، وما تقتضيه تلك الحكمة من غايات حميدة ، وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(٤٩) ﴾ [القمر: ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً (٣٨) ﴾[الأحزاب : ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) ﴾[التغابن :١١] .

وَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَدَّرَ اللهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» [(١)] .

وَ عَنْ عَطَاءُ بِنْ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: لَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ مَا كَانَ وَصِيَّةُ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : دَعَانِي أَبِي فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ اتَّقِ اللهَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، فَإِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ : اكْتُبْ فَقَالَ : مَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ» [(٢)] .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ٦٥٧٩ وصححه الألباني في ص . ج ٤٣٨٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢١٥٥ وصححه الألباني في ص . ج ٢٠١٧ .

لِيُصِيبَهُ » [1] .

ثانيًا : مراتب الإيمان بالقدر

إخوتي في الله ، قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : ويدور الإيمان بالقدر على الإيمان بأربع مراتب :

المرتبة الأولى : العلم ، وذلك أن تؤمن إيمانًا كاملًا بأن الله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علمًا ، أحاط بكل شيء مما مضى ، ومما هو حاضر ، ومما هو مستقبل ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله عز وجل ، أو بأفعال عباده ، فهو محيط بها جملةً وتفصيلًا بعلمه الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا ، وأدلة هذه المرتبة كثيرة في القرآن والسنة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) ﴾ [آل عمران :٥] . وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) ﴾ [الأنعام :٥٩] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾[ق : ١٦] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨٣) ﴾[البقرة :٢٨٣] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على علم الله سبحانه وتعالى بكل شيء جملةً وتفصيلًا وهذه المرتبة من الإيمان بالقدر من أنكرها فهو كافر ؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ وإجماع المسلمين ، وطاعن في كمال الله عز وجل ؛ لأن ضد العلم إما الجهل ، وإما النسيان ، وكلاهما عيب ، وقد قال الله تعالى عن موسى عليه السلام حينما سأله فرعون : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١)قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى(٥٢) ﴾[طه : ٥٢،٥١] ، فهو ﴿ لَا يَضِلُّ ﴾ ؛ أي لا يجهل شيئًا مستقبلًا ، ﴿ وَلَا يَنْسَى ﴾ شيئا ماضيا سبحانه وتعالى .

المرتبة الثانية : الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢١٤٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٥٨٥ .

الساعة فإنه عز وجل حينما خلق القلم ، قال له : "اكتب قال : ربي ، وماذا اكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة" فكتب الله عز وجل في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء ، وقد دل على هذه المرتبة قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ(٧٠) ﴾ [الحج :٧٠] ، فقال : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾ ، أي مكتوب في كتاب ، وهو اللوح المحفوظ ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ ، ثم هذه الكتابة تكون مفصلةً أحيانًا ، فإن الجنين في بطن أمه إذا مضى عليه أربعة أشهر يبعث إليه ملك ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ [(١)] ، ويكتب أيضا في ليلة القدر ما يكون في تلك السنة ، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) ﴾ [الدخان : ٣-٥] .

المرتبة الثالثة : الإيمان بأن كل ما في الكون فإنه بمشيئة الله ، فكل ما في الكون فهو حادث بمشيئة الله عز وجل سواءً كان ذلك مما يفعله هو عز وجل أو فيما يفعله المخلوق قال الله تعالى : ﴿ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ(٢٧) ﴾[إبراهيم :٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(١٤٩) ﴾[الأنعام : ١٤٩] ، وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[هود :١١٨] ، وقال عز وجل : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) ﴾ [فاطر :١٦] ، غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على أن فعله واقع بمشيئته ، وكذلك أفعال الخلق واقعة بمشيئته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(٢٥٣) ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وهذا نص صريح في أن أفعال العبيد قد شاءها الله عز وجل ولو شاء الله أن لا يفعلوا لم يفعلوا .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٤٣ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا للنبي ﷺ .

المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء فالله عز وجل هو الخالق ، وما سواه مخلوق ، فكل شيء فالله خالقه ، فالمخلوقات مخلوقة لله عز وجل وما يصدر منها من أفعال وأقوال مخلوقة لله عز وجل أيضا ؛ لأن أفعال الإنسان ، وأقواله من صفاته ، فإذا كان الإنسان مخلوقا كانت صفاته أيضا مخلوقة لله - عز وجل ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(٩٦)** ﴾ [الصافات : ٩٦] ، فنص الله تعالى على خلق الإنسان وعلى خلق عمله قال ﴿ **وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ ، و (ما) تدل على أن عمل الإنسان مخلوق لله عز وجل هذه أربع مراتب لا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها ا هـ .

وقد نظمها بعضهم في بيت واحد فقال:

علم كتابة مولانا مشيئته * وخلقه وهو إيجاد وتكوين**

ولقد ظهرت بعض الفرق التي تكذب بالقدر مثل المعتزلة وتقول بأن العبد يخلق أعماله ، وعلى النقيض قالت الجبرية (الجهمية) : العبد مجبور ، ورد عليهم الحسن البصري في رساله قال فيها: من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد كفر ، إن الله لا يطاع إستكراها ، ولا يعصي لغَلَبة ، فإن عمل الخلق بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما فعلوا ، وإن عملوا بالمعصية ، فلو شاء لحال بينهم وبين ما فعلوا ، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك ، فلو أَجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزا في القدرة ، ولكن له فيهم المشيئة التي غيبها عنهم فإن عملوا بالطاعات كانت له المنة عليهم .

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(١٢)** ﴾ [يس: ١٢] .

معنى الآية : إنا نحن نحيي الأموات يوم القيامة ، ونكتب ما عملوا من الخير والشر ، وآثارهم كالولد الصالح ، والعلم النافع . . إلخ ، وكلَّ شيء أحصيناه في

اللوح المحفوظ . فعلى العاقل محاسبة نفسه .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ ؛ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ الله ﷻ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ؛حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَدَخَلْتَ النَّارَ» (١) .

ثالثًا :أن القَدَرَ السابق لا يمنع العمل

أيها الأحبة ، قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى : الله تعالى له الخلق والأمر ، وأمر الله تعالى نوعان: أمر كوني قدري ، وأمر ديني شرعي ، فمشيئته سبحانه وتعالى متعلقة بخلقه وأمره الكوني ، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره ، كما خلق إبليس وهو يبغضه ، وخلق الشياطين والكفار وهو يبغضهم ، فمشيئته شاملة لذلك كله ، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذى شرعه على ألسنة الرسل .

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً(٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً(٢٤) ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] .

معنى الآية: ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك غدًا إلا أن تقول: إن شاء الله ، وعند النسيان اذكر ربك ، وقل: عسى أن يهديني ربي للهدى والرشاد

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ : أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلِ النَّارِ ؟ قَالَ : فَقَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ: قِيلَ : فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ ؟ قَالَ : «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » (٢) .

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٧٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢٤٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٤٩ .

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فقعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ – أي عصا- فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ ، إِلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَإِلاَّ وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» وَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ » ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠) ﴾ [الليل: ٥ – ١٠] » [(١)] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ ؟ »فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا ، فَقَالَ : لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى ، «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا » ، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ ، «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا » ، قَالَ أَصْحَابُهُ : فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ: « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا ، ثُمَّ قَالَ : «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنْ الْعِبَادِ ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» [(٢)] .

وجاء في اعتقاد أهل السنة لأبي عثمان الصابوني رحمه الله تعالى : أن أهـــل

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٦٢ ، ومسلم ٢٦٤٧ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢١٤١ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٩٦ .

السنة والجماعة يعتقدون ويشهدون أن أحدا لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسنا ، وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه ، فيوجبها له بمنه وفضله ، إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه ، فلو لم ييسره له لم يهد له أبدا . قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾[النور : ٢١] .

رابعًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

٩٩) ما الفرق بين القضاء والقدر ؟ الفتوى(١٩١) .

اختلف العلماء في الفرق بينهما ، فمنهم من قال : إن القدر : "تقدير الله في الأزل" ، والقضاء : "حكم الله بالشيء عند وقوعه" ، فإذا قدر الله تعالى أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر ، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء ، وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾[إبراهيم :٢٢] ، وقوله : ﴿ وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾[غافر : ٢٠] ، وما أشبه ذلك . فالقدر تقدير الله تعالى الشيء في الأزل ، والقضاء قضاؤه به عند وقوعه ، ومنهم من قال : إنهما بمعنى واحد ، والراجح : أنهما إن قُرنا جميعًا فبينهما فرق كما سبق ، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنى واحد ، والله أعلم .

١٠٠) ماذا عن من يقول إذا كان فعلي من قدر الله عز وجل فكيف أعاقب على المعصية ، وهي من تقدير الله عز وجل ؟ الفتوى(١٩٣)

لا حجة لك على المعصية بقدر الله ؛ لأن الله عز وجل لم يجبرك على المعصية وأنت حين أقدمت عليها لم يكن لديك العلم بأنها مقدرة عليك ؛ لأن الإنسان لا يعلم بالمقدر إلا بعد وقوع الشيء ، فلماذا لم تقدر قبل أن تفعل المعصية أن الله قدر لك الطاعة ، فتقوم بطاعته ؟ ! وكما أنك في أمورك الدنيوية تسعى لما ترى أن فيه خيرًا ، وتهرب مما ترى فيه شرًا ، فلماذا لا تعامل نفسك هذه المعاملة في عمل الآخرة ؟ ! ولا أعتقد أن أحدًا يسلك الطريق الصعب ، ويقول : إن هذا قد قدر

لي ، بل سوف يسلك الطريق المأمون الميسر ، ولا فرق بين هذا وبين أن يقال لك : للجنة طريق ، وللنار طريق ، فإنك إذا سلكت طريق النار فأنت كالذي سلك الطريق المخوف الوعر ، فلماذا ترضى لنفسك أن تسلك طريق الجحيم ، وتدع طريق النعيم ؟ ! ولو كان للإنسان حجة بالقدر على فعل المعصية لم تنتف هذه الحجة بإرسال الرسل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] .

١٠١) هل أصل الفعل مقدر ، والكيفية يخير فيها الإنسان ؟ الفتوى (١٩٤) .

إن فعل العبد كائن بقدر الله تعالى وباختيار العبد ، وإنه يعلم بالضرورة الفرق بين سقوط الإنسان من السقف بالريح ونحوها ، ونزوله منه مختارًا من الدرج ، فالأول : من فعله بغير اختياره ، والثاني : باختياره ، والكل منهما واقع بقضاء الله وقدره ، لا يقع في ملكه ما لا يريد ، لكن ما وقع باختيار العبد فهو مناط التكليف ، ولا حجة له بالقدر في مخالفة ما كلف به من أوامر أو نواه ، وذلك لأنه يقدم على المخالفة حين يقدم عليها وهو لا يعلم ما قدر الله عليه ، فيكون إقدامه الاختياري على المخالفة هو سبب العقوبة ، سواء كانت في الدنيا أم في الآخرة ، وإذا كان الإنسان يدرك أن هروبه من النار إلى موضع يأمن فيه منها يكون باختياره ، وأن تقدمه إلى بيت جميل واسع طيب المسكن ليسكنه يكون باختياره أيضا ، مع إيمانه أن هروبه وتقدمه واقعان بقضاء الله وقدره ، وأن بقاءه لتدركه النار ، وتأخره عن سكنى البيت يعد تفريطا منه ، وإضاعة للفرصة يستحق اللوم عليه ؛ فلماذا لا يدرك هذا بالنسبة لتفريطه بترك الأسباب المنجية له من نار الآخرة ، الموجبة لدخوله الجنة ؟ !

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس السابع والثلاثون [مسائل متعلقة بالقدر <١>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أحبتي في الله ، لم يختصّ المسلمون أتباع محمد ﷺ بالإيمان بالقدر ، بل كان الإيمان به قديماً في الأديان السماوية ، ومن أمثلة ذلك قصة نوح عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) ﴾ [هود:٣٢-٣٤] ، فقوله: ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِن شَاء ﴾ أي: إن اقتضت مشيئته وحكمته أن ينزل العذاب بكم فعل ذلك ، وأنا ليس بيدي من الأمر شيء ، وكذلك قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام لما أراد ذبحه بأمر بالله عز وجل ، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ ياأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات:١٠٢] ، فقوله: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله : "أخبر أباه أنه موطِّن نفسه على الصبر ، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى ؛ لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى وقدره " ، وحين ننظر إلى هذا الكون ونشأته وخلق الكائنات فيه ومنها هذا الإنسان نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقدر فأول ما خلق الله القلم ، قال له: اكتب ، قال: ربّ ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وحول مسائل متعلقة بالقدر سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا:الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب

أحبتي في الله ، قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : اعلم أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب ، بل إن فعل الأسباب مما أمر به الشرع ، وهو حاصل بالقدر ؛ لأن الأسباب تنتج عنها مسبباتها ، ولهذا لما توجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام علم في أثناء الطريق أنه قد وقع

فيها الطاعون ، فاستشار الصحابة رضي الله عنهم هل يستمر ويمضي في سيره ، أو يرجع إلى المدينة ؟ فاختلف الناس عليه ، ثم استقر رأيهم على أن يرجع إلى المدينة ، ولما عزم على ذلك جاءه أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجله ويقدره فقال : يا أمير المؤمنين ،"كيف ترجع إلى المدينة ؟ أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر رضي الله عنه : نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ ، وبعد ذلك جاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان غائبا في حاجة له ، فحدثهم أن النبي ﷺ قال عن الطاعون : « **إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ** – أي الطاعون- **بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» [(١)] .

والحاصل : أن في قول عمر رضي الله عنه : نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ ، دليلا على أن اتخاذ الأسباب من قدر الله عز وجل ونحن نعلم أن الرجل لو قال : أنا مؤمن بقدر الله وسيرزقني الله ولدا بدون زوجة ، لو قال هذا لعد من المجانين ، كما أنه لو قال : أنا أؤمن بقدر الله ، ولن أسعى في طلب الرزق ، ولم يتخذ أي سبب للرزق لعد ذلك من السفه ؛ فالإيمان بالقدر إذن لا ينافي الأسباب الشرعية ، أو الحسية الصحيحة ، أما الأسباب الوهمية التي يدعي أصحابها أنها أسباب ، وليست كذلك فهذه لا عبرة بها ولا يلتفت إليها .

ثانيًا : لكل مخلوق أجل

إخوتي في الله ، جاء في اعتقاد أهل السنة لأبي عثمان الصابوني رحمه الله تعالى: أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويشهدون أن الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلا ، وأن نفسا لن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت ، وليس له عنه فوت ، قال الله عز وجل: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ(٣٤) ﴾ [الأعراف: ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً ﴾ [آل عمران :١٤٥] ، ويشهدون

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٧٢٩ ، ومسلم ٢٢١٩ واللفظ للبخاري .

أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله ، قال الله عز وجل: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران :١٥٤] ا هـ

ولقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » (١) .

وأهل السنة والجماعة لا يقولون كما قالت المعتزلة إن المقتول قطع عليه أجله ، لو ترك لعاش إلى الأجل الذي كُتب له ، فهذا ضلال والعياذ بالله ،فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِي ، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الْطَلَبِ ، وَلاَ يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اِسْتِبْطَاءُ الرِزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيةِ الله ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالى لاَ يُنَالُ ماَ عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ» (٢) .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ – أي: يوسع – عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ – أي: يأخر له في أَجَله- ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٣)

قال العلماء زيادة العمر إما بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات ، أو الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالمحو والإثبات فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان .

(١)(صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٠٨و مسلم ٢٦٤٣واللفظ للبخاري .

(٢)(صحيح) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج١٠ ص ٢٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٨٥ .

(٣)(صحيح) أخرجه البخاري ٢٠٦٧ ، مسلم ٢٥٥٧ .

ثالثًا :أفعال العباد مخلوقة لله

أيها الأحبة ، من أصول أهل السنة والجماعة أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(٩٦) ﴾ [الصافات: ٩٦] .

جاء في شرح الطحاوية للعلامة أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى : العبد محدثٌ لفعله ، ولكن هذا الإحداث وجب وجوده مشيئة الله تعالى ، وإذا ثبت كون العبد فاعلًا ؛ فأفعاله نوعان: نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته ، فيكون صفة له ولا يكون فعلا ، كحركات الرجل الكبير الذي يرتعش - ومثل حركة الأمعاء عند أكل الطعام - ، ونوع يكون باختياره فيوصف بكونه صفةً وفعلًا وكسبًا للعبد كالحركات الإختيارية - مثل فعل العبد للطاعات وفعله للمعاصي - ، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلًا مختارًا ، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له ؛ لأنه سبحانه خالق الإرادة ، والمراد قادرٌ على أن يجعله مختارًا بخلاف غيره .

وجاء في اعتقاد أهل السنة لأبي عثمان الصابوني رحمه الله تعالى:وأهل السنة والجماعة يشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، لا حجة لمن أضله الله عليه ، ولا عذر له لديه ،قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(١٣) ﴾ [السجدة: ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ(١٧٩) ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة إليهم ، فجعلهم فرقتين ، فريقًا للنعيم فضلًا ، وفريقا للجحيم عدلًا ، وجعل منهم غَوِيًا ورشيدًا ، وشقيا وسعيدا ، وقريبًا من رحمته ، وبعيدًا ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أ . هـ .

عَنْ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ » قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْحِلْمُ، وَالْحَيَاءُ » ، قلت: قديماً أَوْ حَدِيثًا؟ قَالَ:

«قَدِيمًا» قلتُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خلقين أحبهما الله [(1)] .

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ(٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ(٨) ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨] .

معنى الآيتين: والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الإختياري ، فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيرًا ير ثوابه في الآخرة ، ومن يعمل وزن نملة صغيرة شرًا ير عقابه في الآخرة .

رابعًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١٠٢) هل الإنسان مخير أو مسير ؟ الفتوى (١٩٥) .

على السائل أن يسأل نفسه : هل أجبره أحد على أن يسأل هذا السؤال ، وهل هو يختار نوع السيارة التي يقتنيها ؟ إلى أمثال ذلك من الأسئلة ، وسيتبين له الجواب هل هو مسير أو مخير .

ثم يسأل نفسه هل يصيبه الحادث باختياره ؟ هل يصيبه المرض باختياره ؟

هل يموت باختياره ؟ إلى أمثال ذلك من الأسئلة ، وسيتبين له الجواب هل هو مسير أو مخير .

والجواب : أن الأمور التي يفعلها الإنسان العاقل يفعلها باختياره بلا ريب ، واسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا(٣٩) ﴾ [النبأ : ٣٩] ، وإلى قوله : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ، وإلى قوله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا(١٩) ﴾[الإسراء:١٩] .

ولكن العبد إذا أراد شيئا وفعله علمنا أن الله تعالى قد أراده لقوله تعالى : ﴿

(١) (صحيح) أخرجه البخاري في الأدب ٥٨٧ وصححه الألباني في صحيح الأدب ٤٥٥/ ٤٨٥ .

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٢٩) ﴾ [التكوير : ٢٨-٢٩] ، فلكمال ربوبيته لا يقع شيء في السماوات والأرض إلا بمشيئته تعالى ، وأما الأمور التي تقع على العبد ، أو منه بغير اختياره ، كالمرض ، والموت ، والحوادث فهي بمحض القدر ، وليس للعبد اختيار فيها ولا إرادة .

١٠٣) ما حكم الرضا بالقدر ؟ وهل الدعاء يرد القضاء ؟ الفتوى(١٩٦) .

أما الرضا بالقدر فهو واجب ؛ لأنه من تمام الرضا بربوبية الله ، فيجب على كل مؤمن أن يرضى بقضاء الله ، ولكن المقضي الذي هو مفعولات الله هو الذي فيه التفصيل ؛ لأن القضاء فعل الله ، والمقضي مفعول الله وهو على أقسام :

القسم الأول : ما يجب الرضا به مثل الواجب شرعًا ؛ لأن الله حكم به كونًا ، وحكم به شرعًا ، فيجب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي .

القسم الثاني : ما يحرم الرضا به مثل معصية الله فيجب ألا ترضى به ، والواجب أن تسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك .

القسم الثالث : ما يستحب الرضا به ، مثل ما يقع من المصائب ، فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب ، لكن يجب الصبر عليه ، والفرق بين الصبر والرضا : أن الصبر يكون الإنسان فيه كارهًا للواقع ، لكنه لا يأتي بما يخالف الشرع وينافي الصبر ، والرضا : لا يكون كارهًا للواقع فيكون ما وقع ، وما لم يقع عنده سواء ، فهذا هو الفرق بين الرضا والصبر ؛

ولهذا قال الجمهور : إن الصبر واجب ، والرضا مستحب .

أما الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو ، فمثلًا هذا المريض قد يدعو الله تعالى بالشفاء فيشفى ، فهنا لولا هذا الدعاء لبقي مريضًا ، لكن بالدعاء شفي ، إلا أننا نقول : إن الله سبحانه وتعالى قد قضى بأن هذا المرض يشفى منه المريض بواسطة الدعاء ، فهذا هو المكتوب ، فصار الدعاء يرد القدر ظاهريًا ، حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقي المرض ، ولكنه في الحقيقة لا يرد

القضاء ؛ لأن الأصل أن الدعاء مكتوب ، وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء ، هذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل ، وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله الله تعالى سببًا يحصل به الشيء ، وقد كتب ذلك في الأزل من قبل أن يحدث .

١٠٤) كيف يعاقب الله على المعاصي ، وقد قدرها على الإنسان؟ الفتوى(١٩٨)

إقدام الإنسان على العمل السيئ إقدام باختياره ، فلم يكن أحد شهر سيفه أمام وجهه ، وقال : اعمل هذا المنكر ، بل هو عمله باختياره ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) ﴾[الإنسان :٣] ، فالشاكر والكفور كلهم قد هداه الله السبيل ، وبينه له ووضحه له ، ولكن من الناس من يختار هذا الطريق ، ومن الناس من لا يختاره .

ومن المعلوم أنه لو عرض عليك من أعمال الدنيا مشروعان أحدهما ترى لنفسك الخير فيه ، والثاني ترى لنفسك الشر فيه ، من المعلوم أنك تختار المشروع الأول الذي هو مشروع الخير ولا يمكن أبدًا بأي حال من الأحوال أن تختار المشروع الثاني وهو مشروع الشر ، ثم تقول : إن القدر ألزمني به ، إذًا يلزمك في طريق الآخرة ما التزمته في طريق الدنيا ، ونقول : جعل الله أمامك من أعمال الآخرة مشروعين ؛ مشروعًا للشر وهي الأعمال المخالفة للشرع ، ومشروعًا للخير وهي الأعمال المطابقة للشرع .

فإذا كنت في أعمال الدنيا تختار المشروع الخيري فلماذا لا تختار المشروع الخيري في أعمال الآخرة ؟

والقدر سر مكتوم"ونحن جميعًا لا نعلم أن الله قدر كذا حتى يقع ذلك العمل ، فكلنا يجهل ماذا قدر الله له ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾[لقمان : ٣٤] ، فالإنسان حينما يقدم على العمل يقدم عليه باختيار منه ليس عن علم بأن الله قدره عليه وأرغمه عليه ، وحينما يقع نعلم أن الله قدره علينا ولذلك

لا يقع احتجاج الإنسان بالقدر إلا بعد وقوع العمل .

وعلى هذا فإنه لا يمكن لأي أحد أن يحتج بالقدر على معصية الله ، وإنه في الواقع لا حجة فيه يقول الله تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء : ١٦٥] ، مع أن ما يعمله الناس بعد الرسل هو بقدر الله ، ولو كان القدر حجة ما زالت بإرسال الرسل أبدًا ، بهذا يتبين لنا أثرًا ونظرًا أنه لا حجة للعاصي بقضاء الله وقدره ، لأنه لم يجبر على ذلك .

١٠٥) هل الرزق والزواج مكتوب في اللوح المحفوظ؟ الفتوى(١٩٩) .

كل شيء منذ خلق الله القلم إلى يوم القيامة فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ لأن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق القلم قال له: «**فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» [(١)] .

والرزق أيضًا مكتوب مقدر بأسبابه لا يزيد ولا ينقص ، فمن الأسباب أن يعمل الإنسان لطلب الرزق كما قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(١٥) ﴾[الملك : ١٥] ، ومن الأسباب أيضًا صلة الرحم من بر الوالدين ، وصلة القرابات ، وكذلك تقوى الله ، وكما أن الرزق مكتوب مقدر بأسبابه فكذلك الزواج مكتوب مقدر ، وقد كتب لكل من الزوجين أن يكون زوج الآخر بعينه ، والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

١٠٦) هل الكفار مكتوب عملهم في الأزل؟ وإذا كان كذلك فكيف يعذبهم الله تعالى ؟ الفتوى(٢٠٠)

إنهم يعذبون لأنهم قد قامت عليهم الحجة وبين لهم الطريق ، فأرسلت إليهم

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٧٠٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠١٨ .

الرسل ، وأنزلت الكتب ، وبين الهدى من الضلال ورُغِّبوا في سلوك طريق الهدى ، وحُذِّروا من سلوك طريق الضلال ، ولهم عقول ولهم إرادات ، ولهم اختيارات ، ولكن قد يقول قائل: كيف يعذبون وقد كتب الله عليهم ذلك في الأزل؟ ، فنقول : هذا الكافر حين أقدم على الكفر لا يشعر أبدًا أن أحد أكرهه ، بل هو يشعر أنه فعل ذلك بإرادته واختياره ، فهل كان حين إقدامه على الكفر عالمًا بما كتب الله له؟ والجواب: لا .

ونقول له : الآن أنت قبل أن تقع في الكفر أمامك شيئان : هداية وضلال فلماذا تسلك طريق الضلال ثم بعد أن تسلكه تحتج بأن الله كتبه ، فهل عندك علم أنه مكتوب عليك ؟ فسيقول : لا . ولا يمكن أن يقول : نعم .

فإذا قال : لا . قلنا : إذًا لماذا لم تسلك طريق الهداية وتقدر أن الله تعالى كتب لك ذلك ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[الصف : ٥] ، ولذلك أخبر رَسُولُ اللهِ ﷺ أصحابه: بأنه « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ**» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ ، قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠) ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] [(١)] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٩٤٩ .

الدرس الثامن والثلاثون[مسائل متعلقة بالقدر <٢>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،

أحبتي في الله ، لم يختصّ المسلمون أتباع محمد ﷺ بالإيمان بالقدر ، بل كان الإيمان به قديماً في الأديان السماوية ، مثال ذلك قصة خسف قارون ، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص:٨٢] ، فقوله: ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ إقرار منهم بأن الله تعالى هو الذي يبسط الرزق لبعض عباده ويضيّقه على بعضهم ، فله الأمر ، يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى ، وحين ننظر إلى هذا الكون ونشأته وخلق الكائنات فيه ومنها هذا الإنسان نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقدر فأول ما خلق الله القلم ، قال له: اكتب ، قال: ربّ ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وحول مسائل متعلقة بالقدر سيكون حديثنا متصلًا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله

أحبتي في الله ، جاء في اعتقاد أهل السنة لأبي عثمان الصابوني رحمه الله تعالى : **يعتقد** أهل السنة والجماعة أن الخير والشر والنفع والضُّر بقضاء الله وقدره ، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه ، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له ، لم يقدروا عليه ، ولو اجتهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا ا هـ .

والدليل من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ(١٧) ﴾ [الأنعام: ١٧] .

أما من السنة فعن ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «**يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ**

بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» [(١)] .

فالإنسان في هذه الحياة متقلب بين الصحة والمرض ، والسعادة والحزن ، والغنى والفقر ، والسفر والإقامة ، والخوف والأمن ، والجوع والشبع ، وبين الخير والشر ، والنفع والضر ،كل هذا بقضاء الله ، والمسلم الحق هو الذي يميز بين ما ينفعه وما يضره في دنياه وأخراه ، ومن تلك المراحل حصول الشك والضيق والمحنة والبلاء التي يقابلها المؤمن بالصبر والدعاء ، والرضا بقضاء الله وقدره ، وقد جعل الله حكمته البالغة وتدبيره الحكيم ، فمن حكمة الله أن جعل بعد العسر يسراً ، وبعد الكرب والضيق ، الفرج والتنفيس .

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى قد يتوهم البعض وجود تعارض بين هاتين الآيتين: قول الله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (٧٨) ﴾ [النساء: ٧٨] ، وقوله تعالى: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً(٧٩) ﴾ [النساء: ٧٩] .

فالعلماء يقولون إن الحسنة والسيئة بتقدير الله ﷻ ، لكن الحسنة سببها التفضل من الله ﷻ على عباده ، أما السيئة فسببها فعل العبد فإضافة الشيء للعبد من إضافة الشيء لسببه لا من إضافة الشيء لمقَدِّرَه أما إضافة الحسنة والسيئة إلى الله تعالى فمن باب إضافة الشيء لمقدره وبذلك يزول ما يوهم بين الآيتين من تعارض لانفكاك الجهة ا هـ .

ومن أصول أهل السنة أنَّ الخير والشر من الله وبقضائه ، ولا يضاف إلى الله تعالى ما يُتَوَهَّم منه نقص على الانفراد ، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير

---

(١)(صحيح) أخرجه الترمذي ٢٥١٦وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٥٧.

والخنافس والجعلان- أي : الفئران - ، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه ، وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» [(١)] . ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك ، حتى يقال لك: يا خالق الشر أو يا مقدر الشر ، وإن كان هو الخالق والمقدر لهما .

ولقد أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه قال الله تعالى مخبرًا عنه : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً(٧٩) ﴾ [الكهف: ٧٩] .

ولما ذكر الخضر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله ﷻ ، فقال تعالى مخبرا عنه: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً(٨٢) ﴾ [الكهف: ٨٢] .

وكذلك فإن إبراهيم عليه السلام أضاف المرض إلى نفسه ، والشفاء إلى ربه ، وإن كان الجميع منه ، وقال الله تعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(٨٠) ﴾ [الشعراء: ٨٠] ا هـ .

وجاء في اعتقاد أهل السنة لأبي عثمان الصابوني رحمه الله تعالى : ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ مقدِّر لجميع أعمال العباد خيرها وشرها ، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته ، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس ، فَكُفْرُ الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقَدَرِه ، وإرادته ومشيئته ، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه ، ويرضى الإيمان والطاعة ، ويسخط الكفر والمعصية ا هـ .

قال الله ﷻ : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٧٧١ .

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٧) ﴾ [الزمر: ٧] .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في شفاء العليل : اعلم أنه لا ينافي هذا قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح «الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» لأن المعنى: فإنك لا تخلق شرا محضا ، بل كل ما تخلقه فيه حكمة هو باعتبارها خير ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس ، فهذا الشر جزئي إضافي ، فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب سبحانه وتعالى منزه عن ذلك .

وقال الشيخ فهد ابن عبد الرحمن العبيان : ولذلك فهذه الابتلاءات التي حلت بالمسلمين لحكمة أرادها الله ثم أعقبها الله بالنصر والتمكين لأوليائه حين حصل المقصود من البلاء ، فهذه غزوة أحد قد حصل فيها الابتلاء للمؤمنين ، وبين ظهرانيهم رسول الله ﷺ كسرت رباعيته ، وشج رأسه ، وقتل كوكبة من أصحابه ، وفر بعضهم ، حينها ظن المنافقون بالله ظن السوء ، وكل هذا لحكمة أرادها الله ، فكان من حكمة هذا التقدير والابتلاء : أَنْ تَمَيَّزَ صف المؤمنين ، وظهر المنافقون وتكلموا بما في نفوسهم ، فلله كم من حكمة في هذا الحدث العظيم ، وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه وتعريف بأسباب الخير والشر ، وهذا حكاه الله في كتابه فكان أول الأمر محنة وآخره منحة ، وما أشبه الليلة بالبارحة فما يصيب المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها من تقتيل وتنكيل وتسلط لأعدائهم عليهم إنما هو لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى .

ثانيًا : عواقب العباد مبهمة

إخوتي في الله ، جاء في اعتقاد أهل السنة لأبي عثمان الصابوني رحمه الله تعالى : من معتقد أهل السنة والجماعة أن عواقب العباد مبهمة ، لا يدري أحد بما يُخْتَمُ له ، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ، إلا بما جاء به الدليل الشرعي ، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار ، إلا بما جاء به الدليل الشرعي ، لأن ذلك مُغَيَّب عنهم ، لا يعرفون ما يموت عليه الإنسان ، ولذلك يقولون: إنَّا

مؤمنون إن شاء الله – أى تقال علي سبيل رجاء حسن الخاتمة ، لعدم ضمان حسن الخاتمة – ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة ، فإن الذين سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها ، ولم يتوبوا منها ، فإنهم يُرَدُّون أخيرًا إلى الجنة ، ولا يبقى أحدٌ في النار من المسلمين ، فضلًا من الله ومِنَّه ، ومن مات والعياذ بالله على الكفر ، فمرده إلى النار لا ينجو منها ، ولا يكون لمقامه فيها منتهى ا هـ .

وقال الشيخ ابن جبرين في شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي: أما الجزم بالجنة أو النار فلا يجوز لغير من جزم له الرسول بوحي من ربه ؛ أنَّا لا نعلم هل يختم له به ؟ ولا علم لنا بما في القلوب ، لكنا نرجو للمحسن إذا رأينا من ظاهر عمله خير رجونا له الجنة من غير جزم ، استئناساً بالنصوص الدالة على البشارة ، والوعد من الله لأهل الخير ، وصلاح القول والعمل . ونخاف على المسيء الذي يعمل السيئات والآثام من العذاب والنار ، فيُخاف عليه ؛ لورود أدلة فيها وعيد شديد بالعذاب أو النار ونحوها على مثل تلك الأعمال السيئة .

فتبين مما سبق أنه لا يجوز أن نجزم لمعين بجنة أو نار ، ومن ذلك الجزم لمعين بأنه شهيد ؛ أوالجزم لمعين بأنه ، مغفور له ، أو مرحوم ، لأنه من الجزم له بالجنة .

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ(٩) ﴾ [الأحقاف: ٩] .

معنى الآية : قل – أيها الرسول – لمشركي قومك: ما كنتُ أول رسل الله إلى خلقه ، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا ، ما أتبع فيما آمركم به ، وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحيه إليَّ ، وما أنا إلا نذير بيِّن الإنذار .

وَعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَتْ: طَارَ لَنَا – أي كان من نصيبنا– عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُون فِي السُّكْنَى حِينَ اقْتَرَعَتْ الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَاشْتَكَى ، فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى

تُوُفِّيَ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ ، قَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكِ**» ، قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَاللهِ ، قَال: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنْ الله ، وَالله مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ الله مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ**» ، قَالَتْ أُمُّ الْعَلاَءِ: فَوَاللهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ: «**ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ**» [(١)] .

وَعَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : «**أَنَّ رَجُلاً قَالَ :وَالله لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلاَنٍ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» أَوْ كَمَا قَالَ [(٢)] .

وقال النووي في الحديث دلالة لمعتقد أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرها . وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى: وفيه دليل صريح أن التألي على الله يحبط العمل أيضا كالكفر وترك صلاة العصر ونحوه . فمعتقد أهل السنة والجماعة أن عواقب العباد مبهمة ، إلا من شهد لهم الله تعالى أو رسوله الكريم بالجنة أو بالنار ، فأما الذين شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة ، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك ، تصديقًا للرسول ﷺ فيما ذكره ووعده لهم ، فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك ، والله تعالى أطلع رسوله ﷺ على ما شاء من غيبه ، وبيان ذلك في قوله ﷻ : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً(٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] .

فلقد توعد الله أقوامًا بالنار كآل فرعون والأقوام التي كذبت رسلها وآخرون كقول الله تعالى عن عذاب آل فرعون : ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)** ﴾ [غافر: ٤٦] ، وكقول الله تعالى

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٠١٨.

(٢)(صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٢١ .

عن قوم عاد : ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَـاداً كَفَـرُواْ رَبَّهُـمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ [هود: ٦٠] .

وقد بشر رسول الله ﷺ العديد من أصحابه أنهم من أهل الجنة مثل : العشرة المبشرين بالجنة ، والحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعُكَّاشه بن محصن ، وبلال بن رباح ، وعبد الله بن سلام ، وثابت بن قيس بن شماس ، وكل من شهد بَدْرا ، وكل من شهد بيعة الرضوان ، وآخرين ، فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ» [(١)] .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ: أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ قَالَ اللهُ عز وجل ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (٧٢) ﴾ [مريم: ٧٢] » [(٢)] .

ومعلوم أن الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة كانوا ١٤٠٠ رجل .

ثالثًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١٠٧) كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام :١٢٥] ، وقوله : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] الفتوى(٢٠٢) .

الجمع بينهما أن الله تعالى يخبر في بعض الآيات بأن الأمر بيده ويخبر في بعض

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣٧٤٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٤٩٦ .

الآيات أن الأمر راجع إلى المكلف ، والجمع بين هذه النصوص أن يقال: إن للمكلف إرادةً واختيارًا وقدرة ، وإن خالق هذه الإرادة والاختيار والقدرة هو الله عز وجل فلا يكون للمخلوق إرادة إلا بمشيئة الله عز وجل وقد قال الله تعالى مبينًا الجمع بين هذه النصوص : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ [التكوير : ٢٨-٢٩] ، ولكن متى يشاء الله تعالى أن يهدي الإنسان أو أن يضله؟

هذا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فسنيسره للعسرى (٨) ﴾ [الليل : ٦-٨] ، واقرأ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(٥) ﴾[الصف : ٥] ، تجد أن سبب ضلال العبد من نفسه فهو السبب ، والله تعالى يخلق عند ذلك فيه إرادة للسوء لأنه هو يريد السوء ، وأما من أراد الخير وسعى في الخير وحرص عليه فإن الله تعالى ييسره لليسرى ، واعلم يا أخي أنه لا يمكن أن يوجد في كلام الله أو فيما صح عن رسوله ﷺ تناقض أبدًا ، فإذا قرأت نصين ظاهرهما التناقض فأعد النظر مرة أخرى فسيتبين لك الأمر ، فإن لم تعلم فالواجب عليك التوقف وأن تكل الأمر إلى عالمه والله بكل شيء عليم .

١٠٨) ماذا عن قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ؟ الفتوى (٢٠٣)

هذا مما قاله إبراهيم ﷺ ، لقومه أي ما تعملون من هذه الأصنام ليقيم عليهم الحجة بأنها لا تصلح آلهة ، لأنها إذا كانت مخلوقة لله تعالى فلا تستحق العبادة .

١٠٩) ماذا عن من قال: إن الله لم يكتب لي الهداية ويستمر في غيه؟ الفتوى(٢٠٤)

نقول بكل بساطة : أطَّلعت الغيب أم اتخذت عند الله عهدًا ؟ إن قال : نعم ، كفر لأنه ادعى علم الغيب وإن قال: لا ، خُصم وغلب ، وإذا كنت لم تطلع أن الله لم يكتب لك الهداية فاهتد ، فالله ما منعك الهداية بل دعاك إلى الهداية ، ورغبك فيها ، وحذرك من الضلالة ، ونهاك عنها ولم يشأ الله أن يدع عباده على ضلالة

أبدًا فقال: ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٦] ، فنقول : تب إلى الله ، والله أمرك بالاهتـــــداء وبين لك طريق الحق .

١١٠) ما الحكمة من وجود المعاصي والكفر؟ الفتوى(٢٠٥) .

لوقوع المعاصي والكفر حكم كثيرة منها: إتمام كلمة الله تعالى حيث وعد النار أن يملأها ، وظهور حكمة الله تعالى وقدرته حيث قسم العباد إلى: طائعٍ ، وعاصٍ ، فإن الطاعة لها أهل هم أهلها ، والمعصية لها أهل هم أهلها ، وحتى يتبين للمطيع قدر نعمة الله عليه بالطاعة إذا رأى حال أهل المعصية ، وكذلك لجوء العبد إلى ربه بالدعاء أن يباعد بينه وبين المعصية والدعاء عبادة لله ، ومن الحكم من وجود المعاصي والكفر : أن العبد إذا وقع في المعصية ومَنَّ الله عليه بالتوبة ازداد إنابة إلى الله وانكسر قلبه ، وربما يكون بعد التوبة أكمل حالًا منه قبل المعصية حيث يزول عنه الغرور والعجب ، ويعرف شدة افتقاره إلى ربه ، وكذلك منها إقامة الجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فلولا المعاصي والكفر لم يكن جهاد ، ولا أمر بمعروف ، ولا نهي عن منكر . إلى غير ذلك .

١١١)كيف يقضي الله تعالى أمرًا كونيًا لا يحبه ؟الفتوى (٢٠٨) .

المحبوب قسمان : محبوب لذاته ، ومحبوب لغيره ، فالمحبوب لغيره قد يكون مكروهاً لذاته ، ولكن يحب لما فيه من الحكمة والمصلحة ، مثال ذلك القحط ، والجدب ، والمرض ، والفقر يقدره الله تعالى على عباده مع أنه ليس محبوبًا إليه في حد ذاته ؛ لأن الله لا يحب أن يؤذي عباده بشيء من ذلك ، بل يريد بعباده اليسر ، لكن يقدره للحكم المترتبة عليه ، فيكون محبوبًا إلى الله من وجه ، مكروهًا من وجه آخر قال الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١) ﴾[الروم :٤١] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❋ ❋ ❋

الدرس التاسع والثلاثون [من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أخي الحبيب ، إن المؤمن الذي يؤمن إيماناً حقيقياً بالقضاء والقدر لا يأسى على ما فاته من الدنيا ، ولا يأسى على موت الناس ، ولا يأسى على ذهاب المال ، ولا يأسى على ذهاب المنزلة ، ولا يأسى على الأذى لأنه يعلم أن الأمور بقضاء وقدر ، وأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذا أصابته سراء فشكر فكان خيراً له ، وإذا أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له ، ثم إنه لا يفرح بما أوتي لأن الفرح بغير الحق من خصال غير المؤمنين ، وهذه من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر كما قال الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] ، وحول ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

أحبتي في الله ، قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : واعلم أن للإيمان بالقدر ثمرات جليلة على سير الإنسان ، وعلى قلبه ؛ لأنك إذا آمنت بأن كل شيء بقضاء الله وقدره فإنك عند السراء تشكر الله عز وجل ولا تعجب بنفسك ، ولا ترى أن هذا الأمر حصل منك بحولك وقوتك ، ولكنك تؤمن بأن هذا سبب إذا كنت قد فعلت السبب الذي نلت به ما يسرك ، وأن الفضل بيد الله عز وجل فتزداد بذلك شكرا لنعم الله سبحانه وتعالى ويحملك هذا على أن تقوم بطاعة الله على حسب ما أمرك الله به ، وأن لا ترى لنفسك فضلا على ربك ، بل ترى المنة لله سبحانه وتعالى عليك قال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١٧) ﴾ [الحجرات : ١٧] . كما أنك إذا أصابتك الضراء فإنك تؤمن بالله عز وجل وتستسلم

، ولا تندم على ذلك ، ولا تلحقك الحسرة ، ألم تر إلى قول النبي ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » [1] .

فالإيمان بالقدر فيه راحة النفس والقلب ، وعدم الحزن على ما فات ، وعدم الغم والهم لما يستقبل ، قال الله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣،٢٢] ، والذي لا يؤمن بالقدر لا شك أنه سوف يتضجر عند المصائب ويندم ، ويفتح الشيطان له كل باب ، وأنه سوف يفرح ويبطر ، ويغتر إذا أصابته السراء ، لكن الإيمان بالقدر يمنع هذا كله ا هـ .

ويمكن وضع ثمرات الإيمان بالقدر في نقاط نذكر منها ما يلي:

١- الاطمئنان وعدم الجزع من أقدار الله . والتوكل على الله والقوة والشجاعة وعدم المبالاة بالناس كُلِّهم ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» [2] .

٢- عدم التسخط على ما قدَّره الله فهذا يفتح عمل الشيطان ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» [3] .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٦٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٥١٦وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٥٩ .

(٣) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٣٩٦وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢١١٠ .

٣-الإيمان بحِكَمِ اللهِ تعالى الباهرةِ فلا يُقدِّر وقوع حدث إلا لحكمة باهرة يغفل عنها الناس لقصور إدراكهم وعلمهم ، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٢) ﴾ [فاطر: ٢] .

٤-الإيمان بعلم الله الشامل ، فالله سبحانه وتعالى كتب كل شيء في كتاب قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» [(١)] .

٥- الثقة في إختيار الله للعبد ، وعدم الجزع على فقد ولد أو حبيب ، فالكل سيموت ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: «قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي» ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فيَقُولُ: «قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ» ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، فيَقولُ: «مَاذَا قَالَ عَبْدِي» ، فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللهُ: «ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» [(٢)] .

٦- عدم العجب بالعمل الصالح ، إذ هو من الله وتوفيقه ، قال تعالى عن أهل الجنة عند دخولهم الجنة: ﴿ وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

٧- عدم الأمن بمكر الله ومداومة لوم النفس ومعاتبتها ، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ(٩٩) ﴾ [الأعراف: ٩٩] .

٨- السعي بكل ما هو مستطاع لتحصيل أسباب الهداية وترك كل أسباب الغواية ، فَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ» ،

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٥٣ .

(٢) (حسن) أخرجه الترمذي ١٠٢١ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٥ .

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ ، قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠) ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] [١] .

٩- الخوف الشديد من سوء الخاتمة ، إذ هي مغيبة ، والنفوس ضعيفة ، وتدعو إلى السوء ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيُكْتَبُ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ – أي فيما يرى الناس- حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ – أي فيما يرى الناس- حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» [٢] .

١٠- دوام اللجوء إلى الله تعالى والتضرع إليه بالتوفيق ، فَعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لفاطمة رضي الله عنها : «مَايَمْنعِكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، ولاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرفَةَ عَيْنٍ» [٣] (١٦) .

ثانيًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١١٢) كيف يكون القضاء والقدر معينًا على زيادة إيمان المسلم؟الفتوى (٢١٢) .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٩٤٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٠٨ ، ومسلم ٢٦٤٣ واللفظ للبخاري .

(٣) (حسن) أخرجه البزار في مسنده ٦٣٦٨ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٦٦١ .

يكون الإيمان بالقضاء والقدر عونًا للمسلم على أمور دينه ودنياه ؛ لأنه يؤمن بأن قدرة الله عز وجل فوق كل قدرة ، وأن الله عز وجل إذا أراد شيئًا فلن يحول دونه شيء ، فإذا آمن بهذا فعل الأسباب التي يتوصل بها إلى مقصوده ، ونحن نعلم فيما سبق من التاريخ أن المسلمين انتصروا مع قلة عددهم وعددهم ، كل ذلك لإيمانهم بوعد الله عز وجل وبقضائه وقدره وأن الأمور كلها بيده سبحانه .

١١٣) ماذا عن احتجاج العاصي إذا نهي عن معصية بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ؟ الفتوى(٢١١) .

إذا احتج بهذا احتججنا عليه بقوله تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) ﴾[الحجر :٤٩] ، وبقوله تعالى : { اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨) ﴾[المائدة :٩٨] ، فإذا أتى بآيات الرجاء يقابل بآيات الوعيد ، وليس هذا الجواب منه إلا جواب المتهاون ، فنحن نقول له: اتق الله عز وجل وقم بما أوجب الله عليك ، واسأله المغفرة ، لأنه ليس كل أحد يقوم بما أوجب الله عليه يقوم به على وجهه الأكمل .

١١٤) هل العين تصيب الإنسان ؟ وكيف تعالج؟ وهل التحرز منها ينافي التوكل؟ الفتوى(٢١٤) .

رأينا في العين أنها حق ثابت شرعًا وحسًا قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [القلم : ٥١] ، ويقول النبي ﷺ: الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ [(١)] . ومن ذلك ما رواه النسائي وابن ماجه ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ : مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ – أي سقط على الأرض – فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ : أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا قَالَ : مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ ؟ قَالُوا : عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ قَالَ : «**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ ،**

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٨٨ .

فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ » ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيَغْسِلْ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ . . وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ [1] . والواقع شاهد بذلك ولا يمكن إنكاره ، وفي حالة وقوعها تستعمل العلاجات الشرعية وهي :

١ - القراءة : فقد قال النبي ﷺ : «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**» [2] ، وقد كان جبريل يرقي النبي ﷺ فيقول : «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**» [3] .

٢ - الاستغسال: كما أمر به النبي ﷺ عامر بن ربيعة في الحديث السابق ثم يصب على المصاب .

أما الأخذ من فضلاته العائدة من بوله أو غائطه فليس له أصل ، وكذلك الأخذ من أثره ، وإنما الوارد ما سبق من غسل أعضائه وداخلة إزاره ولعل مثلها داخلة غترته وطاقيته وثوبه والله أعلم .

والتحرز من العين مقدمًا لا باس به ولا ينافي التوكل بل هو التوكل ؛ لأن التوكل الاعتماد على الله سبحانه مع فعل الأسباب التي أباحها أو أمر بها وقد كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: « **إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ** » [4] .

١١٥) ما نوع النفي في الحديث « لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ» [5]؟ وكيف نجمع بينه وبين حديث: « وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ » [1] ؟

الفتوى(٢١٣)

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٣٥٠٩وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٠٢٠ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٧٠٥ ، ومسلم ٢٢٠ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٨٦ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٣٧١ .
(٥) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٧٠٧ ، ومسلم ٢٢٢٠ .

"العَدْوَى انتقال المرض من المريض إلى الصحيح ، وكما يكون في الأمراض الحسية يكون في الأمراض المعنوية الخلقية ، ولهذا أخبر النبي ﷺ : أن جليس السوء كنافخ الكير ؛ إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة كريهة فقوله ، ﷺ : **عَدْوَى** يشمل العدوى الحسية والمعنوية ، والطِيَرَةَ هي التشاؤم بمرئي ، أو مسموع ، أو معلوم .

والهَامَةَ فسرت بتفسيرين :

الأول : داء يصيب المريض وينتقل إلى غيره ، وعلى هذا التفسير يكون عطفها على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

الثاني : طير معروف تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل ، فإن هذه الهامة تأتي إلى أهله وتنعق على رؤوسهم حتى يأخذوا بثأره ، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه تكون بصورة الهامة ، وهي نوع من الطيور تشبه البومة أو هي البومة ، تؤذي أهل القتيل بالصراخ حتى يأخذوا بثأره ، وهم يتشاءمون بها فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت قالوا : إنها تنعق به ليموت ، ويعتقدون قرب أجله وهذا باطل .

وصَفَر فسر بتفاسير: أنه شهر صفر المعروف ، والعرب يتشاءمون به ، أو أنه داء في البطن يصيب البعير ، وينتقل من بعير إلى آخر ، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

الثالث: صفر شهر صفر ، والمراد به النسيء الذي يضل به الذين كفروا ، فيؤخرون تحريم شهر المحرم إلى صفر يحلونه عامًا ، ويحرمونه عامًا .

وأرجحها شهر صفر حيث كانوا يتشاءمون به في الجاهلية والأزمنة لا دخل لها في التأثير وفي تقدير الله عز وجل فهو كغيره من الأزمنة يقدر فيه الخير والشر .

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٥٧٠٧ .

فهذه الأربعة التي نفاها الرسول ﷺ تدل على وجوب التوكل على الله ، وصدق العزيمة ، وألا يضعف المسلم أمام هذه الأمور ، وإذا ألقى المسلم باله

لهذه الأمور فلا يخلو من حالين : إما أن يستجيب لها بأن يقدم أو يحجم ، فيكون حينئذ قد علق أفعاله بما لا حقيقة له ، أو لا يستجيب لها بأن يقدم ولا يبالي ، لكن يبقى في نفسه نوع من الهم أو الغم ، وهذا وإن كان أهون من الأول لكن يجب أن لا يستجيب لداعي هذه الأمور مطلقًا ، وأن يكون معتمدًا على الله عز وجل . وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل فإذا نظر ذكر النار قال: هذا فأل غير جميل ، وإذا نظر ذكر الجنة قال: هذا فأل طيب ، وهذا في الحقيقة مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام . والنفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود ، لأنها موجودة ولكنه نفي للتأثير ، فالمؤثر هو الله ، فالعدوى موجودة ، ويدل لوجودها قوله ﷺ : « **وَلَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**» [(1)] ، أي لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة ، لئلا تنتقل العدوى .

وقوله ﷺ: « **فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ**» [(2)] ، فالجذام مرض خبيث معد بسرعة ويتلف صاحبه ، حتى قيل : إنه الطاعون ، فالأمر بالفرار لكي لا تقع العدوى ، وفيه إثبات العدوى لتأثيرها ، لكن تأثيرها ليس أمرًا حتميًا بحيث تكون علة فاعلة ، ولكن أمر النبي ﷺ بالفرار من المجذوم ، وأن لا يورد ممرض على مصح ، من باب تجنب الأسباب ، لا من باب تأثير الأسباب بنفسها قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة :١٩٥] .

ولا يقال : إن الرسول ﷺ ينكر تأثير العدوى ؛ لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى ، فإن قيل : إن الرسول ﷺ لما قال: « **لَا عَدْوَى** » فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ الْإِبِلَ تَكُونُ فِي الرِّمَالِ أَمْثَالَ الظِّبَاءِ فَيَأْتِيهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ ،

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٧٧١ ، ومسلم ٢٢٢١ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٧٠٧ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ** » ، فالجواب: أن النبي ﷺ أشار بقوله : **فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ** إلى أن المرض انتقل من المريضة إلى هذه الصحيحات بتدبير الله عز وجل فالمرض نزل على الأول بدون عدوى بل نزل من عند الله عز وجل والشيء قد يكون له سبب معلوم ، وقد لا يكون له سبب معلوم ، وجَرَبْ الأول ليس معلومًا إلا أنه بتقدير الله تعالى ، وجَرَبْ الذي بعده له سبب معلوم ولو شاء الله تعالى ما جَرَبْ ، ولهذا أحيانًا تصاب الإبل بالجَرَبْ ثم يرتفع ولا تموت ، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية قد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ، ويسلم آخرون ولا يصابون ، فالإنسان يعتمد على الله ويتوكل عليه .

١١٦) هل في محاجة آدم وموسى إقرار للاحتجاج بالقدر ؟ الفتوى (٢٠٦)

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا ، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الْجَنَّةِ ، قَالَ لَهُ آدَمُ : يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ثَلَاثًا** »[1] أي غلبه بالحجة وآدم احتج بقضاء الله وقدره .

فَهذا ليس احتجاجًا بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصية العبد ، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله ، ولهذا قال : « **خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الْجَنَّةِ** »، ولم يقل : عصيت ربك فأخرجت من الجنة .

فاحتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبره مصيبة ، والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به ، فآدم عليه الصلاة والسلام ، هل عصى الله لأجل أن يخرجه من الجنة ؟ لا . فالمصيبة إذًا التي حصلت له مجرد قضاء وقدر ، وحينئذ يكون احتجاجه بالقدر على المصيبة الحاصلة احتجاجًا صحيحًا .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٦١٤ ، ومسلم ٢٦٥٢ واللفظ للبخاري .

الدرس الأربعون [من نواقض الإسلام وصور الردة <١>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أحبتي في الله ، الارتداد عن دين الإسلام إلى الكفر ، تارة يكون بترك الإسلام بالكلية إلى ملة من ملل الكفر ، وتارة يكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام ، لذا كان من الضروري أن نتناول بعضها حتى نحذر من الوقوع فيها ، وهذا الباب زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام ، وهو من أخطر الأبواب وأعظمها في الدين لا يتجرأ عليه إلا ضعيف الدين قليل الورع ، فتكفير المُعَيَّن – أي: شخص محدد بعينه – يحتاج إلى إستيفاء شروط وإنتفاء موانع ، ومن المعلوم أن إلقاء المسلم كلمة الكفر على أحد من المسلمين أمر في غاية الخطورة ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»[(١)] ، وتفصيل ذلك في كتب أخرى مطولة وليس هنا ، وإنما إكتفيت هنا بالإشارة إلى بعض نواقض الإسلام وبعض صور الردة على سبيل الإجمال والعموم ، وحول نواقض الإسلام وأسباب الردة سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، ولمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع فليراجع الكتب المتخصصة ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الشرك في عبادة الله تعالى

أحبتي في الله ، أحد صور نواقض الإسلام وأسباب الردة : الشرك في عبادة الله تعالى كصرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله ، مثل ما يفعل اليوم عند القبور: من التقرب إلى الموتى بطلب الحاجات منهم ، وصرف النذور لهم والذبح لهم عند أضرحتهم ، والذبح للجن لطلب شفاء المريض ، وهذا واقع اليوم ، وكثير ممن يدَّعون الإسلام يذهبون إلى المشعوذين والدجالين لطلب العلاج فيأمرونهم بالذبح للجن فينفذون ذلك من غير مبالاة ، والذبح لغير الله شرك أكبر ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦١٠٤ ، و مسلم ٦٠ واللفظ للبخاري .

اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً(٤٨) ﴾ [النساء: ٤٨] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (١) (١٦) .

ثانيًا : جحد ما عُلِمَ من الدين بالضرورة وجُوبه

إخوتي في الله ، أحد صور نواقض الإسلام وصور الردة : جحد ما عُلِمَ من الدين بالضرورة وجُوبِه كإنكار فرض الصلاة ، أو الزكاة ، أو الصوم ، أو الحج ونحو ذلك ، أو من قال بتناسخ الأرواح ، أي أن من مات تنتقل روحه إلى غيره ؛ لأن فيه إنكار البعث ، وكذلك الشك في قدم العالم أو بقائه أو أنكر وجود الله تعالى ، أو من قال : إن العَالَمَ باق على الدوام فلا يفنى ، لأنه يستلزم إنكار القيامة ، ولو أعتقد حدوثه لتكذيب القرآن الكريم (١٦) .

ثالثًا : استحلال ما عُلِمَ تحريمه في الإسلام بالضرورة

أيها الأحبة ، أحد صور نواقض الإسلام وصور الردة : استحلال ما علم تحريمه في الإسلام بالضرورة ، ولقد فصل ابن تيمية هذه المسألة فقال : إن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه ، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه ، فهذا ليس بكافر ، فأما ن اعتقد أن الله لم يحرمه ، أو أنه حرمه ، لكن امتنع من قبول هذا التحريم و أبى أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند ، ولهذا قالوا : من عصى الله مستكبرا كإبليس كفر بالإتفاق ، ومن عصى مشتهيا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة ، إنما يكفر عند الخوارج ، فإن العاصي المستكبر وإن كان مصدقا بأن الله ربه ، فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق ا هـ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٨٥ .

وكتب الفقه كلها مجمعة على أن من استحل شيئا محرما في الدين معلوما تحريمه بالضرورة محرماً كالربا أو الزنا أو شرب الخمر فقد كفر (١٦) .

رابعًا : من أبغض شيئا من شريعة الله وهدي رسول الله ﷺ ولو عمل به

معاشر الأخوة ، من أبغض شيئا من شريعة الله وهدي رسول الله ﷺ ولو عمل به ، كمن كره وأبغض شيئاً مما جاء به النبي ﷺ من هدي وحُكم فقد كفر بالله تعالى ، وهو من النفاق الاعتقادي الأكبر للمنافقين الذي يخرج صاحبه من الإسلام وصاحبه في الدرك الأسفل من النار . وهؤلاء المنافقون موجودون في كل زمان ، خاصة عند ظهور الإسلام وقوّته على خصومه ، فمن كره شيئاً من شريعة الله وهدي محمد ﷺ وحكمه سواءً كان أمراً أو نهياً مما جاء به من العقائد والشرائع فقد أسرف على نفسه وعَرّضها لما لا طاقة له به ، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٩) ﴾ [محمد: ٩] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِالله وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ(٥٤) ﴾ [التوبة: ٥٤] (١٦) .

خامسًا : طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه

أيها الأحبة في الله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله : إنهم على وجهين : **أحدهما** : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم ، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركًا . **الثاني** : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال كذا المنقولة عنه ثابتًا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب .فالعلماء وظيفتهم تبيين معاني ما أنزل الله جل وعلا على رسوله ﷺ وليست وظيفتهم التي أُذِنَ لهم بها في الشرع أن يُحِلُّوا ما يشاءون ، أو يحرموا ما يشاءون ، بل وظيفتهم الاجتهاد في فقه النصوص ، وأن يبينوا ما أحل الله وما حرم جل وعلا

، فهم أدوات ووسائل لفهم نصوص الكتاب والسنة ، ولذلك كانت طاعتهم تبعا لطاعة الله ورسوله ، يطاعون فيما فيه طاعة لله جل وعلا ولرسوله ، وما كان من الأمور الاجتهادية فيُطَاعُون ، لأنهم هم أفقه بالنصوص من غيرهم ، فتكون طاعة العلماء والأمراء من جهة الطاعة التبعية لله ولرسوله ، أما الطاعة الاستقلالية فليست إلا لله جل وعلا حتى طاعة النبي عليه الصلاة والسلام إنما هي تَبَعٌ لطاعة الله ، قال تعالى: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء: ٨٠] (١٦) .

سادسًا : من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١١٧) هل يجوز إطلاق الكفر على شخصًا معينًا ارتكب مكفرًا؟ الفتوى (٢١٩) .

إذا تمت شروط التكفير في حقه جاز إطلاق الكفر عليه بعينه ولو لم نقل بذلك ما انطبق وصف الردة على أحد ، فيعامل معاملة المرتد في الدنيا هذا باعتبار أحكام الدنيا أما أحكام الآخرة فتذكر على العموم لا على الخصوص ولهذا قال أهل السنة: لا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا لمن شهد له النبي ﷺ .

وكذا نقول : من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولكن لا نحكم بهذا لشخص معين ، إذ أن الحكم المعلق بالأوصاف لا ينطبق على الأشخاص إلا بتحقق شروط انطباقه وانتفاء موانعه .

١١٨) ماذا عن شروط الحكم بتكفير المسلم؟ (٢٢٠)

للحكم بتكفير المسلم شرطان : أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر ، والثاني : انطباق الحكم على من فعل ذلك بحيث يكون عالمًا بذلك قاصدًا له ، فإن كان جاهلًا لم يكفر ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ [النساء : ١١٥] ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة : ١١٥] وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى

نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾ [الإسراء:١٥] . لكن إن فرط بترك التعلم والتبين ، لم يعذر ، مثل أن يبلغه أن عمله هذا كفر فلا يتثبت ، ولا يبحث فإنه لا يكون معذورًا .

وإن كان غير قاصد لعمل ما يكفر لم يكفر بذلك ، مثل أن يكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، ومثل أن ينغلق فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح ونحوه ، كقول صاحب البعير الذي أضلها ، ثم اضطجع تحت شجرة ينتظر الموت فإذا بخطامها متعلقًا بالشجرة فأخذه ، وقال: «اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي ، وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ »[1] ، لكن من عمل شيئًا مكفرًا مازحًا فإنه يكفر لأنه قصد ذلك .

١١٩) ماذا عن من يدعو غير الله وهو يجهل الحكم ؟ الفتوى (٢٢١) .

الجهال بما يكفر وبما يفسق إما أن لا يكون منهم تفريط وليس على بالهم إلا أن هذا العمل مباح فهؤلاء يعذرون ، ولكن يدعون للحق فإن أصروا حكم عليهم بما يقتضيه هذا الإصرار ، وأما إذا كان الإنسان يسمع أن هذا محرم أو أن هذا مؤد للشرك ولكنه تهاون أو استكبر فهذا لا يعذر بجهله .

١٢٠) هل يعذر الإنسان بالجهل فيما يتعلق بالتوحيد؟ الفتوى(٢٢٢) .

العذر بالجهل ثابت في كل ما يدين به العبد ربه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾[النساء:١٦٣] ، حتى قال عز وجل : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء : ١٦٥] ولقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(١١٥) ﴾ [الإسراء : ١١٥] ، ولقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾[التوبة :١١٥] ، ولقول النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٧٤٧ .

مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُـمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1] .

والنصوص في هذا كثيرة ، فمن كان جاهلًا فإنه لا يؤاخذ بجهله في أي شيء كان من أمور الدين ، ولكن يجب أن نعلم أن من الجهلة من يكون عنده نوع من العناد ، أي إنه يذكر له الحق ولكنه لا يبحث عنه ، ولا يتبعه ، بل يكون على ما كان عليه أشياخه ، ومن يعظمهم ويتبعهم ، وهذا في الحقيقة ليس بمعذور ، ثم إن كان ينتسب إلى المسلمين ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإنه يعتبر منهم ، وإن كان لا ينتسب إلى المسلمين فإن حكمه حكم أهل الدين ،الذي ينتسب إليه في الدنيا ، وأما في الآخرة فإن شأنه شأن أهل الفترة يكون أمره إلى الله عز وجل يوم القيامة ، وأصح الأقوال فيهم أنهم يمتحنون بما شاء الله ، فمن أطاع منهم دخل الجنة ، ومن عصى منهم دخل النار ، ولكن ليعلم أننا اليوم في عصر لا يكاد مكان في الأرض إلا وقد بلغته دعوة النبي ﷺ بواسطة وسائل الإعلام المتنوعة ، واختلاط الناس بعضهم ببعض ، وغالبًا ما يكون الكفر عن عناد .

١٢١) ما العمل إذا أكره إنسان على الكفر؟ الفتوى(٢٢٦) .

إذا أكره إنسان على الكفر ففي ذلك تفصيل :

أولًا : أن يوافق ظاهرًا وباطنًا فيكون بذلك كافرًا مرتدًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ﴾[النحل : ١٠٦] .

ثانيًا : أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا ولكن يقصد التخلص من الإكراه فهذا لا يكفر لقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾[النحل: ١٠٦] .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥٣ .

ثالثًا : أن لا يوافق لا ظاهرًا ولا باطنًا ويصبر على القتل فهذا جائز وهو من الصبر ، لكن هل الأولى أن يصبر أولا ؟ وفيه تفصيل :

أولًا : إذا كان الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة فإن الأولى أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا ، لا سيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للمسلمين كصاحب المال ، أو العلم المنتفع بهما ، وما أشبه ذلك ، حتى وإن لم يكن فيه مصلحة ففي بقائه على الإسلام زيادة عمل صالح وهو خير ، وقد رخص له بالكفر ظاهرًا . **ثانيًا** : إذا كان في موافقته وعدم صبره ضرر على الدين فإنه يصبر ، وقد يجب الصبر ولو قتل ، لأنه من باب الصبر على الجهاد في سبيل الله ، وليس من باب إبقاء النفس ، ولهذا لما شكا الصحابة للنبي ﷺ ما يجدونه من مضايقة المشركين ذكر لهم أنه كان فيمن قبلنا من يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه ، ولو حصل من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت موافقة للمشركين وهم قلة لحصل بذلك ضرر عظيم على المسلمين ، والإمام أحمد رحمه الله أوذي وصبر حين أبى أن يقول : القرآن مخلوق ولو وافقهم ظاهرًا لحصل في ذلك مضرة على الإسلام .

١٢٢) ماذا عن حكم من حكم بغير ما أنزل الله ؟ الفتوى (٢٢٧) ، و(٢٢٨) .

أقول وأسأله الهداية والصواب : إن الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية ؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته ، وكمال ملكه وتصرفه ؛ ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أربابًا لمتبعيهم فقال سبحانه: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٣١)** ﴾[التوبة :٣١] ــ ،فسمى الله تعالى المتبوعين أربابًا حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى ، وسمى المتبعين عُبادًا حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى .

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله ، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه ، وآيات بكفره وظلمه ، وفسقه ، فنقول : من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به ، أو احتقارًا له ، أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه ، وأنفع للخلق فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة ، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجًا يسير الناس عليه ، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق ، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية ، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه .ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به ، ولم يحتقره ، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه ، وأنفع للخلق ، وإنما حكم بغيره تسلطًا على المحكوم عليه ، أو انتقامًا منه لنفسه أو نحو ذلك ، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم . ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافًا بحكم الله ، ولا احتقارًا ، ولا اعتقادًا أن غيره أصلح ، وأنفع للخلق ، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له ، أو مراعاة لرشوة أو غيرها فهذا فاسق ، وليس بكافر ، وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم .

ومسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق ؛ لأن المسألة خطيرة – نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتبين المحجة ، فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيَّ عن بينة ، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحدًا فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

١٢٣) ما حكم طاعة من لا يحكم بالكتاب ولا بالسنة؟ الفتوى (٢٢٩) .

أما إذا كان الحاكم يحكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أن الحكم به أي بما أنزل الله هو الواجب ، وأنه أصلح للعباد ، لكن خالفه لهوى في نفسه أو إرادة ظلم المحكوم

عليه ، فهذا ليس بكافر بل هو إما فاسق أو ظالم ، وولايته باقية ، وطاعته (في غير معصية الله ورسوله) واجبة ، ولا تجوز محاربته أو إبعاده عن الحكم بالقوة ، والخروج عليه ؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الخروج على الأئمة إلا أن نرى كفرًا صريحًا عندنا فيه برهان من الله تعالى .

١٢٤) ماذا عن حكم الذبح لغير الله ؟ الفتوى (٢٣٠)، (٢٣٢)

الذبح لغير الله شرك أكبر لأن الذبح عبادة كما أمر الله به في قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر :٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣) ﴾[الأنعام :١٦٢-١٦٣] فمن ذبح لغير الله فهو مشرك شركًا مخرجًا عن الملة والعياذ بالله سواء ذبح ذلك لملك من الملائكة ، أو لرسول من الرسل ، أو لنبي من الأنبياء ، أو لخليفة من الخلفاء ، أو لولي من الأولياء ، أو لعالم من العلماء ، فكل ذلك شرك بالله عز وجل ومخرج عن الملة والواجب على المرء أن يتقي الله في نفسه ، وأن لا يوقع نفسه في ذلك الشرك الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(٧٢) ﴾[المائدة : ٧٢] .

وأما الأكل من لحوم هذه الذبائح فإنه محرم لأنها أهل لغير الله بها وكل شيء أهل لغير الله به أو ذبح على النصب فإنه محرم كما ذكر الله ذلك في سورة المائدة في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾[المائدة :٣] ، فهذه الذبائح التي ذبحت لغير الله لا يحل أكلها .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الحادي والأربعون [من نواقض الإسلام وصور الردة <٢>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أحبتي في الله ، الارتداد عن دين الإسلام إلى الكفر ، تارة يكون بترك الإسلام بالكلية إلى ملة من ملل الكفر ، وتارة يكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام ، لذا كان من الضروري أن نتناول بعضها حتى نحذر من الوقوع فيها ، وهذا الباب زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام ، وهو من أخطر الأبواب وأعظمها في الدين لا يتجرأ عليه إلا ضعيف الدين قليل الورع ، فتكفير الْمُعَيَّن - أي :شخص محدد بعينه - يحتاج إلى إستيفاء شروط وإنتفاء موانع ، ومن المعلوم أن إلقاء المسلم كلمة الكفر على أحد من المسلمين أمر في غاية الخطورة ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**» (١) ، وتفصيل ذلك في كتب أخرى مطولة وليس هنا ، وإنما إكتفيت هنا بالإشارة إلى بعض نواقض الإسلام وبعض صور الردة على سبيل الإجمال والعموم ، وحول نواقض الإسلام وأسباب الردة ما زال الحديث متصلًا في هذا اليوم المبارك ، ولمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع فليراجع الكتب المتخصصة ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول ﷺ

أحبتي في الله ، أحد صور نواقض الإسلام الإستهزاء بشيء مما جاء به الرسول ﷺ والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] . وقال ابن جرير في تفسيره : قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطوناً – أي: أرغب في الأكل – ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء – أي: يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء – فقال له عوف بن مالك:

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦١٠٤ ، و مسلم ٦٠ واللفظ للبخاري .

كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن النبي ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب ، نقطع به عنا الطريق . فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة – أي حزام الرحل – ناقة النبي ﷺ وإن الحجارة تنكب – أى تضرب – رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبي ﷺ ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة :٦٥-٦٦] ما يتلفت إليه وما يزيده عليه ونزلت الآية . لذلك فمن أنواع الردة عن الإسلام الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول ﷺ كالذي يستهزئ بإعفاء اللحى أو بالسواك أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بالجهاد أو غير ذلك (١٦) .

ثانيًا : الشك في حكم من أحكام الله

إخوتي في الله ، قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً ، وقال حفيده الشيخ سليمان : فإن كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بُيِّنَت له الأدلة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[آل عمران : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾[آل عمران: ٨٥] .

وكذلك من شك في كفر من نص الله ورسوله علي كفرهم مثل فرعون ، وهامان ، وأبي لهب فقد كفر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) ﴾[القصص:٨] ، وقال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ(٢) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣) ﴾ [المسد :١-٣] .

وكذلك فإن الشك في أصول الدين كفر ، فلو أن إنساناً قال: أنا أشك في الجنة والنار ، أنا أشك في البعث ، فقد يكون هناك بعث وقد لا يكون ، تصور شخصاً من أبناء المسلمين في جامعة ، قال ذات مرة: أنا أصلي احتياطاً . قلت: كيف تصلي

احتياطاً؟ قال: إذا صح أن هناك يوماً آخر وهناك حساباً نكون قد صلينا ، أي: وإذا لم يصح فما خسرنا شيئاً ، هذا معناه أن هذا إنسان كافر بالله العظيم .

ثالثًا : من ترك الصلاة مع جحودها

أيها الأحبة ، من أقوال الإمام النووي في شرح مسلم : ان كان منكرا لوجوبها – أي للصلاة- فهو كافر باجماع المسلمين خارج من ملة الاسلام ، الا ان يكون قريب عهد بالاسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وان كان تركها تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس ، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعى رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فان تاب والا قتلناه حدا كالزانى المحصن ، ولكنه يقتل بالسيف ، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو احدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله ، وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ» [1] (١٦) .

رابعًا : السحر ومنه الصرف والعطف

معاشر الأخوة ،السحر ومنه الصرف أى الأعمال التي تُفَرِّقْ بين الزوجين ، والعطف أى الأعمال التي تُحَبْبُ الرجل في المرأة ، والعكس أحد صور نواقض الإسلام فمن فعله أو رضى به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ(١٠٢) ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

معنى الآية: واتبع اليهود ما تُحَدِّثُ الشياطينُ به السحرةَ على عهد ملك سليمان

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٨٨ .

بن داود ، وما كفر سليمان وما تَعَلَّم السِّحر ، ولكنَّ الشياطين هم الذين كفروا بالله حين علَّموا الناس السحر ؛ إفسادًا لدينهم ، وكذلك اتبع اليهود السِّحر الذي أُنـزل على المَلَكَين هاروت وماروت ، بأرض "بابل" في "العراق" ؛ امتحانًا وابتلاء من الله لعباده ، وما يعلِّم الملكان من أحد حتى ينصحاه ويحذِّراه من تعلم السحر ، ويقـولا له: لا تكفر بتعلم السِّحر وطاعة الشياطين ، فيتعلم الناس من الملكين مـا يُحْـدِثون به الكراهية بين الزوجين حتى يتفرقا ، ولا يستطيع السحرة أن يضروا به أحـدًا إلا بإذن الله وقضائه ، وما يتعلم السحرة إلا شرًا يضرهم ، ولا يـنفعهم ، وقـد نقلتـه الشياطين إلى اليهود ، فشاع فيهم حتى فضَّلوه على كتاب الله ، ولقد علـم اليهـود أن من اختار السِّحر وترك الحق ما له في الآخرة من نصيب في الخـير . ولبـئس مـا باعوا به أنفسهم من السحر والكفر عوضًا عن الإيمان ومتابعة الرسول لو كان لهـم عِلْمٌ يثمر العمل بما وُعِظوا ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **مَـنْ أَتَـى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ** » [1] (١٦) .

خامسًا : مظاهرة المشركين ، ومعاونتهم على المسلمين

أيها الأحبة الكرام ، مظاهرة المشركين ، ومعاونتهم على المسـلمين أحـد صـور نواقض الإسلام ، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٥١) ﴾ [المائدة: ٥١] ، كمـن يعمـل عـين للتجسـس علـى المسـلمين لصالح الأعداء ، قال بعض أهل العلـم إن عمـل جاسوسـا لـيس رضـا بـالكفر ، ولكن لدنيا يصيبها فهو مرتكب لكبيرة ، وإن فعلـها حبـا للكفـر وبغضـا للإسـلام وإظهارا لشعائر الكفر على الاسلام فهو كافر(١٦) .

سادسًا : من فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين

١٢٥) هل تقبل توبة من سب الله عز وجل أو سب الرسول ﷺ؟ الفتوى(٢٣٢)

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ٩٥٣٦ وصححه الألباني في ص . ج ٥٩٣٩ .

اختلف في ذلك على قولين :

القول الأول : أنها لا تقبل توبة من سب الله ، أو سب رسوله ﷺ وهو المشهور عند الحنابلة ، بل يقتل كافرًا ، ولا يصلى عليه ، ولا يدعى له بالرحمة ، ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين .

القول الثاني : أنها تقبل توبة من سب الله أو سب رسوله ﷺ إذا علمنا صدق توبته إلى الله ، وأقر على نفسه بالخطأ ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم ، وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة كقوله - تعالى ﴿ **قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾[الزمر : ٥٣] ، ومن الكفار من يسب الله ومع ذلك تقبل توبتهم ، وهذا هو الصحيح إلا أن ساب الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، تقبل توبته ويجب قتله ، بخلاف من سب الله فإنها تقبل توبته ولا يقتل ؛ لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد ، بأنه يغفر الذنوب جميعًا . أما ساب الرسول ﷺ فإنه يتعلق به أمران :

أحدهما : أمر شرعي لكونه رسول الله ﷺ وهذا يقبل إذا تاب .

الثاني : أمر شخصي ، وهذا لا تقبل التوبة فيه لكونه حق آدمي لم يعلم عفوه عنه ، وعلى هذا فيقتل ولكن إذا قتل ، غسلناه ، وكفناه ، وصلينا عليه ، ودفناه مع المسلمين ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وقد ألف كتابًا في ذلك اسمه "الصارم المسلول في تحتم قتل ساب الرسول" وذلك لأنه استهان بحق الرسول ﷺ وكذا لو قذفه ﷺ فإنه يقتل ولا يجلد .

١٢٦) ماذا عمن سب الدين في حالة غضب هل عليه كفارة؟ وما شرط التوبة من هذا العمل؟ وهل ينفسخ نكاح زوجته؟ الفتوى (٢٣٣) .

الحكم فيمن سب الدين الإسلامي أنه يكفر فإن سب الدين والاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله عز وجل وبدينه وقد حكى الله عن قوم استهزؤوا بدين الإسلام حكى الله عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما كنا نخوض ونلعب فبين الله عز

وجل أن خوضهم هذا ولعبهم استهزاء بالله وآياته ورسوله وأنهم كفروا به فقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة :٦٥] ، فالاستهزاء بدين الله ، أو سب دين الله ، أو سب الله ورسوله ، أو الاستهزاء بهما كفر مخرج عن الملة .

ومع ذلك فإن هناك مجالًا للتوبة منه لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الزمر :٥٣] ، فإذا تاب الإنسان من أي ردة كانت ، توبة نصوحًا استوفت شروط التوبة الخمسة ، فإن الله يقبل توبته ، وشروط التوبة الخمسة هي:

الشرط الأول : الإخلاص لله بتوبته بأن لا يكون الحامل له على التوبة رياء أو سمعة ، أو خوفًا من مخلوق ، أو رجاء لأمر يناله من الدنيا ، ولكن أخلص توبته لله وصار الحامل له عليها تقوى الله عز وجل والخوف من عقابه ورجاء ثوابه **الشرط الثاني :** أن يندم على ما فعل من الذنب بحيث يجد في نفسه حسرة وحزنًا على ما مضى ، ويراه أمرًا كبيرًا يجب عليه أن يتخلص منه .

الشرط الثالث : أن يقلع عن الذنب وعن الإصرار عليه ؛ فإن كان ذنبه ترك واجب قام بفعله ، وإن كان ذنبه بإتيان محرم أقلع عنه وابتعد عنه ومن ذلك إذا كان الذنب يتعلق بالمخلوقين ، فإنه يؤدي إليهم حقوقهم أو يستحلهم منها .

الشرط الرابع : العزم على أن لا يعود في المستقبل بأن يكون في قلبه عزم مؤكد ألا يعود إلى هذه المعصية التي تاب منها .

الشرط الخامس : أن تكون التوبة في وقت القبول فإن كانت بعد فوات وقت القبول لم تقبل ، وفوات وقت القبول عام وخاص: أما العام فإنه طلوع الشمس من مغربها فالتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل لقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام :١٥٨] ، وأما الخاص فهو حضور الأجل فإذا حضر الأجل فإن التوبة لا

تنفع لقول الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾[النساء : ١٨] ، فالإنسان إذا تاب من أي ذنب ولو كان ذلك سب الدين فإن توبته تقبل إذا استوفت الشروط التي ذكرناها ، ولكن ليعلم أن الكلمة قد تكون كفرًا وردة ولكن المتكلم بها قد لا يكفر بها لوجود مانع يمنع من الحكم بكفره ، فهذا الرجل الذي ذكر عن نفسه أنه سب الدين في حال غضب ، نقول له : إن كان غضبك شديدًا بحيث لا تدري ماذا تقول ولا تدري حينئذ أأنت في سماء أم في أرض وتكلمت بكلام لا تستحضره ولا تعرفه فإن هذا الكلام لا حكم له ولا يحكم عليك بالردة لأنه كلام حصل عن غير إرادة وقصد ، وكل كلام حصل عن غير إرادة وقصد فإن الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ به يقول الله تعالى في الأيمان: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [البقرة : ٢٢٥] ، فإذا كان هذا المتكلم بكلمة الكفر في غضب شديد لا يدري ما يقول : ولا يعلم ماذا خرج منه فإنه لا حكم لكلامه ، ولا يحكم بردته حينئذ ، وإذا لم يحكم بالردة فإن الزوجة لا ينفسخ نكاحها منه ، بل هي باقية في عصمته ، ولكن ينبغي للإنسان إذا أحس بالغضب أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وإذا كان قائمًا فليجلس ، وإذا كان جالسًا فليضطجع ، وإذا اشتد به الغضب فليتوضأ ، فإن هذه الأمور تذهب غضبه وما أكثر الذين ندموا على تنفيذ ما اقتضاه غضبهم ولكن بعد فوات الأوان .

١٢٧) ما حكم الاستهزاء بالملتزمين ؟ الفتوى (٢٣٦) .

الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ لكونهم التزموا بذلك محرم وخطير جدًا على المرء ، لأنه يخشى أن تكون كراهته لهم لكراهة ما هم عليه من الاستقامة على دين الله وحينئذ يكون استهزاؤه بهم استهزاء بطريقهم الذي هم عليه فيشبهون من قال الله عنهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة : ٦٥-٦٦] ، فإنها نزلت في قوم من المنافقين قالوا :"ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء –

يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه – أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء" . فأنزل الله فيهم هذه الآية ، فليحذر الذين يسخرون من أهل الحق لكونهم من أهل الدين فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ(٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ(٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٤) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٣٦) ﴾[المطففين :٢٩-٣٦] .

١٢٨) هل يجوز البقاء بين قوم يسبون الله عز وجل ؟ الفتوى (٢٣٨) .

لا يجوز البقاء بينهم لقول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[النساء : ١٤٠] .

١٢٩) هل يجوز الدعاء بقول "يا رحمة الله " ؟ الفتوى (٢٤٤)،(٢٤٥) .

إذا كان مراد الداعي بقوله :"يا رحمة الله" الاستغاثة برحمة الله تعالى يعني أنه لا يدعو نفس الرحمة ولكنه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يعمه برحمته كان هذا جائزًا ، وهذا هو الظاهر من مراده ، فلو سألت القائل هل أنت تريد أن تدعو الرحمة نفسها أو تريد أن تدعو الله عز وجل ليجلب لك الرحمة؟ لقال : هذا هو مرادي .

أما إن كان مراده دعاء الرحمة نفسها فَعبادة الإنسان لصفة من صفات الله ، أو دعاؤه لصفة من صفات الله من الشرك فدعاء الصفة من الشرك مثل أن تقول : يا مغفرة الله اغفري لي يا عزة الله أعزيني ،ونحو ذلك .

١٣٠) ماهي علامات الولاية؟ الفتوى (٢٤٧) .

علامات الولاية بينها الله عز وجل في قوله: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾[يونس:٦٢-٦٣] ، وهي:

الإيمان بالله ، وتقوى الله عز وجل "فمن كان مؤمنًا تقيًا ، كان لله وليًا" أما من أشرك به فليس بولي لله بل هو عدو لله قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) ﴾ [البقرة : ٩٨] ، فأي إنسان يدعو غير الله ، أو يستغيث بغير الله بما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فإنه مشرك كافر ، وليس بولي لله ولو ادعى ذلك ، بل دعواه أنه ولي مع عدم توحيده وإيمانه وتقواه دعوى كاذبة تنافي الولاية .

ونصيحتي لإخواني المسلمين في هذه الأمور أن لا يغتروا بهؤلاء ، وأن يكون مرجعهم في ذلك إلى كتاب الله ، وإلى ما صح من سنة النبي ﷺ حتى يكون رجاؤهم ، وتوكلهم ، واعتمادهم على الله وحده ، وحتى يؤمنوا بذلك لأنفسهم استقرارًا وطمأنينة ، وحتى يحفظوا بذلك أموالهم أن يبتزها هؤلاء المخرفون ، كما أن في لزوم ما دل عليه الكتاب والسنة في مثل هذه الأمور في ذلك إبعادًا لهؤلاء عن الاغترار بأنفسهم ، هؤلاء الذين يدعون أنفسهم أحيانًا أسيادًا ، وأحيانًا أولياء ، ولو فكرت أو تأملت ما هم عليه لوجدت فيهم بعدًا عن الولاية والسيادة ، ولكنك تجد الولي حقيقة أبعد الناس أن يدعو لنفسه وأن يحيطها بهالة من التعظيم والتبجيل وما أشبه ذلك ، تجده مؤمنًا ، تقيًا ، خفيًا لا يظهر نفسه ، ولا يحب الإشهار ، ولا يحب أن يتجه الناس إليه ، أو أن يتعلقوا به خوفًا أو رجاء .

فمجرد كون الإنسان يريد من الناس أن يعظموه ، ويحترموه ، ويبجلوه ، ويكون مرجعًا لهم ، ومتعلقًا لهم ، هذا في الحقيقة ينافي التقوى وينافي الولاية ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ فيمن طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو يجاري به العلماء ، أو ليصرف وجوه الناس إليه فعليه كذا وكذا من الوعيد ، فالشاهد في قوله : "أو ليصرف وجوه الناس إليه" فهؤلاء أبعد الناس عن الولاية .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس الثاني والأربعون[معتقدنا في آل البيت والصحابة الكرام وأمهات المؤمنين وائمة الهدى]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أحبتي في الله ، قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مستناً فليستن بمن قد مات ؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، وقال تعالى ثناء على صحابة رسول الله ﷺ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٠٠) ﴾[التوبة : ١٠٠] ، وأهل السُّنَّة والجماعة يحبون أهلَ بيت رسول الله ﷺ ويتوَلَّوْنَهم ، ويحفظون فيهم وصيَّة رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خُمّ: « أُذكِّرُكم الله في أهل بيتِي» ، ويتولَّون أزواجَ رسول الله ﷺ أمَّهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنَّهنَّ أزواجُه في الآخرة ، وحول معتقد أهل السنة والجماعة في آل البيت والصحابة الكرام ، وأمهات المؤمنين ، وأئمة الهدى سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : فضل أهل البيت وما يجب لهم

أحبتي في الله ، قال فضيلة الدكتور صالح الفوزان : أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حَرُمَ عليهم الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ وبناته ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب : ٣٣] قال الإمام ابن كثير رحمه الله : ثم الذي لا يُشَكُّ فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، فإن سياق الكلام معهن ، ولهذا قال بعد هذا كله : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب : ٣٤] ، أي واعلمن بما ينزل اللّه تبارك وتعالى على رسوله ﷺ بيوتكن من الكتاب والسنة ، قال قتادة وغير واحد ، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ، وأن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي اللّه عنها أوْلاهنَّ بهذه النعمة وأخَصَهُن من هذه الرحمة العميمة ، فإنه لم ينزل على رسول اللّه ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها ، كما نص على ذلك صلوات اللّه وسلامه عليه ، انتهى من تفسير ابن كثير .

فأهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول اللّه ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول اللّه ﷺ حيث قال يوم غدير خم – أي: اسم موضع– : «أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» (١) ، فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ، لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه ، وذلك شرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة . كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه ، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] قَالَ: « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا» (٢) ، ويتبرأ أهل السنة والجماعة من طريقة الروافض الذين يغلون في بعض أهل البيت ويَدَّعون لهم العصمة ، وطريقة النواصب الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين ويطعنون فيهم ، وطريقة

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم٢٤٠٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٥٣ ، ومسلم ٢٠٦ واللفظ للبخاري .

المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أربابا (١١) .

ثانيًا : فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم

إخوتي في الله ، قال فضيلة الدكتور صالح الفوزان : الصحابة جمع صحابي : وهو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك ، والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة وخير القرون لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ والجهاد معه وتحمل الشريعة عنه وتبليغها لمن بعدهم ، وقد أثنى اللّه عليهم في محكم كتابه ، قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ [الحشر : ٨ – ٩] .

فاللّه سبحانه يثني على المهاجرين والأنصار ، ويصفهم بالسبق إلى الخيرات ، وأخبر أنه قد رضي عنهم ، وأعد لهم الجنات ، ووصفهم بالتراحم فيما بينهم والشدة على الكفار ، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود وصلاح القلوب ، وأنهم يعرفون بسيما الطاعة والإيمان ، وأن اللّه اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار ، كما وصف المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل اللّه ونصرة دينه وابتغاء فضله ورضوانه ، وأنهم صادقون في ذلك . ووصف الأنصار بأنهم أهل

دار الهجرة والنصرة والإيمان الصادق ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح ، وبذلك حازوا على الفلاح . فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ويَفْضُلُ المهاجرون على الأنصار ، وأهل بدر وأهل الرضوان ، ويَفضُل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح .

ويقول الشيخ العثيمين رحمه الله: وأهل السنة والجماعة يقولون: إن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة، ويرتبونهم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة ، كما أن بعض الصحابة له مزية ليست لغيرهم فيجب أن ننزلهم في منازلهم ، فإذا كان الصحابي من آل بيت الرسول ﷺ كعلي ، وحمزة ، والعباس ، وابن عباس وغيرهم فإننا نحبه أكثر من غيره من حيث قربه من الرسول ﷺ ، لا على سبيل الإطلاق . ، فنعرف له حقه بقرابته من رسول الله ، ﷺ ، ولكنه لا يلزم من ذلك أن نفضله على غيره تفضيلاً مطلقاً ممن له قدم راسخ في الإسلام أكثر من هذا القريب من الرسول ﷺ ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ، ثُمَّ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ [(١)] .

وَعَنْ سَفِينَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**خِلاَفَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاَثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ**» [(٢)] (١١) .

الدليل على تقديم أبي بكر رضي الله عنه للخلافة (١٦)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ ، وَأَخَاكِ ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولُ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ**» [(٣)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٦٩٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٦٤٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٢٥٧ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٣٨٧ .

الدليل على تقديم عمر رضي الله عنه للخلافة (١٦)

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»[١] .

الدليل على تقديم عثمان رضي الله عنه للخلافة (١٦)

عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير رضي الله عنهما ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عُثْمَانُ ، إِنَّهُ لَعَلَّ اللهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ؛ فَلاَ تَخْلَعْهُ لَهُمْ - هذا ما أراده قتلة عثمان وهو تنحيه عن الخلافة ويتركوه -» قال: وفي الحديث قصة طويلة[٢] .

الدليل على تقديم علي رضي الله عنه للخلافة (١٦)

عَنْ سَعْدِ بْن أَبِي وَقَّاص رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»[٣] ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «وَيْحَ عَمَّارٍ ، تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ»[٤] ، ومن المعلوم أن عمار قتله أهل الشام ، وكان مع علي رضي الله عنهما .

ثالثًا : مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة

أيها الأحبة ، قال فضيلة الدكتور الفوزان : إن سبب الفتنة هو تآمر اليهودُ على الإسلام وأهله فدسوا ماكرا خبيثا تظاهر بالإسلام كذبا وزورا هو عبد الله بن سبأ من يهود اليمن ، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين : عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، ويختلق التهُم ضده . فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة ، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه مظلوما ، وعلى أثر مقتله حصل

---

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٦٦٣ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٦٠٦١ .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣٧٠٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٦٠٧٧ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٤٠٤ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٤٧ .

الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من اليهودي وأتباعه وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم ، ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخص في أمرين :

الأمر الأول : أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ، ويكفون عن البحث فيه ، لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا ، ويقولون ؛ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) ﴾ [الحشر : ١٠] .

الأمر الثاني : الإجابة عن الآثار المروية في مساوئهم وذلك من وجوه :

منها ما هو كذب مفترى لتشويه سمعتهم ، و منها ما قد زيد ونقص ودخله الكذب فهو محرف لا يلتفت إليه ، ومنها أن ما صح من هذه الآثار وهو القليل ، هم فيه معذورون ، لأنهم إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ ؛ فَلَهُ أَجْرٌ» [(١)] .

الوجه الرابع : أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ، أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولا يساويهم أحد في الفضل ، وقد ثبت بقول رسول اللّه ﷺ: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي » [(٢)] ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » [(٣)] ، وأنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ ، فهم ليسوا معصومين من الذنوب – لكن ما يقع منهم

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري٧٣٥٢ ومسلم ١٧١٦ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم٢٥٣٥ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٦٧٣ ، ومسلم ٢٥٤٠ .

فله مكفرات عديدة منها:التوبة تمحو السيئة مهما كانت (١١) .

رابعًا : عدم سب الصحابة ولا أمهات المؤمنين

معاشر الأخوة، من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول اللّه ﷺ، كما وصفهم اللّه بذلك في قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٠)** ﴾ [الحشر : ١٠]، ويتبرءون من طريقة الرافضة والخوارج الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويبغضونهم ويجحدون فضائلهم ويكفرون أكثرهم . فنحن نحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ، ولقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وسيرتهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، ومن عقيدتنا سلامة قلوبنا وألسنتنا لهم ونشر فضائلهم والكف عن مساويهم وما شجر بينهم، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي ؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[١] (١٦) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ** - ملء الكف - **أَحَدِهِمْ ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»[٢] .

وقال فضيلة الدكتور صالح الفوزان: قال أبو زرعة وهو أجلّ شيوخ الإمام مسلم : إذا رأيت الرجل ينتقص امرأً من الصحابة فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق ، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة .

---

(١) (حسن) أخرجه الطبراني ١٢٧٠٩ وحسنه الألباني في ص . ج ٦٢٨٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٦٧٣ و مسلم ٢٥٤٠ .

فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة . فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق – قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين : من سب أحدا من الصحابة مستحلا كفر ، وإن لم يستحل فسق ، ومن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر [(١)] (١١) .

وبخصوص الشبهة التى أثارها بعض المغرضين عن عائشة رضي الله عنها فلقد أنزل الله تعالى قرآنا يبريء عائشة من حادثة الإفك المعروفة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ(١٢) لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ(١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ(١٦) يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١٧) ﴾ [النور: ١١-١٧] .

المعنى الإجمالى للآيات : إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب ، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة ، جماعة منتسبون إليكم – معشر المسلمين – لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم ، بل هو خير لكم ، ففيه تبرئتها ، وتمحيص المؤمنين . ولكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب ، والذي تحمَّل عظمه ، وهو عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول كبير المنافقين له عذاب عظيم في الآخرة . هلا ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيرًا عند سماعهم ذلك الإفك ، وهو السلامة مما رموا به ، وقالوا: هذا كذب ظاهر على عائشة رضي الله عنها . هلا أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم ، فحين لم يفعلوا ذلك فأولئك هم الكاذبون عند الله . ولولا

---

(١) شرح عقيدة الفاريني (٢ / ٣٨٨ – ٣٨٩) .

فَضْلُ الله عليكم ورحمته لكم بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجِّل عقوبتكم ، وتاب على مَن تاب منكم ، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم . حين تتلقفون الإفك وتتناقلونه بأفواهكم ، وهو قول باطل ، وليس عندكم به علم ، وهما محظوران: التكلم بالباطل ، والقول بلا علم ، وتظنون ذلك شيئًا هيِّنًا ، وهو عند الله عظيم . وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل . وهلا قلتم عند سماعكم إياه: ما يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب ، تنزيهًا لك - يارب - مِن قول ذلك على زوجة رسولك محمد ﷺ ، فهو كذب عظيم يذكِّركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدًا لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب ، إن كنتم مؤمنين به .

خامسًا: النهي عن سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة

أيها الأحبة في الله ، قال شارح الطحاوية : فيجب على كل مسلم بعد موالاة اللّه ورسوله موالاة المؤمنين ، كما نطق به القرآن خصوصا الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم اللّه بمنزلة النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر ، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنته فبهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وكلهم متفقون اتفاقا يقينا على وجوب اتباع الرسول ﷺ ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه ، فرضي اللّه عنهم وأرضاهم ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) ﴾ [الحشر : ١٠] ، والحط من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة ، ومن مخططات أعداء الآفة للتشكيك في دين الإسلام ولإيقاع العداوة بين المسلمين ، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها ، وبث الفرقة بين الشباب والعلماء كما هو الواقع الآن (١١) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثالث والأربعون[البدع وصورها المختلفة في الأمة الإسلامية]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أحبتي في الله ، لقد أكمل الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة دينها ، وأتم عليها نعمته ولم يتوف نبيه عليه الصلاة والسلام إلا عندما بلّغ البلاغ المبين ، وبيّن للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال ، وأوضح رسول الله ﷺ: أن كل ما يحدثه الناس بعده وينسبونه للإسلام من أقوال وأعمال ، فكله مردود على من أحدثه ، ولو حسن قصده ، وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ هذا الأمر ، وهكذا علماء الإسلام بعدهم ، فأنكروا البدع وحذروا منها .

فقد قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة : ٣] ، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى : ٢١] .

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ - أي :لا يثاب عليه بل يأثم -» [(١)] ، وحول البدع وصورها المختلفة في الأمة الإسلامية سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : تعريف البدعة وأقسامها وآثارها السيئة

أحبتي في الله ، البدعة لغة : هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة :١١٧] ، أي مخترعهما .

وشرعًا : ما خالف الكتاب والسنة ، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين(٦) .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٩٧ و مسلم ١٧١٨ .

قال حافظ بن أحمد حكمي في معارج القبول رحمه الله : تنقسم البدع بحسب ما تقع فيه إلى بدع في العبادات ، وبدع في المعاملات .

وبدع العبادات تنقسم إلى قسمين :

الأول: التعبد بما لم يأذن الله تعالى أن يُعبد به ألبتة ، كتعبد جهلة الصوفية بآلات اللهو ، والرقص ، والصَفْق ، والغناء ، وأنواع المعازف وغيرها وهم بما هم فيه ، مضاهئون فعل الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: ٣٥] .

والثاني: التعبد بما أصله مشروع ولكن وضع في غير موضعه ، كصلوات النفل في أوقات النهي ، وكصيام الشك والعيدين ، ونحو ذلك ، ثم إن البدعة الواقعة في العبادة قد تكون مبطلة للعبادة التي تقع فيها كمن صلى الرباعية خمسا أو الثلاثية أربعا وماشابه ذلك ، وقد تكون معصية ولا تبطل العمل الذي تقع فيه كالوضوء أربعا أربعا .

ومرجع البدع يعود إلى أربعة أمور:

١- الأحاديث الضعيفة ، فلا يجوز العمل بها مطلقًا لكمال الدين وتمام النعمة كما هو مذهب جماعة من أهل العلم كابن تيمية وغيره .

٢- أحاديث موضوعة أو لا أصل لها .

٣- اجتهادات واستحسانات صدرت من بعض الفقهاء ، خاصة المتأخرين منهم ولم يأصلوها بدليل شرعي .

٤- عادات وخرافات لا يدل عليها الشرع ، ولا يشهد لها العقل وإن عمل بها بعض الجهال .

الآثار السيئة للبدع: صاحب البدعة يضل عن الصراط ، والمبتدع يجعل نفسه مُشرعًا ونِدًّا لله ﷻ ، والمبتدع يُعسِّر الدين ، والمبتدع لا تُرجى توبته ، بخلاف أهل المعاصي فقد يتوب ، والبدعة إثمها متجدد ، لا ينقطع ما دام يُعمل بها ، والبدعة

تُفرِّق الأمة وتُميت السنن ، ولا يختتم للمبتدع بخير ، ويُحرم من الشرب من حوض النبي ﷺ وسوف نتناول أكثر البدع إنتشارا في العالم الإسلامي (١٦) .

أولًا : الاحتفال بالمولد النبوي

إخوتي في الله ، من بدع المناسبات بدعة المولد النبوي حدثت بعد القرون الثلاثة المفضلة ، وأول من أحدثها الحاكم العبيدي الملقب زورًا بالمعز لدين الله الفاطمي في القرن الرابع الهجري ، ودوافع هذه البدعة سياسة ، وهو أن يكسب ود مصر ، وأن تلقى سياسة حكومته الباطنية وتصرفاتها الشاذة قبولا عند المسلمين بهذا الاحتفال الذي حرك به عواطف العوام ، بادعاء محبة النبي .

وخلاصة القول : الاحتفال بالمولد النبوي ، واتخاذه عيدا شرعيا ، مخالف لأمر الرسول ﷺ ، فلقد دعانا إلى التمسك بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، فقال رسول الله ﷺ : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[١] ، والأعيادُ الشرعيةُ يومان الفطرُ والأضحي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ**»[٢] ، وقد بلغَ الأمرُ أَنهم في بعض البلدان يتهمونَ من لم يحضُرْ المولدَ بالجفاءِ ، وعادةً فإنه في المولدِ تحدثُ أمورٌ منهيٌّ عنها كإنشاد القَصائدِ الشركيةِ مثل:

يا أكرم الرسل، ما لي من ألوذ به ::: سواكَ عند حلول الحادث العَمَم

فتأمل هذا البيت من الشرك ، بالإضافة لتشويه صورة الدين بالمشعوذين والدجالين ، وأيضا فيه مشابهة للنصارى في احتفالاتهم بمولد المسيح عليه السلام(١٦) .

ثانيًا : الاحتفال بشم النسيم

أيها الأحبة ، من المناسبات البدعية الإحتفال بشم النسيم ، فأول من احتفل

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٩٧٠ ، مسلم ١٧١٨

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ١١٣٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٤٣٩

بهذا اليوم بشكل رسمي قدماء المصريين عام ٢٧٠٠ قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، لاعتدال الجو عقب عواصف الشتاء ، وقبل هبوب رياح الخماسين ، ونقل بنو إسرائيل عيد شم النسيم عن الفراعنة ، لما خرجوا من مصر ، حيث خرجوا مع موعد احتفال الفراعنة بعيدهم ، وأطلقوا عليه عيد الفصح أي الخروج ، وتبعهم النصارى فاحتفلوا به كما احتفل به اليهود به ، حيث اعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام صُلِبَ في هذا اليوم ، في يوم الفصح ، ونحن نعتقد اعتقادا جازمًا أن المسيح عليه السلام لم يُصلب ، ولكن رفعه الله إلى السماء ، وسوف ينزل في آخر الزمان ، فيقتل المسيح الدجال ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ولا يقبل من الناس إلا الإسلام وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**» [(١)] .

ومن هذا فينبغي على المسلم في هذا اليوم عدم مشاركة المحتفلين في احتفالهم والتشبه بهم والجلوس في بيته ، وينبغي أن يمنع أهله ومن تحت ولايته بالمشاركة في هذا العيد ، وعدم إعانة من يحتفل به ، والإنكار بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعدم تبادل التهاني به بين المسلمين ، كما يجب على أهل العلم توضيح حقيقة هذا العيد للعوام (١٦) .

ثالثًا : الاحتفال بيوم عاشوراء

معاشر الأخوة ، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟**» فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ ، أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ؛ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا فَنَحْنُ نَصُومُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**» [(٢)] .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٢٥٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١١٣٠

ولكن مع ذلك ظهرت كثير من البدع في هذا اليوم فمعلوم أنه لم يُشرع في هذا اليوم سوى الصيام ولم يُشرع توسعة في المطعم ولا غيره ، والحديث المنسوب لرسول الله ﷺ الذي رفعه ابن عباس « **من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا** » [(١)] حديث موضوع ، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من إغتسل يوم عاشوراء لم يمرض في سنته إلا مرض الموت** » ، وضعه قتلة الحسن رضي الله عنه ، ولقد أحدث الشيطان بدعتين : الأولى: الحزن والنوح واللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي وما إلى ذلك من سب السلف ولعنهم وإدخال البريء مع المذنب وقراءة أخبار مثيرة للعواطف مهيجة للفتن وكثير منها كذب وكان قصد من سن هذه السنة السيئة هو الفتنة وتفريق الأمة ، وبدعة السرور واتخاذ هذا اليوم عيدا تلبس فيه ثياب الزينة لحديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه : « **إن من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله سائر سنته** » [(٢)] وهذا الحديث ضعيف (١٦) .

رابعًا : الاحتفال بيوم النصف من شعبان

أيها الأحبة في الله ، من المناسبات البدعية الاحتفال بيوم النصف من شعبان ، قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله : إن صيام النصف من شعبان أو تخصيصه بقراءة أو ذكر ، لا أصل له ، فيوم النصف من شعبان كغيره من أيام النصف من الشهور الأخرى ، ومن المعلوم أنه يشرع أن يصوم الإنسان في كل شهر الثلاثة البيض ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ولكن شعبان له مزية خاصة عن غيره ، وهو كثرة الصيام في شعبان ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه : عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ** – أي: مُعَادٍ باغض للمسلمين وإن كان منهم –» [(٣)] ، كما أن هذا الحديث ليس فيه إلا أن الله ينزل إلى السماء الدنيا ، فيغفر لعدد كبير من خلقه عدا المشرك والمشاحن ، ومن

---

(١) (موضوع) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٥١٧وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ٥٤٦٧
(٢) (ضعيف) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٥١٣ وضعفه الألباني في صحيح الترغيب ١٩٢٦
(٣) (حسن) أخرجه ابن ماجه ١٣٩٠ وحسنه الألباني في ص . ج ١٨١٩

العجيب أن أهل البدع يتمسكون بمثل هذا الحديث فيجعلونه أصلاً لبدعهم ، ومن بدع ليلة النصف من شعبان: الصلاة الألفية ، وهي مائة ركعة ، يقرأ المصلِّي في كل ركعة سورة الاخلاص ١٠ مرات ، وهذه الصلاة بهذه الصفة لم يفعلها النبي ، ولا أحد من الخلفاء الراشدين ، ولا أحد من الصحابة ولا أئمة المذاهب الأربعة ، وتخصيص صوم يوم ليلة النصف من شعبان دون غيره ، أما ما رواه ابن ماجه بلفظ « **إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا يَوْمَهَا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلَا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ؟ أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا حَتَّى يطلع الْفَجْر** » [(١)] فهذا حديث موضوع ، ومن البدع أيضًا اجتماع الناس في المساجد لإحياء ليلة النصف من شعبان ، والدعاء بعد صلاة المغرب ، فهذا لا أصل له ، والواجب على المسلم أن يتجنب هذه البدع في هذه الليلة (١٦) .

خامسًا : الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

أيها الأحبة الكرام ، الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسول الله ﷺ ، وعِظَم منزلته عند الله ﷻ ومن دلائل قدرة الله الباهرة وعلى عُلُوِّه سبحانه وتعالى على جميع خلقه ، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾ [الإسراء: ١] .

ولكن من البِدع المنكرة ، بدعة الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج ، في الليلة السابعة والعشرين من رجب ، يحتفلون في تلك الليلة ، ويخصصونها بأنواع من العبادات ما أنزل الله بها من سلطان ، فيخُصُّون تلك الليلة بأذكار وأدعية وصلاة ، وتخصيص تلك الليلة خطأ من عدة وجوه:

أولاً: أن الإسراء لم يقم دليل على تعيين ليلته التي وقع فيها ، ولا على الشهر

---

(١) (موضوع) أخرجه ابن ماجه ١٣٨٨ وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ٢١٣٢ موضوع .

الذي وقع فيه ، فالعلماء مختلفون فيه .

ثانيا: لو ثبت تعيين الليلة التي وقع فيها الإسراء ؛ لم يجز لنا أن نخصص تلك الليلة بشيء لم يشرعه الله ولا رسوله ، فإنه لم يَرِدْ أن الرسول ﷺ احتفل في تلك الليلة ، ولا خصَّها بشيء من العبادات ، ولم يفعل ذلك خلفاؤه الراشدون من بعده ولا صحابته الكرام ، ولا التابعون لهم بإحسان ، فلا يجوز لأحد بعدهم أن يحدث في الإسلام شيئًا لم يفعلوه .

ثالثًا: أنه يُفعل في تلك الليلة ، وفي ذلك الاحتفال أمور منكرة ، قال صاحب كتاب (الإبداع في مضار الابتداع) : وقد تفنن الناس بما يأتونه في هذه الليلة من المنكرات وأحدثوا فيها من أنواع البدع ضروبًا كثيرة كالاجتماع في المساجد ، وإيقاد الشموع والمصابيح فيها وعلى المنارات مع الإسراف في ذلك ، ومن العجيب أن بعضًا من هؤلاء الذين يحتفلون بمناسبة الإسراء والمعراج ، أو كثيرًا منهم لا يهتمون بما شُرِعَ فيه من الصلوات الخمس ، فبعضهم لا يُصلِّي أبدًا ، وبعضهم لا يحضر صلاة الجماعة في المسجد ، وإنما ينشط في البدع ، ويكسل عن السنن والواجبات ، ولا يُحافظ على الجمع والجماعات (١٦) .

سادسًا : الاحتفال بالموالد

عباد الله ، قال ابن باز رحمه الله : ما مختصره وإحداث مثل هذه الموالد - لمن يقال عنهم أولياء - يُفهم منه أن الله سبحانه وتعالى لم يكمل الدين لهذه الأمة ، وأنَّ الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به ، حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به ، زاعمين أن ذلك يقربهم إلى الله ، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم ، واعتراض على الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين وأتم النعمة . والرسول ﷺ قد بلغنا البلاغ المبين ، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ، ويباعد من النار إلا بينه للأمة كما بين ذلك في الحديث الصحيح .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ : «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِلاَّ كَانَ

حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ» [(١)] .

وقد رددنا هذه المسألة لكتاب الله ، فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول فيما جاء به ، ويحذرنا عما نهى عنه ، وليست هذه الاحتفالات مما جاء به رسول الله ﷺ ، حتى تكون من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع رسوله فيه ، فلم نجد فيها أنه فعلها ، ولا أمر بها ، ولا فعلها أصحابه ، فهي من التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم ، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع والمحدثات ، وينبغي للعاقل ألا يغتر بكثرة الفاعلين قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦) ﴾ [الأنعام: ١١٦] ثم أن غالب هذه الموالد لا تخلو من المنكرات كالاختلاط بالنساء ، وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها الشرك الأكبر بالغلو في الأولياء ، فيدعونهم ويستغيثون بهم ، ويطلبون منهم المدد ، ويعتقدون أنهم يعلمون الغيب ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» [(٢)] (١٦) .

سابعًا : الاحتفال بعيد الأم

الأخوة الأفاضل ، وسُئِلَ الشيخ محمد صالح العثيمين ، عن الاحتفال بعيد الأم ، فقال: كل الأعياد التي تخالف الأعياد الشرعية ، كلها أعياد بدع حادثة ، ما كانت معروفة في عهد السلف الصالح ، وأيضا فيكون فيها من البدعة مشابهة أعداء الله سبحانه وتعالى . وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» [(٣)] ، والأعياد الشرعية الموجودة عند أهل الإسلام هي عيد الفطر وعيد الأضحى ، ويوم الجمعة ، وليس هناك سوى هذه الأعياد ، وإذ تبين ذلك ؛ فلا

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨٤٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٣٠٢٩وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦٨٠ .

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٠٣١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٤٩ .

يجوز في اليوم المسمى عيد الأم إحداث شيء من شعائر العيد ، كإظهار الفرح والسرور ، وتقديم الهدايا وما أشبه ذلك ، والواجب على المسلم أن يعتز بدينه ويقتصر على ما حده الله تعالى ورسوله في هذا الدين ، ولا يكون إمَّعة (١٦) .

ثامنًا :الإحتفال بسبوع المولود

الأخوة الكرام ، من الناس من يحتفل بالمولود يوم السبوع ، ويعملون أعمالا هي من الخرافات ، والسنة هي العقيقة ، وهي ذبح شاة عن الجارية ، وشاتين عن

الغلام ، ويأكل الناس ويطعمونه ، ويدعون للمولود بالبركة ، وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ : عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّى**»[1] ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: عَقَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ الْحَسَنِ بِشَاةٍ وَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ احْلِقِي رَأْسَهُ وَتَصَدَّقِي بِزِنَةِ شَعْرِهِ فِضَّةً**» ، قَالَ: فَوَزَنَتْهُ فَكَانَ وَزْنُهُ دِرْهَمًا أَوْ بَعْضَ دِرْهَمٍ [2] (١٦) .

تاسعًا :الاحتفال بليلة رأس السنة الميلادية الكريسماس

أحبتي في الله ، من المناسبات البدعية الإحتفال بليلة رأس السنة الميلادية ، فمن المسلمين من يحتفل بهذه الليلة ، ووقته أول ليلة من السنة الميلادية ويومها ، وعيدهم السنوى في اليوم السابع من يناير ، والاحتفال معهم بدعة محرَّمة لأن هذا العيد ليس بعيدٍ لنا ، فالاحتفال به يكون فيه مشابهتهم ، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» [3] . ولقد سُئِل الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى عن حكم التهنئة الكفار بعيد الكريسماس؟ فقال : وتهنئتهم بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا ، وإذا هنؤونا بأعيادهم فإننا لا نجيبهم على ذلك ، وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام لأن

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٢٨٣٨ وصححه الألباني في الإرواء ١١٦٥ .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ١٩١٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٦٠ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٠٣١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٤٩ .

في ذلك مشاركتهم ، ويحرُم على المسلمين التشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة ، سواء فعله مجاملة أو توددًا أو حياء أو لغير ذلك من الأسباب ، والله المسئول أن يعز المسلمين بدينهم وينصرهم على أعدائهم ، إنه قوى عزيز (١٦) .

عاشرًا : الاحتفال بأعياد الميلاد وباقي الأعياد البدعية

إخوتي في الله ، أعياد الميلاد بدعة غريبة نقلها إلينا أهل الهوى ، حيث يقيمون حفلاً في عيد ميلادهم ، ويعُدون يوم ميلادهم عيدًا ، تُقدَّم فيه الحلوى والمطاعم والمشارب ، وتقدم الخمر في بعضها ، فينفق فيها أموال باهظة ترهق الأسرة ، وإن كان أصحاب العيد من الأغنياء ، فهذه الأموال ما أحسنها لو أنفقت على الفقراء والمحتاجين ، فالاحتفال بهذا العيد يجلب الفساد ، وارتكاب المنكرات ، حيث يختلط الرجال والنساء ، وهن في زينتهن وتبرجهن ، فضلا على إنفاق المال في غير وجهه الشرعي ، وحبذا لو أنفقت في وجوه الخير والنفع للمسلمين لكان ذلك طاعة ، وقد ينشأ في بعض الأسر خلاف بين الزوج والزوجة بسبب إقامة هذا العيد ، حيث ينكر أحدهما لتدينه ، ويُصِرُّ الآخر على إقامته لتسيبه وجهله بدينه ، وكم من زوجات طلقن بسببه ، وكم من أسر سكن الشيطان ساحة بيتهم ، فساد النكد والغضب والكآبة على البيت . فليت المسلمين يتعرفون على سماحة دينهم ، ويلزمون أنفسهم منهج رسول الله ﷺ ليفوزوا بالسعادة في الدنيا .

وبصفة عامة فإن الشرع نهى عن الاحتفال بسائر الأعياد المبتدعة مع اختلاف مسمياتها فليس للمسلمين إلا عيدان عيد الفطر وعيد الأضحى وفقط ، فهذان هما أعيادنا ، ومن احتفل بغيرهما فقد اقترف بدعة لم تشرع ، وتشبه بغير المسلمين ، ونحن مأمورون بمخالفتهم (١٦) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع والأربعون[من مخالفات العقيدة المنتشرة في الأمة الإسلامية <1>]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ، أحبتي في الله ، لما كان مخالفات العقيدة كثيرة ومتنوعة في الأمة الإسلامية ، اقتصرت هنا على المخالفات كثيرة الانتشار في مجتمعاتنا المعاصرة ، والشائعة بين الناس ، لخطورتها على عقيدة الأمة ، ولما تشيعه من مفاسد في حياة المسلمين ، فمن هذه المخالفات ، قول القرآنيين بالأخذ بالقرآن دون السنة ، وسب الدين والرب وسب رسول الله ، والاستهزاء والسخرية بشعائر الدين أو بالمسلمين والمسلمات وخاصة المتدينين والمتدينات ، ووصف الشريعة بالتخلف والرجعية ، ومخالفات القبور والتوسل بالنبي ﷺ ، وسب الدهر وقول زمن أسود أو زمن غدار ، والتعبد بالأوراد البدعية والشركية ، وحول مخالفات العقيدة المنتشرة في الأمة الإسلامية سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولًا : قول القرآنيين الداعين للأخذ بالقران دون السنة

أحبتي في الله ، هناك طائفة يسمون القرآنيين ، يقولون: الحديث فيه صحيح وضعيف فلا نأخذ به! ويرد عليهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز بقوله :

الرد على القرآنيين من القرآن الكريم

ومن تدبر القرآن العظيم وجد ذلك واضحاً قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٣٢) ﴾ [آل عمران:١٣١-١٣٢] فقُرنت طاعة الرسول بطاعته وعلق الرحمة بطاعة الله ورسوله . وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً(٥٩) ﴾ [النساء:٥٩] ، فأمر بطاعته وطاعة رسوله ، وكرر الفعل في ذلك: ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء:٥٩] ثم قال: ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

﴾ [النساء:٥٩] ولم يكرر الفعل ؛ لأن طاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله ، وإنما تجب بالمعروف ، حيث كان ما أمروا به من طاعة الله ورسوله ، ومما لا يخالف أمر الله ورسوله .ثم بين أن العمدة في طاعة الله ورسوله ، فقال: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] ولم يقل: لأولي الأمر منكم ؛ بل قال: ﴿ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] ، فدل ذلك على أن الرد في منازل النزاع والخلاف إنما يكون لله ولرسوله ، قال العلماء: معنى (إلى الله) أي: إلى كتاب الله ، ومعنى (والرسول) أي: إلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

فعلم بذلك أن سنته مستقلة ، وأنها أصل متبع ، قال جل وعلا: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء:٨٠] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف:١٥٨] وقبلها قوله جل وعلا: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] فجعل الفلاح لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] فذكر أن الفلاح لهؤلاء المتبعين لنبي الله ﷺ دون غيرهم ، فدل ذلك على أن من أنكر سنته ولم يتبعه فإنه ليس بمفلح وليس من المفلحين .

ثم قال بعدها: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨] فعلق الهداية باتباعه عليه الصلاة والسلام ؛ فدل ذلك على وجوب طاعته واتباع ما جاء به من الكتاب والسنة عليه الصلاة والسلام .

وقال عز وجل في سورة الحشر: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧] .

هذه الآيات وما جاء في معناها كلها دالة على وجوب اتباعه وطاعته عليه الصلاة والسلام ، وأن الهداية والرحمة والسعادة والعاقبة الحميدة كلها في اتباعه

وطاعته عليه الصلاة والسلام، فمن أنكر ذلك فقد أنكر كتاب الله، ومن قال: إنه يتبع كتاب الله دون السنة فقد كذب وغلط وكفر؛ فإن القرآن أمر باتباع الرسول ﷺ فمن لم يتبعه فإنه لم يعمل بكتاب الله، ولم يؤمن به، ولم ينقد له؛ إذ أن كتاب الله أمر بطاعة الرسول ﷺ وأمر باتباعه، وحذر من مخالفته عليه الصلاة والسلام، فمن زعم أنه يأخذ بالقرآن ويتبعه دون السنة فقد كذب؛ لأن السنة جزء من القرآن، طاعة الرسول جزء من القرآن، ودل على الأخذ بها القرآن، وأمر بالأخذ بها القرآن، فلا يمكن أن ينفك هذا عن هذا، ولا يمكن أن يكون الإنسان متبعاً للقرآن بدون اتباع السنة، ولا يمكن أن يكون متبعاً للسنة بدون اتباع القرآن، فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

الرد على القرآنيين من السنة النبوية

مما جاء في السنة عن رسول الله ﷺ: ما رواه البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى**»، قَالُوا:؟ يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[1].

وهذا واضح في أن من عصاه فقد عصى الله، ومن عصاه فقد أبى دخول الجنة، والعياذ بالله! وفي المسند و سنن أبي داود و صحيح الحاكم بسند جيد، وَعَنْ الْمِقْدَامِ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه قَالَ: حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أَشْيَاءَ ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ** – أي: كرسيه – **يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ**»[2].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فالواجب على جميع الأمة أن تعظم سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأن تعرف قدرها، وأن تأخذ بها وتسير عليها؛ لأنها

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٢) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ١٢ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١٦٢.

هي الشارحة والمبشرة لكتاب الله عز وجل ، والدالة على ما قد يخفى من كتاب الله ، والمقيدة لما قد يطلق من كتاب الله ، والخاصة لما قد يعم من كتاب الله ، فإذا كانت سنته غير معتبرة ولا يحتج بها ، فكيف يبين للناس دينهم وكتاب ربهم؟ هذا من أبطل الباطل ، فعلم بذلك أنه مبين لما قاله الله ، وأنه الشارح لما قد يخفى من كتاب الله . ، فقد جاءت بأحكام لم يأت بها كتاب الله ، جاءت بأحكام مستقلة شرعها الله عز وجل ولم تذكر في كتاب الله سبحانه وتعالى ، فمن ذلك: تفصيل الصلوات وتفصيل أحكام الزكاة تفصيل أحكام الرضاع ، فليس في كتاب الله إلا الأمهات والأخوات من الرضاع ، وجاءت السنة ببقية محرمات الرضاع: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) وجاءت السنة بحكم مستقل في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها ، وجاءت بأحكام مستقلة لم تذكر في كتاب الله في أشياء كثيرة ؛ في الجنايات ، والديات ، والنفقات ، وأحكام الزكوات ، وأحكام الحج .

دفاع السلف الصالح عن السنة واعتناؤهم بها

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : ولما قال بعض الناس في مجلس عمران بن حصين رضي الله عنه: دعنا من الحديث وحدثنا عن كتاب الله ، غضب عمران رضي الله عنه واشتد نكيره ، وقال: [لولا السنة كيف نعرف أن الظهر أربع ، والعصر أربع ، والعشاء أربع ، والمغرب ثلاث؟] فالسنة بينت لنا تفاصيل الصلاة وتفاصيل الأحكام ، فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعظمون هذا الأمر جداً ، ويحذرون الناس من التساهل بالسنة أو الإعراض عنها ، أو الإنكار .

ثانيًا :سب الدين والرب

إخوتي في الله ، قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى: قال أهل العلم: من سب الله أو رسوله أو كتابه أو دينه فهو كافر ، جادًا أو لاعبًا ، واستدلوا لذلك بقول الله تعالى عن المنافقين الذين كانوا يسبون النبي ﷺ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) ﴾ [التوبة: ٦٥] فقال لهم بعد أن حكى إستهزاءهم: ﴿ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٦] ، وجاء رجل منهم إلى الرسول ﷺ يقول : إنما كنا نتحدث حديث الركب ، لنقطع به عناء الطريق ، فكان النبي ﷺ لا يزيد على أن يقول له ﴿ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦] .

أما إذا قالها عند غضب شديد ، بحيث لا يملك نفسه ، ولا يدري ما يقول ، فإنه لا يكفر بذلك لأنه غير مريد لما يقول ، ولو طلق الإنسان زوجته في غضب شديد ، لا يملك نفسه ، فإن زوجته لا تطلق ، لأنه لم يرد طلاقها ، ولكنه ينبغي عليه إذا أفاق ، وذهب عنه الغضب أن يراجع نفسه ، ويستغفر الله تعالى ، ويطهر لسانه من هذا الشيء القبيح ، ويتعود ذكر الله تعالى والثناء عليه ، فإذا تعود لسانه ذلك فإنه لن ينطق بالسباب ولو عند الغضب ، وبخصوص قبول توبة من سب الله عز وجل أو سب الرسول ﷺ فاختلف في قولين: **الأول:** لا تقبل توبة من سب الله أو سب رسول الله ، وهو المشهور عند الحنابلة بل يقتل كافرا ، ولا يصلى عليه ، ولا يدعى له بالرحمة ، ويدفن بعيداً عن مقابر المسلمين . **والثاني :** من سب الله تقبل توبته لأن الله أخبرنا بأنه يغفر الذنوب جميعا ، ولا تقبل توبة من سب الرسول ﷺ ويجب قتله .

ثالثًا : السخرية من الملتزمين الملتزمات

أيها الأحبة ، من الناس من إذا رأى أخًا فاضلاً قد أطلق لحيته ، ولبس القميص الأبيض ، وتشبه بالنبي فإذا به يسخر منه ، ويقذفه بأبشع الكلمات ، ومنهم من إذا رأى أختا فاضلة قد لبست حجابها ، وغضت بصرها عن النظر إلى الرجال ، وتشبهت بزوجات النبي ﷺ (أمهات المؤمنين) يسخر منها ويقذفها بأبشع الكلمات ، كأن يقول: لابسة خيمة . . إلخ (١٦) .

سُئِلَ ابن العثيمين رحمه الله عن حكم الاستهزاء بالملتزمين والملتزمات بأوامر الله ورسوله؟ فقال هو محرم وخطير جدا على المرء لأنه يخشى أن تكون كراهته لهم

لكراهة ما هم عليه من الاستقامة على دين الله ، وحينئذ يكون استهزاؤه بهم استهزاء بطريقتهم التي هم عليه ، فيشبهون من قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦] ، فإنها نزلت في قوم من المنافقين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - أي :يعنون رسول الله وأصحابه - أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية .

فليحذر الذين يسخرون من أهل الحق ، لكونهم من أهل الدين فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٦] (١٦) .

رابعًا : مخالفات القبور والتوسل بالنبي ﷺ

أيها الأحبة الكرام ، من مخالفات العقيدة طلبَ المددِ من الأمواتِ والتبركَ والطوافَ بقبور الموتى والتوسلَ بالنبي ﷺ ، سئل الشيخ محمد صالح العثيمين العثيمين رحمه الله تعالى عن قول بعض الناس عند الشدة يا رسول الله ، يا علي ، يا جيلاني . . .؟ فقال إذا كان يريد دعاء هؤلاء والاستعانة بهم فهو مشرك شركا أكبر مخرجا عن الملة ، فعليه أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يدعو الله وحده ، وهو مع كونه مشركا فهو سفيه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠] أ . هـ .

وبعض الناس يقولون : مدد يا بدوي ، أو مدد يا أولياء الله فهذا لا يجوز أبدا ، وذلك لأن المدد هو طلب المد والعون ، وهما لا يطلبان إلا من الله ﷻ وذلك لأنه لا يقدر عليهما إلا فاطر السموات والأرض ، وها هو النبي ﷺ يعلم أصحابه ويعلم الأمة من بعدهم فيقول لابن عباس رضي الله عنهما : «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ

فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» [1] .

ومن البدع التي انتشرت في هذا الزمان ذهاب بعض الناس إلى قبور الأولياء الصالحين للتمسح والتبرك بها . . وهذا لا يجوز أبدا لأنه تأليه لصاحب القبر وذلك لاعتقاد من يفعل ذلك أن صاحب القبر ينفع أو يضر من دون الله ﷻ، وأما الطواف فلا يكون إلا بالكعبة وذلك لأن الطواف عبادة من العبادات التي يجب ألا تصرف إلا لله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩] ، فنقول لمن طاف بقبر ولي أو نبي قد وضع تلك العبادة في غير موضعها وابتدع في دين الله ما ليس منه ، ووقع في نوع من أنواع الشرك ، وذلك لأن الطواف بغير الكعبة بنية التعظيم شرك فليحذر كل مسلم من الوقوع في مثل هذا .

والتوسل بجاه النبي ﷺ ليس بجائز ، فيحرم ذلك فلا يقول الإنسان : اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا ، فجاه النبي يختص به النبي (١٦) .

خامسًا : وصف الشريعة بالتخلف والرجعية

أيها الأحبة ، من الناس من يقول ذلك وإذا ما كلمتهم عن سنة النبي ﷺ قال : نحن في عصر الإنترنت والكومبيوتر والفضائيات ، أتريدون أن نرجع مرة أخرى إلى عصر الأغنام والبادية؟!!! ويدخل في ذلك كل تنقص لكتاب الله علي سبيل الاستهزاء والازدراء كمن يقول سورة جيم استخفافا لما جعل الله من سورة (ق) ، (ن) ، (ص) وهكذا كل من ألقى المصحف والقرآن في النجاسات عمداً وهو يعلم أنه من كتاب الله ، ويدخل في ذلك من وصف قطع اليد في السرقة أو الحدود عموما أن هذه وحشية وظلم ، أو وصف جعل حق النساء نصف حق الرجال ، بأنه تضييع لحقوق المرأة أو ظلم لها أو أن هذه أحكام سفيهة لا تصلح لأمة متعلمة ، أو وصف حقوق الزوجة على الزوج بأنها من الاستعباد وسلب حقوقها وظلمها وما شابهه (١٦) .

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٥٧.

سادسًا : سب الدهر وقول زمن أسود أو غدار.. إلخ

معاشر الأخوة ، من مخالفات العقيدة سبُّ الدَّهر كأن يقول القائل : زمن غدار أو زمن أسود أو يا خيبة الزمن الذي رأيتك فيه ، وهذا لا يجوز فهناك وجهان لهذا القول: **الأول:** أن يكون سبًّا في الزمن فهذا حرام ، ولا يجوز ، لأن ما حصل في الزمن فهو من الله ﷻ ، فمن سبه فقد سب الله ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ ﷻ : **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» [(١)] .

الثاني: أن يقولها على سبيل الإخبار فهذا لا بأس به ، ومنه قوله تعالى عن لوط ، عليه الصلاة والسلام: ﴿ **وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)** ﴾ [هود: ٧٧] ، أي شديد وكل الناس يقولون : هذا يوم شديد وهذا يوم فيه كذا وكذا ، وليس فيه شيء .

وأما قول هذا الزمن غدار فهذا سب ؛ لأن الغدر صفة ذم ولا يجوز ، وقول : يا خيبة اليوم الذي رأيتك فيه إذا قصد الزمن أو اليوم فهذا سب له فلا يجوز .

وقال ابن القيم رحمه الله في هذا ثلاث مفاسد **الأول:** سبُّه من ليس بأهل أن يسب فإن الدهر خلْقٌ مسخر من خلق الله منقاد لأمره مذلل لتسخيره ، **والثانية:** أن سبَّه متضمن الشرك فإنه سبه لظنه أن الدهر يضر ، **الثالثة:** أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتَّبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ، وإذا وقعت أهواؤهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه ، وفي حقيقة الأمر فرب الدهر هو المعطي المانع الخافض الرافع والدهر ليس له من الأمر شيء ، فمسبتهم للدهر مسبة لله ، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك ، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل وهو يسب من فعله ، فقد سب الله (١٦) .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٨٢٦ ، ومسلم ٢٢٤٦ .

سابعًا : التعبد بالأوراد البدعية والشركية

عباد الله ، سئل فضيلة الشيخ عبد العزيز باز رحمه الله عن الحكم في تمسك بعض الناس ببعض الأوراد التي ينسبونها إلى أمير المؤمنين عليّ ﷺ ويقرؤون هذه الأوراد في مجالس الذكر وفي المساجد بعد المغرب مثل قولهم : بحق الله ، رجال الله ، أعينونا بعون الله ، وكونوا عوننا بالله ، وكقولهم يا أقطاب يا أسياد أجيبوا يا ذوي الأمداد فينا ، واشفعوا لله ، هذا عبدكم واقف ، وعلى بابكم عاكف ، ومن تقصيره خائف ، أغثنا يا رسول الله ، مالي غيركم أذهب ، ومنكم يحصل المطلب ، وأنتم أهل الله ، وحمزة سيد الشهداء ، ومن فيكم لنا مددا أغثنا يا رسول الله . . إلخ . فقال رحمه الله فيما مختصره: العبادة هي طاعة الله وطاعة رسول الله بفعل ما أمر الله به رسوله ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ، فلا يجوز لأحد أن يدعو إلا ربه ولا يستعين ولا يستغيث إلا به ، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ [الجن: ١٨] ، فالتوحيد أصل دين الإسلام وأصل الملة ورأس الأمر .

وسئل عن من يقول : اللهم صل على من جعلته سببا لانشقاق أسرارك الجبروتية وانفلاق أنوارك الرحمانية فصار نائبا عن الحضرة الربانية وخليفة أسرارك الدنيوية . . إلخ ، فأجاب رحمه الله أن هذا من التنطع في الدين الذي حذر منه رسول الله قائلا: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ، أى المغالون في الكلام ، ولقد علمنا رسول الله عن كيفية الصلاة عليه بقراءة النصف الثاني من التشهد ، فهذه أفضل صيغة ، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٥٠) ﴾ [القصص: ٥٠] (١٦) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الخامس والأربعون [من مخالفات العقيدة المنتشرة في الأمة الإسلامية<٢>

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أحبتي في الله ، لما كان مخالفات العقيدة الإسلامية كثيرة ومتنوعة في الأمة ، اقتصرت هنا على المخالفات كثيرة الانتشار في مجتمعاتنا المعاصرة ، والشائعة بين الناس ؛ لخطورتها على عقيدة الأمة ؛ ولما تشيعه من مفاسد في حياة المسلمين ، فمن هذه المخالفات بناء المساجد على القبور ، ودفن الموتى في المساجد ، ومتابعة أبراج الحظ في الجرائد ، والإعتقاد في بعض الأمور بأنها تمنع الحسد ، وهناك العديد من مخالفات العقيدة اللفظية ، وحول مخالفات العقيدة المنتشرة في الأمة الإسلامية سنكمل حديثنا الذي بدأناه في الدرس السابق في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولاً : بناء المساجد على القبور

أحبتي في الله ، قال فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فيما مختصره: كل من يتأمل أحوال العالم الإسلامي وما حصل فيه من الشرك والغلو بسبب بناء المساجد على الأضرحة وتعظيمها وفرشها وتجميلها واتخاذ الحراس لها ، علم يقينا أنها من وسائل الشرك ، وإن من محاسن الشريعة الإسلامية المنع منها والتحذير من تشييدها حتى لا تقع الأمة فيما وقع فيه من كان قبلها ، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رضي الله عنهما أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ ، فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1] .(١٦)

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٤١ ، و مسلم ٥٢٨ واللفظ للبخاري .

ثانيا : دفن الموتى في المساجد

إخوتي في الله ، من مخالفات العقيدة دفن الموتى في المساجد ، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فيما مختصره: لما أوجب الله ﷻ النصح للمسلمين ، وبيان إنكار المنكر ، رأيت التنبيه على أن الدفن في المساجد لا يجوز ، بل هو من وسائل الشرك ، فالواجب على المسلمين في كل مكان أن يدفنوا موتاهم خارج المساجد ، وأما وجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في مسجده ليس بحجة ؛ لأنه ﷺ دفن في غرفة عائشة رضي الله عنها ثم دفن صاحباه معه ، فلما وسع الوليد بن عبد الملك المسجد أدخل الحجرة في المسجد على رأس المائة الأولى من الهجرة ، وقد أنكر عليه أهل العلم وبذلك يتضح أنهم لم يدفنوا في المسجد ، وعمل الوليد بن عبد الملك لا يصلح أن يكون حجة لأحد ، وإنما الحجة في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة رضي الله عنه ، جعلنا الله من أتباعهم بإحسان ، وَعَنْ جُنْدَبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ . . **«أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»** [(١)] (١٦) .

ثالثًا : متابعة أبراج الحظ في الجرائد

أيها الأحبة ، من مخالفات العقيدة متابعة أبراج الحظ في الجرائد لمعرفة برج الحظ وحظ اليوم ، فتجد الرجل يحسب تاريخ ميلاده ليعرف برجه ، ثم يفتح الجريدة كل يوم لينظر ماذا كتب المنجم في حظه اليوم ، فإذا وجده قد كتب في برجه لا تخرج اليوم ، فهناك مصيبة في انتظارك فإذا به يحبس نفسه ولا يخرج ، وإذا وجده قد كتب في برجه ابتسم ، فهناك صفقة في انتظارك فإذا به يبتسم ويخرج مسرعا ، ومن الممكن أن تصدمه سيارة في هذا اليوم وينقل إلى المستشفى ، وهذا من الشرك ، فإن الله وحده هو الذي يعلم الغيب قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(٦٥) ﴾ [النمل: ٦٥] ، فاحذروا من قراءة هذه

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٣٢ .

الأبراج ، واحذروا أكثر وأكثر من أن تصدقوا ؛ ما جاء فيها فإن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» [1] (١٦)

رابعًا : الاعتقاد في بعض الأمور التي تمنع الحسد (١٦)

معاشر الأخوة ، من مخالفات العقيدة الاعتقاد في بعض الأمور بأنها تمنع الحسد كتعليق حذاء على السيارة ، وقول امسك الخشب ، . . . إلخ .

١- تعليق الحذاء على السيارة أو المصنع: كثير من سائقي التاكسي والميكروباص إذا اشترى سيارة جديدة يعلق عليها حذاءً قديماً من أسفل ظنًا منه أن ذلك يدفع العين ، ويرد الحسد ، وهذا اعتقاد فاسد ، لأن الذي يدفع الضر هو الله عَزَّ وَجَلَّ فعلينا ، أن نأخذ بالأسباب فقط .

٢- قول امسك الخشب: قد تجد طالبًا يجلس مع صديقه ، فإذا ما سأله صديقه: عملت إيه في البكالوريوس؟ وأخذ يقول له: امسك الخشب نجحت بتقدير ممتاز ، وهذا اعتقاد فاسد في أن يعتقد أن كلمة امسك الخشب تدفع عنه الحسد ، وعلى الإنسان إذا رأى نعمة على أخيه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

خامسًا : من مخالفات العقيدة اللفظية (١٦)

١- قول القائل : أن النبي ﷺ هو أول خلق الله وخُلِقَ من نورالله أو نور عرش الله : جاء في فتاوى اللجنة الدائمة لبحوث العلمية والإفتاء فيما معناه : أول خلق الله من البشر آدم عليه الصلاة والسلام بإجماع المسلمين وبصريح القرآن ، ونبيينا محمد ﷺ بشر من سلالة آدم لذا قول من قال : أن نبيينا أول خلق الله أو أول مخلوق من نور الله أو من العرش فقوله باطل ، لا أساس له من الصحة . كما أن قول أن نبينا محمد ﷺ خلق من نور خطأ ، لأنه مخالف للنصوص وللواقع ، فإن الأدلة والحس والمشاهد كلها تدل على أنه خلق من أب وأم ، هما عبد الله

---

(١)(صحيح) أخرجه مسلم ٢٢٣٠ .

بن عبد المطلب ، وأمة آمنة بنت وهب ، وأما قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] ، فالمراد بالنور في ذلك ما يبعثه الله به من الوحي ، ولم يثبت في القرآن ولا في السنة الصحيحة أنه نور عرش الله ، فمن زعم ذلك فهو كاذب وما جاء بأن رسول الله خلق من نور فهي أحاديث موضوعة وليس لها أصل من الصحة .

٢- قول القائل : البقية في حياتك : يقولها المُعَزِّي لمن تُوُفِّي له قريب أو صديق ، ويعني بها أن الميت مات قبل انتهاء أجله ، فهو يدعو له أن ينقل ما تبقى من السنوات من عمر الميت إلى عمر قريبه أو صديقه هذا ، وهذا اعتقاد باطل ، لأنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها ، والأَوْلَى: أن يقول لله ما أخذ ، ولله ما أعطي ، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنْ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ..**» [(١)] .

٣- قول القائل : الرزق يحب الخفية والفهلوة : هذه المقولة يلحقها الخبث من جهتين الأولى: أن أبواب الرزق الشرعية وأسبابه تقوى الله وحسن التوكل عليه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] وقد روي عن ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين : أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له : **إن الله سيجعل لك فرجا** ، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا أن انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج١٠ ص ٢٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٨٥ .

وجاء معه بغنى قد أصابه من المغنم فنزلت فيه ، والثانية أن هذه المقولة دعوة إلى خداع الناس وغشهم ، وهذا يُستجلب به سخط الله وعقابه والله المستعان.

٤- قول القائل : ساعة لقلبك وساعة لربك : فمثلاً تجد السائق يبدأ يومه بتشغيل الكاسيت على القرآن الكريم ، بعد أن ينتهي الشريط تجده يضع أغاني صارخة ، وموسيقي عارمة ، وإذا سألت السائق لم هذا؟ فيقول لك على التو واللحظة: ساعة لقلبك ، وساعة لربك يابيه ، بل ويستدل هؤلاء بحديث حنظلة الأسيدي ﷺ استدلالا خاطئا والذي فيه ، وَعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟! قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**وَمَا ذَاكَ؟!**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**»[(١)] . فهل يجب هؤلاء أن يقضوا ساعة في الجنة وساعة في النار بالطبع لا ، والمقصود أن الإيمان يزداد في بيئات الإيمان ، ويقل إذا اشتغل الإنسان بالأمور الحياتية المباحة .

٥- قول القائل : لو فعل كذا لكان كذا : وهو تسخط على قدر الله وقضائه ، قال فضيلة الشيخ ابن العثيمين رحمه الله تعالى في ذلك: استعمال (لو) لها ثلاثة أوجه ، **الأول**: أن يراد بها الخبر ، فهذا لا بأس ، مثل قول رجل: لو زرتني

(١)(**صحيح**) أخرجه مسلم ٢٧٥٠ .

لأكرمتك ، **والثاني**: أن يقصد بها التمني ، فهذا على حسب ما يتمناه ، فإن تمنَّى خيرًا فهو مأجورٌ ، وإن تمنَّى شرًا فهو مأزور ، كقول العَالِم الفقير: لو أن لي مالاً لعمِلتُ بعمل فلان – رجل صالح – فهما في الأجر سواء ، وقول الرجل الجاهل الفقير: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان – رجلا سيئًا – فهما في الوزر سواء ، **الثالث**: يُراد بها التحسر على ما مضي ، فهذا منهي عنه ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» [1] .

٦– قول القائل : أنا عبد المأمور: فتجد الرجل يخالف الشرع ، وإذا سألته عن ذلك قال: أنا عبد المأمور ، كيف ونحن جميعًا عبيد لله تعالى ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)**﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال النبي ﷺ : «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** » [2] .

٧– قول القائل : السلف تلف والرد خسارة : هذه المقالة لها آفتان:

الآفة الأولي: تدعو إلى عدم تفريج هموم الناس ، وهذا الكلام غير صحيح ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» [3] .

والآفة ثانية: وهذه دعوة للغدر فهو يدعو كل من اقترض قرضا ألا يرده .

---

(١)(**صحيح**) أخرجه مسلم ٢٦٦٤ .

(٢)(**صحيح**) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٩٥ وصححه الألباني ص . ج٧٥٢٠

(٣)(**صحيح**) أخرجه مسلم ٢٦٩٩ .

٨- قول القائل : ربك رب قلوب ، وهذا القول منتشر بين الناس ، إذا أمرت واحداً منهم بتنفيذ أمر من أوامر الله ، أو أمر من أوامر رسول الله ﷺ فأراد ألا يلتزم بذلك ، قال لك: ربك رب قلوب ، وتقول للرجل: صلِّ فيرد عليك: ربك رب قلوب ، وتقول للفتاة: البسي الحجاب ، فتقول لك: الحجاب حجاب القلب ، وهذا كله خطأ ؛ لأن القلب لو كان سليما ؛ لاستقامت الجوارح على الطاعة ، فلابد من الإيمان والعمل الصالح ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1]

٩- قول القائل : زنوبة وخدوجة على النعال : من المخالفات المنتشرة إطلاق لفظ زنوبة وخدوجة على النعل المعروف بالشبشب عند أكثر الناس ، ونحن نعلم أن كلمة زنوبة تشير إلى اسم زينب ، وكذلك فإن كلمة خدوجة تشير إلى كلمة خديجة ، وهذان الاسمان من أسماء زوجات النبي ﷺ رضي الله عنهن جميعًا ، فيجب ننتهي عن هذا إكرامًا لهن .

١٠- قول القائل : علقها في رقبة عالم واطلع سالم : وهذه دعوة إلى أن يبحث العبد عن مخرج من المسئولية الشرعية بأي صورة كانت ، مما يُضيِّع الشرع في نفوس العوام ، ظنًا منهم أن ذلك يرفع عنهم الإثم ، قال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ (٢٥) ﴾ [النحل: ٢٥] ، فَجَعل أمر من أمور الدين في رقبة العالِم لا يجعل العبد سالمًا إلا أن يكون الأمر حقًا ، أو يعفو الله ﷻ ، فهذه مقولة باطلة فاسدة المعنى ، تؤدي إلى مسلك فاسد في أخذ الدين .

١١- ألفاظ أخرى شركية : ومن أمثلتها : أعوذ بالله وبك ، أنا متوكل على الله وعليك ، هذا من الله ومنك ، ما لي إلا الله وأنت ، الله لي في السماء وأنت لي في الأرض ، لولا الله وفلان ، أنا بريء من الإسلام ، شاءت الطبيعة ،

---

(١)(صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٦٤ .

اشتراكية الإسلام ، ديموقراطية الإسلام ، إرادة الشعب من إرادة الله ، الـدين لله والوطن للجميع ، باسم العروبة ، باسم الثورة ، ملك الملوك ، قاضي القضـاة ، إطلاق لفظة سيد وما في معناها على المنافق والكافر (باللغة العربية أو بغيرها) .

سادسًا : التسمي بأسماء خاطئة

أيها الأحبة في الله ، من مخالفات العقيدة ، التسـمي بعبـد الحـارث ، فيـه نسـبة العبودية لغير الله فإن الحارث هو الإنسان ، وهذا نوع من الشرك لكنه لا يصـل إلى الشرك الأكبر ، ولو سُمي شخص بهذا الاسم لوجب عليه أن يغيره إلى اسم آخر ، وما اشتهر عن العامة: خير الأسماء ما حُمِّد وما عُبِّد ونسـبتهم ذلـك لرسـول الله فليس بصحيح ، فَعَنْ أَنَس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ خَـيْرَ الْأَسْـمَاءِ عَبْـدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالْحَارِثُ** » [1] (١٦) .

وتسمية الولد عبد الموجود: هذا خطأ وصوابه عبد الواجد ، وتسمية الولـد عبـد العال: خطأ والصواب عبد المُتَعَال ، وعبد السَّتَّار: خطـأ والصـواب عبـد السِتِّير ، وعبد النبي: هذا خطأ والصواب عبد رب النبي .

سابعًا : اعتقاد أن الرسول ﷺ أول خلق الله (١٦)

أيها الأحبة الكرام ، من مخالفات العقيدة أن كثيرا من المؤذنين والمبتهلين الـذين يتغنون قبل الآذان بما يسمى بالتواشيح وهي أشعار تحتوي على كثير من الكلمـات والعبارات التي تخـالف صـريح القـرآن وصـريح السـنة ، ولعـل مـن أشـهر تلـك العبارات قولهم عن رسول الله ﷺ يا أول خلق الله وخاتم رسل الله ، وهـذا خطـأ كبير لأن النبي ﷺ ليس أول خلق الله ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، قَالَ رَبِّ : وَمَـاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ** » [2] .

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٦٠٦ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٠٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٧٠٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠١٨ .

ثامنًا : تكفير المسلمين بغير حجة ولا برهان

عباد الله ، من مخالفات العقيدة التي انتشرت في الآونة الأخيرة انشغال بعض الشباب الذي يخطو خطواته الأولى في الالتزام بتكفير من حوله من المسلمين ، وكان يجب عليه أن ينشغل بنفسه أولاً فيبدأ بحفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية وإصلاح عيوبه وآفاته وتخليص قلبه من الأمراض بدلاً من أن ينشغل بعيوب الناس وينسى نفسه فيضيعها ، ومن المعلوم أن إلقاء المسلم كلمة الكفر على أحد من المسلمين أمر في غاية الخطورة ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» [(1)] (١٦) .

تاسعًا :من فتاوى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين

١٣١) ماذا عن قول المادة لا تفنى ولا تزول ولم تخلق من عدم ؟ الفتوى (٤٩٧) .

القول بأن المادة لا تفنى وأنها لم تخلق من عدم كفر لا يمكن أن يقوله مؤمن ، فكل شيء في السماوات والأرض سوى الله فهو مخلوق من عدم كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الزمر :٦٢] وليس هناك شيء أزلي أبدي سوى الله ، وأما كونها لا تفنى فإن عنى بذلك أن كل شيء لا يفنى لذاته فهذا أيضًا خطأ وليس بصواب ؛ لأن كل شيء موجود فهو قابل للفناء ، وإن أراد به أن من مخلوقات الله ما لا يفنى بإرادة الله فهذا حق ، فالجنة لا تفنى وما فيها من نعيم لا يفنى ، وأهل الجنة لا يفنون ، وأهل النار لا يفنون . لكن هذه الكلمة المطلقة المادة ليس لها أصل في الوجود وليس لها أصل في البقاء" هذه على إطلاقها كلمة إلحادية .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦١٠٤ ، و مسلم ٦٠ واللفظ للبخاري .

الدرس السادس والأربعون[أسباب ظهور الفرق الإسلامية]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أحبتي في الله ، لقد دخل في الإسلام طائفة خلصت قلوبهم من أدران التقليد والعصبية ، واستمسكوا منه بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ودخل في الإسلام بجانب هؤلاء طائفة ثانية من الناس تقليداً وانسياقاً مع الجمهور ، فكان سواء لديهم انتصرت الدعوة الإسلامية أم لم تنتصر ، ودخلت طائفة ثالثة من عامة أهل الأديان الأخرى على الأخص اليهودية والمجوسية دخلوا في هذا الدين أيام الفتوح التي أخضعت الدولتين الكبيرتين اليونانية والفارسية ، فراراً من الجزية التي يدفعها الذمي أو المجوسي للدولة المسلمة ، ودخلت طائفة رابعة من دهاة الأديان الأخرى ذوو الخبث والمكر منهم وعلى الأخص اليهودية والمجوسية أيضاً تظاهروا بالدخول في الدين الجديد ، وهم يضمرون في أنفسهم الكيد والمكر والخديعة ، ويتحينون الفرصة للانقضاض على هذا الدين الذي بسط سلطانه على رقعة الأرض المعروفة يوم ذاك ، ويعملون في الخفاء لإيجاد هذه الفرصة فيلبسون للناس عباءة الصلاح تارة ، وعباءة الحرص على تعاليم الدين تارة أخرى ، وعباءة محبة رسول الله ﷺ وآل بيته الطاهرين ، ويؤولون تعاليم الشريعة ، ويدخلون فيها ما ليس منها ، ويضعون على الرسول أحاديث تؤيد دعواهم ، ويطالبون الأغرار وهم الطائفتان الثانية والثالثة بالقيام لنصرة الدين ، أو لنصرة آل الرسول الذي جاء بهذا الدين ، هذا فيما نعتقد هو الأصل الأصيل في الفُرقة التي حدثت في الإسلام ، وهو غض طري ، لم يكتمل عليه قرن واحد"(٢) ، وحول أسباب ظهور الفرق الإسلامية سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولاً : ظهور فرق الشيعة

أيها الأحبة ، قال ابن حزم رحمه الله فيما معناه في كتابه الفصل في الملل

والأهواء والنحل: أن المجوس اجتمعوا لمحاربة الإسلام وأهله ، بأسلوب الخداع والمكر ، حين عجزوا عن مواجهته علناً فأظهروا الإسلام للكيد وأظهروا للناس محبة أهل البيت لما يعلمون من تقدير المسلمين لأهل بيت رسول الله ﷺ". وقد اختاروا بعد تأمل ودراسة لأحوال المسلمين أهل التشيع ، وذلك لوجود ثغرتين خطيرتين فيهم مكّنتا المفسدين من التلاعب بهم ، وبث ما يريدون من الفكر الهدام .

الثغرة الأولى: عدم التزامهم بمنهج أهل الحديث القائم على تلقي العلم والحديث بالسند المتصل عن الثقات ، فقد كانوا يأخذون قول كل من أعجبهم قوله ، وأثار عواطفهم نحو أهل البيت ، وتباكى على ما حصل عليهم من الظلم بزعمهم .

الثغرة الثانية: عدم عرض أقوال الرجال على ميزان الشرع ، وإنما الحق عندهم يعرف بالرجال ، فمن ارتضوا ما ظهر من حاله ، وأعجبوا بقوله قبلوا منه ، وجعلوه حجة ، فسهل على أهل الكيد والمكر التلاعب بهم وخداعهم .

كما أن هذين المبدأين وهما: تلقي العلم بالسند المتصل عن الثقات ، وعرض

أقوال الناس مهما كانوا على ميزان الكتاب والسنة-كانا بعد توفيق الله السبب الأهم في حفظ الله أهل الحديث على الصراط المستقيم ، وتحصينهم من الأفكار المضللة .كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم وكان رائد هؤلاء المفسدين عبد الله بن سبإ الحميري ؛ الذي أنشأ فرقة السبئية ، بل إن كل فرق الشيعة إنما حدثت من جراء ما أحدثه من الأفكار ، وهو أول من قال بالنص على ولاية علي رضي الله عنه ، وبرجعته في آخر الزمان ، والقول بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه – أي: انتقال الروح من الميت وولادتها في شخص آخر- ، كما كان ابن سبإ السبب في إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه ، فلقد سعى عبد الله بن سبأ في الفتنة بين المسلمين حتى قتل عثمان ، وفي المؤمنين من يستجيب للمنافقين ، كما قال تعالى: ﴿لَوْ

خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧] .

ثم إنه لما تفرقت الأمة ، ابتدع ما ادعاه في الإمامة من النص والعصمة ، وأظهر التكلم في أبي بكر وعمر ، وصادف ذلك قلوباً فيها جهل وظلم ، وإن لم تكن كافرة ، فظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك ، ثم لما تمكن الزنادقة أمروا ببناء المشاهد ، وتعطيل المساجد محتجين بأنه لا تصلى الجمعة والجماعة إلا خلف المعصوم .ورووا في إنارة المشاهد ، وتعظيمها والدعاء عندها من الأكاذيب ، وكَذَبوا على النبي ﷺ وأهل بيته ، أكاذيب بدلوا بها دينه ، وغيروا ملته ، وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد ، فصاروا جامعين بين الشرك والكذب .

ولم يمض القرن الأول إلا وقد أثمرت جهود المفسدين الحاقدين عن قيام فرق الشيعة الضالة ، التي استحوذت على عدد كبير من المنتسبين للإسلام ، وتبنت كثيراً من الأفكار الهدامة ، والعقائد الضالة ، وتفرقت في البلاد ، وأصبح لها علماؤها ودعاتها ، الذين يهدمون في جسد الأمة من داخلها (٢) .

وجاء في كتاب المذاهب والملل : لم يكن الشيعة على درجة واحدة ، بل كان منهم الذين غلوا في تقدير عليّ مرتبة النبوة وجعلوه في منزلة أعلى من النبي ﷺ ، وينكر الشيعة الحاضرون نسبة هؤلاء الغلاة إلى الشيعة ، ومن هؤلاء السبئية والغرابية ، وانقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة وأكثرها انتشارًا اليوم الشيعة الاثنا عشرية وهم موجودون في الخليج العربي وإيران ، ومن أقوال الشيعة الاثنا عشرية أن الأئمة لم يعرفوا بالوصف بل عينوا بالشخص فقالوا: عيَّن رسول الله ﷺ عليًّا رضي الله عنه ، وهو يعين من بعده بوصية من النبي ويسمون بالأوصياء وقرروا أن الأوصياء من بعد على رضي الله عنه من أولاد فاطمة رضي الله عنها فيرون أن الخلافة بعده : للحسن ، ثم للحسين رضي الله عنهما ، ثم لعلى زين العابدين ، ومن بعده لمحمد الباقر ، ثم لعبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ثم لابنه موسى الكاظم ، ثم لعلى الرضا ،ثم محمد الجواد ، ثم لعلى الهادي ، ثم للحسن العسكري ، ثم لمحمد بن الحسن العسكري

وهو الإمام الثاني عشر ، ويعتقدون أنه دخل سردابًا في دار أبيه ولم يعد بعد وقيل: كان عمره آنذك أربع سنين أو ثماني سنين ، والأئمة عند الاثنى عشرية قد أحاطوا علمًا بكل شيء يتصل بالشريعة ، وقالوا: إن الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان والمعاصي ، وأجازوا جريان خوارق العادات على أيديهم ، وفي الحقيقة هذا الكلام لا دليل على صحته والدليل قائم على بطلانه لأن محمدًا ﷺ قد أتم بيان الشريعة قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة: ٣] ، ولو كان قد أخفى شيئا فما بلغ رسالة ربه وهذا مستحيل ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧] ، ولأنه لا عصمة إلا لنبي ولم يقم دليل على عصمة غير الأنبياء ، (٣٩) .

ثانيًا :ظهور فرق الخوارج

أيها الأحبة الكرام ، قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في شأن البيعة لعلي: لما قتل عثمان ﷺ سعى الناسُ إلى عليٍّ ﷺ وقالوا: لابد للناس من إمام؟ فحضر طلحة بن عبيد الله ﷺ والزبير بن العوام ﷺ فالأعيان من المهاجرين والأنصار فبايعوا عليا ﷺ وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله ﷺ ثم تتابع الناس بعد ذلك ، وقد بويع يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة ، في سنة خمس وثلاثين ، وقيل: لخمس بقين من ذي الحجة .

وجاء في أحداث النهاية : أرسل الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ إلى أهل الشام يدعوهم إلى مبايعته ، وحقن دماء المسلمين ، ولكنهم رفضوا ، فقرر المسير بقواته إليهم وحملهم على الطاعة ، والتقت قوات الطرفين عند صفين بالقرب من الضفة الغربية لنهر الفرات ، وبدأ بينهما القتال يوم الأربعاء الأول من صفر من العام السابع والثلاثين من الهجرة ، ولما كثر القتل في المسلمين رفع أهل الشام المصاحف على ألسنة الرماح بعدما كادت المعركة تنتهي لصالح علي ﷺ ، إلا أن فريقا من جيش علي يقال لهم القراء الذين يعرفون باسم الخوارج قالوا: لا بد من التحاكم إلى كتاب الله! وهل خرج عليٌّ إلا لينصر كتاب الله سبحانه وتعالى؟! ا هـ .

وجاء في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : وعندما أعلن أمير المؤمنين علي سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة ، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثًا: لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا .ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكمًا ، طلبوا منه الامتناع عن ذلك ، فأبى ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدرًا ونقضًا للأيمان والعهود ، فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين .

وقد حاربهم أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ في الوقعة الشهيرة بوقعة "النهروان" وهزمهم ، وقتل منهم كثيرًا ، ولكنه لم يستطع إبادتهم ، حتى دبروا له مكيدة قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم عليه من الله ما يستحق ا هـ .

ثالثًا :ظهور أصحاب التأويل

أيها الأحبة في الله ، جاء في أثر الإيمان في تحصين الأمة فيما معناه: هذه الفرق هي التي أولت صفات الله كالقدرية ، والجبرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والمعتزلة . .

القدرية : حدث في زمن المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر ، ومعبد بن عبد الله الجهني نزيل البصرة ، أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة ، وقيل إنه أخذ قوله في القدر من رجل نصراني اسمه سوسن أظهر الإسلام وقذف بين المسلمين القول في القدر ، ثم لحق بدينه النصراني ، مات قبل سنة ٩٠هـ ، وورثه عن معبد غيلان الدمشقي وهو من أوائل من قال بإنكار القدر– ويلاحظ أن هذه الفكرة دخيلة على الإسلام وراجت بين المسلمين من عنصر أجنبي دعا إليها باسم الإسلام ، وهو يضمر غيره ، ويروى أن معبد بن خالد الجهني قال لا قدر والأمر أنف أي أن الأمور يستأنف العلم بها – ، ناظره الأوزاعي فلم يرجع عن بدعته ، فأفتى بقتله فقتله هشام بن عبد الملك ، وكذلك ورثه الجعد بن درهم وهو مؤدب مروان بن محمد الأموي ، أول من ابتدع في هذه الأمة إنكار أن الله اتخذ

إبراهيم خليلاً ، وأنه كلم موسى تكليماً ، وأخذ عنه الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية ، وقد قتل الجعد والي العراق خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤هـ (٢) .

الجهمية : جاء من بعدهم الجهم بن صفوان وهو تلميذ الجعد بن درهم الذي قتل على الزندقة ، والجهم هو أول من جاهر بالقول بخلق القرآن ،وهي عقيدة باطلة ، قالت بها الجهمية ، وتبعها على ذلك المعتزلة ، . . وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله ، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل .والذي دل عليه القرآن والسنة ، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة ، بكلام بدأ منه بحرف وصوت ، يسمع منه متى شاء كيف شاء ، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق . وتعطيل الباري تعالى عن صفاته وإليه تنسب الجهمية ، ، هلك في زمان صغار التابعين ، وزرع شراً عظيماً، وكان مع بدعته يحمل السلاح ويخرج على السلطان ، قتله سلم بن أحوز في آخر زمان بني أمية ، فنفث في روع أناس من شروره الفكرية ، فصبغت تلك الشرور كثيراً من الفرق المنتسبة إلى الإسلام على درجات متفاوته . فتكلم بفكرة الجبر ، وتعطيل صفات الله عز وجل (٢) .

المرجئة : وفكرة الإرجاء أي التأخير ، والمراد به تأخير العمل عن الإيمان ، حيث زعموا أن الأعمال الصالحة من الأقوال ، والأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان ، وترتب على هذا القولُ بعدم زيادة الإيمان ونقصانه ، والمرجئة فرق كثيرة مختلفة في قولها في الإرجاء ، فمنهم الجهمية الذين قالوا: الإيمان هو المعرفة فقط ، ومنهم من قال: هو تصديق القلب ، كالأشاعرة ومن نحا نحوهم ، ومنهم من قال: هو قول اللسان كالكرامية ، ومنهم من قال هو: تصديق القلب وقول اللسان . وأن الإيمان هو المعرفة بالله ، والكفر هو الجهل به (٢) .

المعتزلة : ظهرت فرقة المعتزلة على يدي واصل بن عطاء وهو أول من قال

بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ، وأحد شيوخ المعتزلة ، صنف كتاب المنزلة بين المنزلتين توفي سنة ١٣١هـ ، وكذلك على يد عمرو بن عبيد كبير المعتزلة وأحد شيوخها الأوائل . تركه عدد من الأئمة لبدعته . صنف كتاب العدل والتوحيد مات سنة ١٤٣هـ ، وقد كانوا متأثرين بأفكار الجهمية ، وراموا الرد على الجهمية بطريقة خالفوا فيها أهل الحق ، كما تبنوا بعض أفكار الجهمية ، كالقول بخلق القرآن وتعطيل الصفات وغير ذلك ، فأخذوا من التجهم بنصيب (٢) .

الأشاعرة : وظهرت على يد أبو الحسن الأشعري الذي ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ ، وتخرج على المعتزلة في علم الكلام وتتلمذ لشيخهم أبي على الجُبَّائي ، وكان أبي على الجبائي قد عينه نائبا له لفصاحته ، ولكن الأشعري وجد ما يبعده عن المعتزلة في تفكيرهم ، فعكف الأشعري في بيته مدة وازن بين أدللة المعتزلة وأدلة أهل السنة فخرج على الناس وناداهم بالإجتماع إليه فرقى المنبر يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة وخطب خطبة كان في نهايتها وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما إنخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب عليه ، ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين ، ولقد نال الأشعري منزلة عظيمة ، ولقد تصدى للرد على المعتزلة ومهاجمتهم ، وتصدى للرد على الفلاسسفة ، والقرامطة ، والباطنية ، والأشاعرة في خط بين الإعتزال وأهل الحديث (٣٩) .

وقال الشيخ : خالد عبد المنعم الرفاعي : وقد مرَّ الأشعريُّ بثلاث مراحل كما ذكر ذلك ابن كثير والزبيدي وغيرهما: مرحلة (الاعتزال) ، ثم (متابعة ابن كِلاب

) ، ثم (موافقة أهل السُّنة) ، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل .

الماتريدية : ثم ظهرت الماتريدية- أتباع أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي المتوفي سنة ٣٣٣هـ الذي تصدى إلى المعتزلة ، والعقل له سلطان كبير في منهاج الماتريدية وهم في خط بين المعتزلة والأشاعرة (٣٩) .

رابعًا : تأويل نصوص الصفات تحريف محرم

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : ولا ريب أن تأويل نصوص الصفات عن ظاهرها تحريف محرم لوجوه منها :

١ – أنه جناية على النصوص حيث صرفها عن ظاهرها ، والله سبحانه وتعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر ، فوجب حمل كلاميهما على ظاهرهما المفهوم بمقتضى اللسان العربي ، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف ، والتمثيل في صفات الله .

٢ – أن صرف كلام الله عن ظاهره إلى معنى يخالفه ، قول على الله بغير علم وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(٣٦) ﴾[الإسراء :٣٦] ، فالصارف لكلام الله عن ظاهره قال على الله بلا علم من وجهين :**الأول** : أنه زعم أن الله لم يرد بكلامه كذا ، **والثاني** : أنه قال : إنه أراد به كذا لمعنى آخر لم يدل عليه ظاهر الكلام ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص:٧٥] ، فإذا صرف الكلام عن ظاهره قال لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد القدرة قلنا : ما دليلك على ما نفيت ؟ وما دليلك على ما أثبت ؟ فإن أتى بدليل وأنَّى له وإلا كان قائلا على الله بلا علم في نفيه وإثباته .

٣ – أن فيه مخالفة لما كان عليه النبي ﷺ ، وسلف الأمة ، وأئمتها .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

الدرس السابع والأربعون[الفرق الإسلامية]

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..أما بعد ،
أحبتي في الله ، بالرغم أن المسلمين كانوا في صدر الإسلام فرقة واحدة ، ولكن حدثت الفتن وتفرق المسلمون ، فأصبحوا فرقا عدة ، ولقد أخبرنا الله تعالى بأن رسول الله بريء من هذه الفرق المختلفة وحكمهم يوم القيامة إلى الله تعالى ثم يخبرهم بأعمالهم ، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾ [الأنعام: ١٥٩] .
وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**»[١] .

وقال عبد الله بن المبارك : أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء فمن هذه الأربعة تشعبت الاثنان وسبعون هوى وهم: القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج ، فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على أصحاب رسول الله ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم ؛ فقد خرج من التشيع أوَّلِهِ وآخرِهِ ، ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ؛ فقد خرج من الإرجاء أوَّلِهِ وآخرِهِ ، ومن قال الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد مع كل خليفة ، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ، ودعا لهم بالصلاح ؛ فقد خرج من قول الخوارج أوَّلِهِ وآخرِهِ ، ومن قال المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء ؛ فقد خرج من قول القدرية أوَّلِهِ وآخرِهِ وهو صاحب سنة ، وأهل السنة والجماعة هم أمة الجماعة الباقية على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وحول الفرق

(١) **(صحيح)** أخرجه ابن ماجه ٣٩٩٢ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ١٤٩٢ .

الإسلامية سيكون حديثنا في هذا اليوم المبارك ، فأعيروني القلوب والأسماع جيدا ، أسأل الله أن يقر أعيننا بالتمكين لعقيدة التوحيد والموحدين .

أولاً : فرق الشيعة

أحبتي في الله ، جاء في كتاب (من عقائد الشيعة الإثنا عشرية للمؤلف أحمد طلب) : وآراء الشيعة تتلاقى حول المبادئ الآتية :

١- الإمامة ركن في الدين: أجمع علماء الشيعة بجميع فرقهم عدا الزيدية على أن الخلافة (ويسمونها الإمامة) ركن في الدين ، ومن لم يقر بإمامة عليّ والأئمة من ذريته من بعده فهو كافر خالد في النار وفي هذا السياق يقول الخميني: إن من ضرورات مذهبنا أن لائمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل . انظر كتابه (الحكومة الإسلامية ص ٥٢) ، وفي خطاب ألقاه بمناسبة ذكرى مولد المهدي في ١٥ شعبان ١٤٠٠ هـ قال: لقد جاء الأنبياء جميعا من أجل إرساء قواعد العدالة لكنهم لم ينجحوا ، حتى النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء . . الذي جاء لإصلاح البشرية لم ينجح في ذلك ، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر اهـ .

٢- نظرية الرجعة : وأكثرهم يقول بعودة إمام منتظر يملأ الأرض عدلا هو المهدي المنتظر وإن اختلفوا فيه ، وهو في اعتقادهم لم يمت بل هو في حالة غيبة مؤقتة ، ولذلك يسمونه الإمام المستتر وهو يدبر الأمور في فترة استتاره ولذلك يسمى قائم الزمان ، وعندما يعود هذا الإمام سيقوم بصلب أبي بكر وعمر على شجرة رطبة ثم تصير يابسة بعد الصلب ، ثم يحيي السيدة عائشة أم المؤمنين ويقيم عليها الحد . انظر (حق اليقين لمحمد الباقر المجلسي ص ٣٤٧) .

٣- موقفهم من القرآن : قال د . محمد عمارة : أن الشيعة الأمامية الاثني عشرية مجمعون على أن القرآن قد حرف وبدل وجرت عليه الزيادة والنقصان وجمهور الشيعة على ذلك ، ولهم كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) لحسين بن محمد النوري الطبرسي ، وقد أورد الكليني مجموعة من

الروايات قال فيها : (إن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام . . . مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد) .

٤- موقفهم من السنة النبوية : وقال في موضع آخر في بعض حديثه عن الشيخين أبي بكر وعمر إن مثل هؤلاء الأفراد الجهال والحمقى ، الأفاقون والجائرون غير جديرين بأن يكونوا في موضع الإمامة ، وإني أتسائل: أي اعتبار يبقى بعد الوقوع في أصحاب الرسول ﷺ فإذا كانت تربية الرسول لم تصل بالناس إلى المعاني السامية والأخلاق العالية فما هو حال غيره؟!

٥- مخالفتهم للإجماع : قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾ [النساء : ١١٥] .

فهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة ، وأوضح مثال عند الشيعة على مخالفتهم الإجماع هو إباحتهم لنكاح المتعة الذي لازال قائما . . حتى الآن وما هو إلا زنا صريح بعد انعقاد الإجماع على تحريمه وممن قال بتحريمه : علي بن أبي طالب ، وقد قال فتح الله الكاشاني في كتابه (منهج الصادقين): إن المتعة من ديني ودين آبائي فالذي يعمل بها يعمل بديننا ، وولد المتعة أفضل من ولد الزوجة الدائمة ومنكر المتعة كافر مرتد .

وقد قال إمامهم الخميني: لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضماً وتفخيذاً انظر كتابه (تحرير الوسيلة ٢/ ٢٤١ مسألة رقم ١٢) .

وهم لايرون باسًا من أن يعين الأب ابنته على أن تجد من يتمتع بها لبضع ساعات ، لأنه تعاون على البر والتقوى ، ومساعدة على إقامة شعائر الدين .

٦- قولهم بالبداء : والمقصود بالبداء عندهم أنهم يجوزون أن يريد الله شيئاً ثم يبدو له خلافه أي يظهر له ما لم يكن ظاهراً فيغير أمره الذي بدا له !!! تعالى الله عما يقولون ، والقول بالبداء يستلزم سابق الجهل وألا يكون الله عالم بعواقب

الأمور !!! وإنما لجأ الشيعة إلى القول بعقيدة البداء لأن أئمتهم كانوا يخبرون أخبار فإن تحققت قالوا ألم نقل لكم أننا نعلم الغيب من الله وإن خالف الواقع ما أخبروا به قالوا بدا لله أمر فغير ما أخبرناكم به !!! وهذا قول كذب و باطل لايستحل أي مسلم أن يقوله على الله سبحانه وتعالى .

٧- التقية : و هي كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ، وموراة المخالفين ، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا ، واستدل الشيعة على التقية بالآيات التي استدل بها أهل السنة ، ولكن الشيعة تستخدمها مع المسلمين ولا سيما أهل السنة لأنهم يرون أهل السنة أشد كفراً من اليهود والنصارى ؛ لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة عندهم . والتقية عندهم ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم ، حتى قال قائلهم : **" اعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها بمنزلة من ترك الصلاة" ، وجعلوا التقية " تسعة أعشار الدين " ، " وأن من لا تقية له لا إيمان له "** .

٨- صلاتهم على الشقفة : قال الدكتور يوسف القرضاوى : إن الحصاة التي يضعها الشيعة في قبلتهم عند كل صلاة ، ويتحرون السجود عليها ، ويشيع أنها من (طينة كربلاء) ، فيها رائحة تقديس للحجارة والحصى ، وهو من رشحات الوثنية التي يرفضها الإسلام ، ويسد الذرائع إليها .

٩- غلوهم في فاطمة الزهراء رضي الله عنها: إن كتب الشيعة تنص على أن الوحي تنزل على فاطمة رضي الله عنها بعد أبيها عليه الصلاة والسلام ، يقول الخميني في خطابه بتاريخ ٢/ ٣/ ١٩٨٦:(وإن فاطمة الزهراء عاشت بعد وفاة والدها خمسة وسبعين يوما قضتها حزينة كئيبة وكان جبريل الأمين يأتي إليها لتعزيتها وإبلاغها بالأمور التي ستقع في المستقبل ، وكان عليٌّ يكتب هذه الأمور التي تنقل لها من قبل جبريل ، وهذه من الفضائل الخاصة بالصديقة فاطمة الزهراء) .

١٠- إغضاب السيدة فاطمة رضي الله عنها : فهم يقولون أن أبا بكر أهان السيدة فاطمة وأحرق بيتها وأسقط جنينها ونحن نقول :أن محبة السيدة فاطمة والدفاع عنها حق لا نجادل فيه لكن قصة احراق البيت واسقاط الجنين مكذوبة بل فيها إهانة للإمام عليّ نفسه لأنه رجل شهم فكيف ينظر الى امرأته يحدث لها هذا ولا يتحرك .

ثانيا : فرق الخوارج

إخوتي في الله ، في مقابل الشيعة الذين غلوا في علي رضي الله عنه ، ظهرت فرقة الخوارج وهم الذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم تفرقوا إلى فرق كثيرة ، ولا يزال لهم وجود إلى الآن ، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر ، وأن الله يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا فرقة من فرقها وهي النجدات لم يقولوا بذلك ، ولقد تأسست فرق الخوارج على أفكار ضالة: كتكفير علي وعثمان رضي الله عنهما ، والإكفار بارتكاب الكبائر ، ووجوب الخروج على الإمام الجائر(٢) .

واجتمعت فرق الخوارج على عدد من المباديء أهمها تكفير أهل الذنوب ، ولم يفرقوا بين ذنب وذنب ، بل اعتبروا الخطأ في الرأى ذنبًا إذا أدى إلى مخالفة وجه الصواب في نظرهم ، لذا كفروا عليًا بالتحكيم .

وتشعبت الخوارج فظهر عدة فرق كل فرقة تفردت ببعض الآراء أقواها شكيمة فرقة الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق وكان من بني حنيفة وكان من معتقدهم أنهم يرون مخالفيهم مشركين مخلدون في النار ، ويستبيحون فيهم ما يستباح من الكفار ، ومن آرائهم أن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار ، ولا يقرون حد الرجم ، ويقولون ليس في القرآن إلا حد الجلد للزاني والزانية ، ويرون حد القذف لا يثبت إلا لمن يقذف محصنة بالزنا ، ولا يثبت على من يقذف محصن من الرجال ، ويرون أنه يجوز أن يرتكبوا الكبائر والصغائر ، بينما يكفرون مرتكب الكبيرة

ويجوزنها على الأنبياء (٣٩) .

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ مرفوعًا: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ» [١] .

ثالثًا : فرق القدرية

معاشر الأخوة ، قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى: القدرية مجوس هذه الأمة الذين قالوا: إن الله سبحانه وتعالى لم يُقدِّر أفعال العباد وليست داخلة تحت مشيئته وليست مخلوقة له ، بل كان زعماؤهم وغلاتهم يقولون: إنها غير معلومة لله ، ولا مكتوبة في اللوح المحفوظ ، وأن الله لا يعلم بما يصنع الناس ، إلا إذا وقع ذلك ويقولون: إن الأمر أُنُف ، أي: مُستأنف وأن الله تعالى لا يعلم الشئ إلا بعد وقوعه ، وهؤلاء أدركوا آخر عصر الصحابة ، فقد أدركوا زمن عبد الله بن عمر ﷺ وعبادة بن الصامت وجماعة من الصحابة ا هـ .

رابعًا : فرق المرجئة

أيها الأحبة في الله ، نشأت هذه الفرقة في وسط شاع فيه الكلام في مرتكب الكبيرة : أهو مؤمن أم غير مؤمن ، فالخوارج قالوا : كافر ، والمعتزلة قالوا : غير مؤمن ، وقد سمي مسلمًا ، وقال جمهور المسلمين : هو مؤمن عاص أمره بيد الله إن شاء عذبه بقدر ذنبه ، وإن شاء عفا عنه ، وفي وسط هذا الإختلاف جهرت هذه الفرقة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، ومن المنتمين إليهم قالوا إن أمر المرتكب يرجأ إلى الله تعالى يوم القيامة ، وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب ، وأن الإيمان إقرار وتصديق واعتقاد ومعرفة ، ولا يضر مع هذه الحقائق معصية ، فالإيمان منفصل عن العمل ، بل منهم من غالى وأفرط

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٧٧١ .

وتطرف ، فزعم أن الإيمان إعتقاد بالقلب ، وإن أعلن الكفر بلسانه ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب ، وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ومن أهل الجنة ، وكذلك يقولون: تزني وتسرق وتشرب الخمر ، وتقتل ما دمت مؤمنًا ، فأنت مؤمن كامل الإيمان وإن فعلت كل معصية (٣٩) .

خامسًا: فرق المعتزلة والجهمية

أيها الأحبة في الله ، نشأت هذه الفرق في العصر الأموي ، عندما ثارت مسألة مرتكب الكبيرة ، فوقف واصل أحد طلاب الحسن البصري مخالفًا الحسن البصري ، وقال : أنا أقول أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق ، ولا هو كافر بإطلاق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ثم إعتزل مجلس الحسن البصري ، وأصول مذهب المعتزلة خمسة أصول ، فلا يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة وهي:

التوحيد : بنوا على هذا الأصل استحالة رؤية الله تعالى يوم القيامة ، وأن القرآن مخلوق لله تعالى لنفي كثيرين منهم صفة الكلام عن الله تعالى .

العدل : أن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به وما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها لهم وركبها فيهم ، وأن الإنسان خالق لأفعال نفسه .

الوعد والوعيد : وهم يعتقدون أن الوعد والوعيد نازلان لا محالة ، فوعده بالثواب والعقاب واقع ووعده بقبول التوبة النصوح واقع أيضا ، ولا عفو لكبيرة من غير توبة ، كما أنه لا حرمان من ثواب لمن عمل خيرا ، وفي هذا رد على المرجئة الذين قالوا : لايضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

المنزلة بين المنزلتين : فعندهم الذي يفعل الكبيرة ليس بمؤمن كما قاله المرجئة ، وليس بكافر كما قاله الخوارج ، بل هو في منزلة بين منزلتين ، هذا في أحكام الدنيا ، أما في الآخرة ، فهو مخلد في النار ، فهم يوافقون الخوارج في الآخرة .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قرروا ذلك على المؤمنين أجمعين ، نشرا لدعوة الإسلام وهداية الضالين وذلك بنشر هذه الأصول الخمسة فلا يستحق اسم الاعتزال من لم يؤمن بها كلها .

وبعد ظهور وانتشاء بدعة واصل بن عطاء في أن فاعل الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا ، حدثت بدعة الظلمة والجهمية ، وهي بدعة جهم بن صفوان وهي تتعلق بذات الخالق . انظر كيف تدرجت البدع في صدر الإسلام ، حتى وصلوا إلى الخالق جل وعلا ، وجعلوا الخالق بمنزلة المخلوق ، وقوام هذا المذهب نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى : إذ العبد مجبر في أفعاله لا قدرة ولا إرادة ولا إختيار (٣٩) .

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى : وانقسمت المعتزلة والجهمية في أسماء الله وصفاته إلى طوائف متعددة:

١- طائفة قالوا: لا يجوز أبداً أن نصف الله لا بوجود ولا بعدم ، لأنه إن وصف بالوجود ، أشبه الموجودات ، وإن وصف بالعدم ، أشبه المعدومات ، وعليه يجب نفي الوجود والعدم عنه ، وما ذهبوا إليه ، فهو تشبيه للخالق بالممتنعات والمستحيلات ، وكل عقول بني آدم تنكر هذا الشيء ولا تقبله ، فانظر كيف فروا من شيء فوقعوا في شر منه .

٢- وطائفة آخر قالوا: نصفه بالنفي ولا نصفه بالإثبات ، يعني: أنهم يُجوِّزون أن تسلب عن الله سبحانه وتعالى الصفات لكن لا تثبت ، يعني: لا نقول: هو حي ، وإنما نقول: ليس بميت ولا نقول عليم ، بل نقول: ليس بجاهل . . . وهكذا . قالوا: لو أثبت له شيئاً شبهته بالموجودات ، لأنه على زعمهم كل الأشياء الموجودة متشابهة ، فأنت لا تثبت له شيئاً ، وأما النفي ، فهو عدم ، مع أن الموجود في الكتاب والسنة في صفات الله من الإثبات أكثر من النفي بكثير ، فإن قيل لهم: إن الله قال عن نفسه: (سميع بصير) . قالوا: هذا من باب الإضافات ، بمعنى: نُسب إليه السمع لا لأنه متصف به ، ولكن لأن له مخلوقًا يسمع ، فهو من باب

الإضافات ، فـ (سميع) ، يعني: ليس له سمع ، لكن له مسموع .

وجاءت طائفة ثانية ، قالوا: هذه الأوصاف لمخلوقاته ، وليست له ، أما هو ، فلا يثبت له صفة .

٣- وطائفة قالوا: يثبت له الأسماء دون الصفات ، وهؤلاء هم المعتزلة أثبتوا أسماء الله ، قالوا: إن الله سميع بصير قدير عليم حكيم . . . لكن قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع بصير بلا بصر ، عليم بلا علم ، حكيم بلا حكمة .

سادسًا : الأشاعرة

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى عن الأشاعرة قالوا : نثبت له الأسماء حقيقة ، ونثبت له صفات معينة دل عليها العقل وننكر الباقي ، نثبت له سبع صفات فقط والباقي ننكره تحريفاً لا تكذيباً ، لأنهم لو أنكروه تكذيباً ، كفروا ، لكن ينكرونه تحريفاً وهو ما يدعون أنه "تأويل" . والصفات السبع هي مجموعة عندهم في قوله:

سمع إرادة وعلم واقتدار ::: له الحياة والكلام والبصر

فهذه الصفات نثبتها لأن العقل دل عليها وبقية الصفات لم يدل عليها العقل ، فنثبت ما دل عليه العقل ، وننكر ما لم يدل عليه ، وهؤلاء هم الأشاعرة ، آمنوا بالبعض ، وأنكروا البعض . فهذه أقسام التعطيل في الأسماء والصفات وكلها متفرعة من بدعة الجهم ، «**فَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[1] اهـ .

وقال فضيلته أيضًا : إن شيخ الإسلام وغيره أنكروا على الأشاعرة ومن حذا حذوهم ممن يثبتون بعض الصفات وينكرون بعضها بتأويل ، وبينوا تناقضهم ، وأن طريقتهم مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة ، وأن ما نفوه يمكن إثباته بمثل ما

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠١٧ .

أثبتوا به ما أثبتوه ، بل بما هو أبين وأظهر .

وقال فضيلته رحمه الله تعالى في موضع آخر: واعلم أن القول إذا كان باطلا محرما فلا يلزم أن يكون قائله آثما إذا كان لم يقصر في طلب الحق واتباعه ، ولكن اجتهد فأخطأ ، ولكن عدم إثمه عند الله تعالى لا يلزمنا أن نصوب قوله ، أو نقول : إنه من السنة ، فالتفريق بين القول والقائل ، والفعل والفاعل أمر ينبغي التفطن له ، . . وأظن . .أنه لا يخرج الأشاعرة والماتريدية من صف المسلمين إلا جاهل بحالهم ، أو جاهل بأسباب الكفر والخروج عن الإسلام ، أما أهل العلم بذلك فلم يخرجوهم من الإسلام ، بل ولا من أهل السنة والجماعة في غير ما خالفوا به أهل السنة والجماعة ، والإنسان قد يكون فيه شعبة من المخالفة للحق ، وشعبة من الموافقة له ، ولا يخرجه ذلك عن أهل الحق إخراجا مطلقا بل يعطى ما يستحقه ويوصف بما هو أهله من هذا وهذا حتى يكون الوزن بالقسطاس المستقيم ا هـ .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

بيان بإصدارات كتب الحديث المستخدمة

١- صحيح البخاري ، لمحمد إسماعيل البخاري ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى ، ١٤٢٢هـ ، عدد الأجزاء: ٩.

٢- صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٥ .

٣- سنن أبي داود ، لأبي داود السِّجِسْتاني ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، عدد الأجزاء: ٤ .

٤- سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى الترمذي ،تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١ ، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤ ، ٥) الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء .

٥- السنن الصغرى للنسائي ، لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء: ٨.

٦- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله بن ماجه القزويني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي ، عدد الأجزاء: ٢.

٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى .

٨- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ٤ .

٩- صحيح ابن حبان ، لمحمد بن حبان التميمي ، حققه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس) .

١٠- المعجم الكبير ،لأبي القاسم الطبراني ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية– القاهرة ،الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء:٢٥ .

١١- المعجم الأوسط ، لأبي القاسم الطبراني ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة ، عدد الأجزاء: ١٠.

١٢- المعجم الصغير ، لأبي القاسم الطبراني المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير ، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار- بيروت ، عمان ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ٢ .

١٣- السنن الكبرى للبيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، المحقق: محمد عبد القادر عطا
الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣
١٤- شعب الإيمان للبيهقي الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣ ، ومجلد للفهارس)

١٥- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ، لأبي بكر العتكي المعروف بالبزار ، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله ، وغيره ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ١٨.

١٦- الأدب المفرد ، لمحمد إسماعيل البخاري ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقيالناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، عدد الأجزاء: ١ .

١٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم مهران الأصبهاني ، الناشر: السعادة- بجوار محافظة مصر ، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م ، عدد الأجزاء: ١٠ .

١٨- مصنف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية ، ١٤٠٣.

١٩- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي ، عدد الأجزاء: ١.

٢٠- مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، عدد الأجزاء: ٣ .

٢١- صحيح الترغيب والترهيب ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الخامسة ، عدد الأجزاء: ٣ .

٢٢- السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض ، عدد الأجزاء: ٧ .

٢٣- صحيح السيرة النبوية ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتبة الإسلامية- عمان – الأردن ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ١ .

٢٤- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة: الثانية ،عدد الأجزاء: ١ .

٢٥- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت ، الطبعة: الثالثة – ، عدد الأجزاء: ١ .

٢٦- الكتاب : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ) ، إشراف: زهير الشاويش ، الناشر:

المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م ، عدد الأجزاء: ٩ (٨ ومجلد للفهارس)

٢٧- صحيح أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، عدد الأجزاء: ٧ أجزاء ، الطبعة: الأولى .

٢٨- صحيح الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة ، عدد الأجزاء: جزء واحد .

نوع الأحاديث المدرجة في كتاب الجواهر الثمينة في دروس العقيدة:

لم يدرج في هذا الكتاب إلا الأحاديث الصحيحة لذاتها ، أو لغيرها ، أو الحسنة لذاتها ، أو لغيرها ، وكذا الحسن الصحيح ، ومصدر الأحاديث المدرجة في هذا الكتاب: صحيحا البخاري ومسلم ، أو مما صححه أوحسنه العالم الجليل محمد بن ناصر الدين الألباني من السنن والمسانيد والمعاجم . . إلخ ، وأدرجت معنى مفردات الحديث داخل متن الحديث بعد كلمة(أي) مثال ذلك: :**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ ، فَهُوَ رَدٌّ** – أي: لا يثاب عليه بل يأثم – (باللون الأحمر) وبينت أقوال الرسول ﷺ ، أو جبريل عليه السلام ، بالسميك بين علامتين تنصيص بخط لوتس ، مثال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ ، فَهُوَ رَدٌّ** » ، وأحيانا أدرج بعض كلامي للإيضاح والبيان في الحديث باللون الأحمر .

تخريج أحاديث الكتاب:

اكتفيت بكتابة اسم الصحابي الذي روى الحديث ، ولم أذكر باقي السند ؛ للإيجاز ، علما بأنه يمكن معرفة باقي الإسناد بالرجوع إلى كتب تخريج الحديث .

❊ ❊ ❊

المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في الكتاب

من أجل الإيجاز استخدمت أرقاما لتشير للمصدر المنقول منه الكلام ، وهذه الأرقام مدونة في جدول : **أرقام المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في الكتاب ،** حيث يوضع رقم المصدر في آخر الكلام المنقول منه ، علمًا بأنه تم اختصار كل ما هو ليس بحديث أو آية وصولا للفائدة بأقصر الطرق إن شاء الله تعالى ، مثال :

(٤) يعني أن هذا النص منقول بالمعنى من كتاب أسماء الله الحسنى لفضيلة الدكتور عبد الرحمن عبد الرازق الرضواني .

وأحيانا أستخدم اهـ بعد قول أحد الأئمة أو العلماء أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية أو الإمام ابن القيم . .الخ ، وهذا يشير إلى انتهاء كلام هذا الإمام أو العالم أو الشيخ وما بعده هو من كلامي إذا لم يذكر خلاف ذلك بإدراج رقم أحد المراجع .

أرقام المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في الكتاب

المصدر	الرقم
إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ .	١
أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (المؤلف : عبد الله الجربوع)	٢
الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للدكتور صالح الفوزان	٣
أسماء الله الحسنى للدكتور عبد الرحمن عبد الرازق الرضواني	٤
الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام ، تأليف ناصر بن حمد الفهد	٥
أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لباقة من علماء الحرمين	٦

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down تنقل بين الصفحات.



الفهرس

تم بحمد الله تعالى

❊ ❊ ❊